المركز الثقافي الأسيوي

أدباء حلب ذوو الاثر

في القرن التاسع عشر

د . أحمد عبد الوهاب الشرقاوي
د . نهاد عبد السلام عمار

النشر والتوزيع الوراق
www.alwaraq.jeb.com
أمواج للطباعة والنشر والتوزيع

أدباء حلب

ذوو الاثر في القرن التاسع عشر

أدباء حلب

ذوو الاثر في القرن التاسع عشر

تأليف

د. أحمد عبد الوهاب الشرقاوي

د. نهاد عبد السلام عمار

2016

التصنيف : 928

المؤلف ومن هو في حكمه : أحمد عبد الوهاب الشرقاوي
نهاد عمار

عنوان الكتاب : أدباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر

بيانات الناشر : أمواج للنشر والتوزيع، عمان – الاردن

عدد صفحات الكتاب : 363

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2015/8/4222)

الرقم المعياري الدولي (ISBN) : 978-9957-596-92-7

الواصفات : //التراجم//الادباء//سوريا

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.
- تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

جميع حقوق الملكية الأدبية محفوظة ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو إدخاله على الكمبيوتر أو ترجمته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر.

أمواج للطباعة والنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمان
تلفاكس: 0096264889651/0096264888361

amwajpub@yahoo.com
www.amwaj-pub.com

مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع
شارع الجامعة الأردنية عمارة الصاف
مقابل كلية الزراعة
تلفاكس ٥٣٣٧٧٩٨
info@alwaraq-pub.com

إهداء

إلى زهرة شباب سوريا
زملاء الدراسة في جامعة أنقرة
أحمد الموصللي
محمود دبابو
نوار القواس
ذكرى أيام رائعة وشباب أكثر روعة

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

يمثل التراث منبعًا ثراً من العلوم والفنون وهو عطاء حضاري متميز وثري لا يكاد ينقطع فضله في الكثير من المجالات.

وهو من ناحية، يمثل الأساس الركين الذي ارتكزت عليه الحضارة في بنائها وامتدادها، ومن ناحية أخرى يمثل قاعدة انطلاق للمستقبل لاستكمال هذا البناء وممارسة الفعل الحضاري أسوة بالسالفين ومنافسة للمعاصرين، وتمهيدًا للأجيال القادمة.

وينبغي ألا يكون اهتمامنا بالتراث محصورًا في دائرة ضيقة هي مجرد اجترار لما أنتجه السلف، ولكن معرفة كيف تسنّى لهم إنتاج كل هذا الكم المعرفي في ظل ظروف غير مواتية على الإطلاق إذا ما قيست بمقاييسنا الراهنة.

وكذلك إدراك الكيفية التي حققت لهم هذا السبق في الكثير من المجالات التي كانت - حتى وقت قريب - هي المرجع الأساس والوحيد لكثير من العلوم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن جانبًا كبيرًا من هذا التراث ما زال صالحًا للاستفادة منه في جوانب معرفية متقدمة ، رغم القفزة الهائلة التي حققها العالم في المجال التكنولوجي.

وثمة جوانب أخرى في التراث ما زالت مجهولة تحتاج إلى الاكتشاف، وعلى النقيض هناك جوانب تحتاج إلى النقد والتنقية، وإلى جانب هذا وذاك هناك جوانب تحتاج إلى إعادة القراءة والتقييم .

وكل ما ذكرناه من نقاط إنما هو جولة سريعة في هذه الساحة الشاسعة، وهو ما حدا بنا في "المركز الثقافي الآسيوي" إلى إنشاء وحدة " دراسات الفنون والتراث" ؛ لنساهم بجهودنا في ذلك المضمار الذي يحتاج إلى الكثير من الجهود والسواعد المتكاتفة لإنجاز ما يعجز عنه الباحث المنفرد .

ومن هذا المنطلق نوجه الدعوة إلى الباحثين والمتخصصين لمد جسور التواصل والتعاون وتبادل الخبرات والمعارف؛ لنسهم معًا في الاستفادة من هذا الكنز المعرفي وتوظيفه في بناء حاضر أوطاننا ومستقبلها.

والله الهادي إلى سواء السبيل

الكتاب الذي نقدمه بين يدي القراء محققًا من الكتب النادرة، نادر في موضوعه الذي يؤرخ لفترة مهمة في التاريخ العام وتاريخ الأدب لإحدى أبرز المدن العثمانية و العربية على مدار تاريخها، والكتاب نادر كذلك في توافره بين يدي القراء والباحثين، إذ طبع مؤلفه منه مائتي نسخة فقط وزعت كهدايا على كبار العلماء والأدباء ، وزملائه من أعضاء المجمع العلمي بدمشق.

وتكرر نفس الحال عند إعادة طبع الكتاب بعد تحقيقه قبل أكثر من نصف قرن ، وتوفيره بين أيدي القراء والباحثين، ليضيف مرجعًا؛ بل مصدرًا جديدًا إلى المصادر الأدبية والتاريخية، فالكتاب يحوي الكثير من التراجم لأدباء ليس لهم تراجم في سواه من المصادر ، حتى المصادر التي ترجمت لهؤلاء الشعراء لم تورد التفاصيل والأشعار التي رواها قسطاكي الحمصي.

كما أن هذه التفاصيل تحمل الكثير من ملامح الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية، وغيرها من الجوانب التاريخية التي لا يغفل أهميتها المؤرخ والباحث.

وهناك بعض النقاط التي ينبغي التعرض لها ومناقشتها كمدخل أساسي حول الكتاب وتحقيقه، نعرضها فيما يلي :

- الأدب والتاريخ :

رغم ما يبدو بينهما - لأول وهلة - من بعد الشقة ظاهريًا، إلا أن ثمة علاقة جدلية بين الأدب وبين التاريخ. إذ ولد التاريخ من رحم الأسطورة، وكانت الأسطورة هي الأم الحقيقية للأدب باعتباره فن التعبير عن النفس والواقع.

وإذا كان التاريخ، أو التأريخ -في أحد جوانبه- هو صورة الماضي والواقع، فإن الأدب كذلك - في أحد جوانبه - هو رصد نبض المجتمع وفق الاتجاه القائل: الفن للمجتمع، مقابل القائلين : الفن للفن.

ومن جانب آخر فإن خصوصية بعض المجتمعات في تاريخها لا يمكن الإحاطة بها وفهم الكثير من عناصرها، إلا من خلال إطلاع واسع ومتخصص على آدابها، مثل التاريخ العربي الذي لابد من الغوص في أعماق أدبه للوقوف على غوامض أحداثه ، وقد صدقت كثيرًا المقالة السائدة : الشعر ديوان العرب، خاصة لقوم لا يعرفون الأسطورة ولا الفن الروائي ولا الكتابة والتدوين بشكل واسع كغيرهم من الأمم .

كما أن الآداب في الكثير من حالات التاريخ الأوربي هي الخلفية الأيديولوجية للوقوف على ماهية الأحداث ، وأبرز الأمثلة على ذلك الثورة الفرنسية.

هذه هي بعض الصلات بين الأدب وبين التاريخ على المستوى الفلسفي والنظري إذا جاز التعبير .

أما العلاقة بينهما في الجانب الإجرائي ، فتتجلى في بدايات الكتابة التاريخية - في التاريخ العربي - حيث اختلطت بكتب الأدب، ثم استقلت منها شيئًا فشيئًا، حتى صار التاريخ علمًا قائمًا بذاته ، وهي قصة الكثير من العلوم التي كانت مجرد منثورات في كتب علوم أخرى، ثم برزت في فصول هذه العلوم ، وسرعان ما استقل علمًا قائمًا بذاته.

كما أن كتب الأدب ما زالت إلى اليوم تحمل الكثير مما نفقده في كتب التاريخ، فتراجم الأدباء وأشعارهم تحمل آراءهم وأبياتهم التي أخفوها عن النشر والانتشار لظروف سياسية أو غيرها .

بالإضافة إلى كون أخبارهم ومسيرة حياتهم الأدبية تحمل الكثير من ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

و ثمة مساحة مشتركة ما زالت تربط -برباط وثيق بين الأدب وبين التاريخ، يتبع هذه المساحة السيرة الذاتية والمذكرات وكتب الرحلات ، وما زال الكثير من المصنفين والمفهرسين في حيرة بين الفئتين عند نسب هذه الكتب إلى أحدهما.

والمؤلف نفسه - قسطاكي الحمسي - قد أدلى برأية في هذه المسألة عند ترجمته لعبد الكريم بله.

وقد أورد الدكتور / عماد الدين خليل بعض بنود هذه العلاقة الحميمة بين العلمين والفنين نختار منها ما يلي:

" ... والحق أن العلاقة بين اللغة والأدب، والتاريخ ليست حالة بسيطة، أو وجهاً واحداً ، أو صيغة مسطحة ، إنما هي علاقة مركبة متشابكة سنكتفي بالتأشير على بعض جوانبها في صيغة خطوط عريضة:

أولاً: اللغة والأدب خبرة معرفية تسهم في تشكيل الفعل التاريخي ـ الحضاري، وهي تندرج في سياق العلوم الإنسانية لتمييزها عن العلوم الصرفة أو التطبيقية .إن دراسة تاريخ اليونان ، أو الثورة الفرنسية ، أو التاريخ الأندلسي ـ على سبيل المثال ـ لا تستكمل أسبابها دون دراسة اللغة والأدب في البيئات المذكورة.

ثانياً: اللغة والأدب خبرة ثقافية تساعد على تأصيل الفعل الحضاري ومنح الحضارات خصائصها وتميّزها.

ثالثاً: يلتقي الأدب مع التاريخ في تعامله مع الزمن ومحاولة تغطية امتداداته الثلاثة، الماضي والحاضر والمستقبل ، كُلّ بأسلوبه الخاص.

رابعاً: يعتمد الأدب ـ بأنواعه ـ على الواقعة التاريخية في مساحات واسعة من أنشطته الإبداعية (من مثل ملحمة الإلياذة وقصائد أبي تمام والبحتري ، ورواية (الحرب والسلام) لتولستوي... إلى آخره.

خامساً: تاريخ الأدب كما يدلّ عليه اسمه، عمل في التاريخ، وبأدوات البحث التاريخي، بعد إضافة النصّ الإبداعي إليها.

سادساً: الأدب يعد مورداً خصباً للتوثيق الذي يخدم الحقيقة التاريخية ويصونها من الضياع، وذلك بسبب قدرة الذاكرة البشرية على استيعاب النّص الإبداعي.

سابعاً: يمثل فن الترجمة والسيرة الذاتية لقاءً حميماً بين الأدب والتاريخ بسبب تداخل المفردات في الحقلين. المنهج التاريخي في الأدب ."

وفي الحديث عن المنهج التاريخي في الأدب يرى البعض أن :

" المنهج التاريخي للأدب هو المنهج الذي يصار فيه إلى دراسة الأديب وأدبه أو الشاعر وشعره من خلال معرفة سيرته ومعرفة البيئة التي عاش فيها ومدى تأثيرها في نتاجه الأدبي أو الشعري؛ في عبارة أخرى، هو المنهج الذي يُعنى بدراسة الأديب، بمعرفة العصر- الذي عاش فيه والأحداث العامة والخاصة التي مرَّ بها، وبدراسة النص في ضوء حياة ذلك الأديب وسيرته والظروف التي أثَّرت عليه. أي أن الأحداث التاريخية وشخصية الأديب يمكن لها أن تكون هنا عوامل مساعِدة على تحليل النص الأدبي وتفسيره.

لأن الشعر، في شكل خاص، يواكب التطورات التاريخية والفكرية. يقول ابن طباطبا:

[اعلم أن العرب أودعت أشعارَها من الأوصاف والتشبيهات والحِكَم ما أحاطت به معرفتُها وأدركه عيانُها ومرَّتْ به تجاربُها...].

وهنا نلمس في الشعر حِكَمًا ومعارف وتجارب وخبرات منفتحة على الحياة لعصر- معيَّن يمكن لنا استخلاصها منه بدراسة نقدية جادة وهادفة. وقال أبو عمرو بن العلاء: "كان الشعر علم قوم، لم يكن لهم علم أصح منه." ولهذا كثيرًا ما اتخذ الجغرافيون والمؤرخون الشعرَ مصدرًا يستقون منه معلوماتهم. فهذا هو الجانب الذي يجب أن يُعتَد به، إلى حدٍّ ما، في الدراسة المنهجية التاريخية للأدب ، أي أن نستدل من قراءة النصوص على شخصية مبدعيها وروح العصر- ، وليس العكس، على الرغم من المحاذير الكثيرة لهذه المقاربة ؛ إذ علينا ألا نجعل التاريخ حَكَمًا على النص، بل أن نستنطق النصَّ ونستخلص منه ما يتعلق به من مفاهيم وإيحاءات تفيدنا في إعطاء معلومات قد تغْني معارفنا العلمية قليلاً أو كثيرًا وتفيد في دراسة وتصوير جوانب

الحياة الإنسانية وبيئتها، كما واختلاجات قلب الشاعر وشاعريته، لأن النصوص هي مسارح أنفاس المبدع ودلائل معاناته. "

- **حلب ... ما قيل فيها وما كتب عنها** [1]

أهـــــواك يـــــا حلـــــب الشـــــهباء فـــــاقتربي

يـــــا درة في ضـــــلوع الصـــــخر طالعـــــة

إن فـــــاخر القـــــوم في أرض وفي نســـــب

وعـــــانقيني لأرقـــــى فيـــــك بالشـــــهب

يعنـــــو لـــــك الصـــــخر في عُجْـــــب وفي عَجَـــــب

إذًا لفـــــاخرت أني اليعـــــربي الحلبـــــي

يعود تاريخ حلب إلى سبعة آلاف عام مضت ، وهي من أقدم المدن المأهولة في العالم، كان عمرها فوق الألف عندما أنشئت روما ... وهي أكثر البلاد حضارة وازدهارًا. تخطت رقاب الزمن وامتطت ظهور العصور حتى بلغت سويداء العصر الحجري ... يشهد لها بذلك مما اكتشف من مغارات ، وما أظهرته حفريات (باب الفرج) في السبعينات من القرن العشرين، فقد اكتشف في (مغارة الخناقية) الواقعة في حي السريان القديم ... مقاعد منحوتة في الصخر الحواري ، وشوهدت خلوات هي أشبه بالغرف، وعثر على آنية فخارية وأسلحة حجرية وعظام ... وشوهد على جدران المغاور رسومات ونقوش لعصور ما قبل التاريخ ، أي العصور التي سبقت اختراع الكتابة، وبلغت حلب أوج ازدهارها في عهد الملك (أريم) ملك (يمحاض) الواقعة شمال سورية. وهو أول السلالة العمورية ... وإن لفظ حلب في اللغة العمورية يعني (الحديد والنحاس).

---

(1) انظر : مختار فوزي النعال ، مجلة " التراث العربي " .

قيل كانت حلب معاصرة لمملكة حمورابي بل قيل إنها كانت عاصمة مملكته ... ومعنى حلب في اللغة السريانية يعني "البياض"، وقد سجل فيها أكثر من 150 أثرًا هامًا في السجلات الرسمية الأثرية .

وفي عام 1900 قبل الميلاد مر بحلب أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو في طريقة من حاران إلى فلسطين... وفي قلعتها حتى يومنا هذا مسجد يعرف بمسجد الخليل، وهناك مقولة أسطورية تقول: إنه كان لإبراهيم عليه السلام بقرة شهباء اللون يوزع حليبها على الفقراء يوميًا. وكان الناس يسأل بعضهم بعضًا: هل حلب إبراهيم الشهباء ؟!.. فيجابون: نعم... حلب الشهباء، قيل ومنه انطلق عليها هذا الاسم... ولكن الواقع غير هذا... وهذه المقولة الأسطورية مخترعة لا يعضدها البحث العلمي، وفي أسماء هذه المدينة أقاويل شتى ، ولها أكثر من اسم .

ورد اسم حلب في رقم مملكة إيبلا (أرمان)، و(حلبا) ، وأطلق عليها (بيلوكس نيكاتور) أحد قواد الإسكندر المقدوني بيروا ، كانت حلب تسمى عند الحثيين " حلباس " ، وذكرت في الآثار المصرية باسم "حلبو" ... قيل معنى " حلب في اللغة السومرية : التلة المحدبة أي " قلعتها ".

وأرجح الأقوال التي جاءت في تسميتها وصحة اسمها ما قاله العلامة الكبير المرحوم خير الدين الأسدي في كتابه : " حلب - الجانب اللغوي - جاء فيه: " إن كلمة حلب تتألف من جزئين؛ الأول: حل ، والثاني: لب ، ولفظ " حل " يشير إلى المكانية في جميع اللغات السامية، وإن لفظ " لب " يشير إلى التجمع والتألب، وبهذا يكون معنى " حلب " : مكان التجمع أي دار الحرب، لأنها كانت مكان تجمع الجيوش وانطلاقهم منها إلى الغزوات والقتال والحروب ".

ومما يؤكد قدم حلب على سائر مدن العالم المأهولة، ما قاله المؤرخون والأدباء والكتاب الذين تباروا في تأليف الكتب عنها، فتناولوا وصفها، ووصفوا عادات أبنائها، وهناك عدد من الرحالة الأجانب الذين زروها فتحدثوا عنها وعن مكانتها التاريخية.

كما تناول الكتاب العرب والمؤرخون القدامى مدينة حلب وخصّوها بكتبهم كابن شداد في كتابه " الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة "، ذكر في الباب الأول موضع حلب من المعمورة جغرافيًا فقال: " اعلم أن حلب من الإقليم الرابع وهو أفضل الأقاليم وأصحها هواءً وأعذبها ماءً وأحسنها أهلاً، ..." ثم ذكر أسماء واشتقاق اسمها حلب، وبين صفة عمارتها وعدد أبوابها وأبواب قلعتها وقصورها القديمة، كما ذكر مساجدها وجوامعها التي في ضواحيها، وذكر خاناتها ومدارسها وحماماتها ....

كما ألف ابن العديم الصاحب كمال الدين (المتوفي سنة 660هـ) كتابه المطول " بغية الطلب في تاريخ حلب " صدر في اثني عشر مجلدًا .

هذا الكتاب " بغية الطلب " كتاب مطول موسع ، انبثق عنه أكثر من كتاب، منها ما استخلصه المؤلف وأخرجه في كتاب سماه " زبدة الحلب في تاريخ حلب".

و كتاب " بغية الطلب " أضحى مصدرًا لكتب عديدة منها : " الدر المنتخب في تاريخ حلب "، و" كنوز الذهب في تاريخ حلب "، و" كتاب در الحبب في تاريخ أعيان حلب " وسواها .

وفي عام 2000م صدر للأستاذ حسن بيضة كتاب " أعلام حلب " .

و كتاب " مكابدات لطيفة ومواقف ظريفة في حلب والقيروان " للدكتورة المهندسة نجوى عثمان ، كما أن لها كتاب آخر عنوانه " حلب في مائة عام" بالاشتراك مع فؤاد عنتابي .

وأصدر الأستاذ الدكتور أحمد فوزي هيبة كتابه " الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء " من سنة 539 حتى 658هـ.

وللمؤلف كتاب آخر تناول فيه : الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب منذ سنة 658 حتى سنة 922هـ

وصدر كتاب : "عروق الذهب فيما كتب عن حلب " للأستاذ عامر رشيد مبيض.

وللمؤلف كتاب آخر سماه : " مائة أوائل من حلب " صدر في ثلاثة مجلدات . به تراجم لأكثر من 700 علم من أعلام حلب الذين برزوا في القرن العشرين.

وفي الآونة الأخيرة تناول الأدباء الحركة الأدبية بحلب ورجالها باهتمام بالغ، حبًا منهم لتراث بلدهم ، ووفاءً منهم لأعلامها الأدباء ، فنجم عن هذا الاهتمام الكتب التالية :

" الأدب الشعبي الحلبي " للأستاذ يوسف قوشجي

وكتاب " الأدب الشعبي في حلب " للأستاذ الدكتور حسن عبد المحسن.

كما صدر في أوائل القرن الحادي والعشرين

كتاب " أدباء حلب في النصف الثاني من القرن العشرين " أصدرته مجموعة من أدباء حلب بإشراف الأستاذين الكبيرين محمود فاخوري والدكتور أحمد زياد محبك ... صدر منه ثلاثة أجزاء.

وللمؤلف كتاب آخر عن حلب اسمه " الحركة الشعرية المعاصرة في حلب".

وهناك كتب كثيرة صنفت لحلب بلغت نحو 150 كتابًا .

وقد عرض معظم هذه المؤلفات عن حلب الأستاذ / مختار فوزي النعال في كتاب " ينبوع الذهب فيما كتب عن حلب" صدر عام 2005م.

- حلب و عصر النهضة

بدأت ملامح عصر النهضة تبدو في القرن السادس عشر والسابع عشر بتشجيع الأجانب على الإقامة بحلب بموجب اتفاقية عام 1535(الملك فرانسوا الأول والسلطان سليمان القانوني).

وبدأت القنصليات والبيوت التجارية الأجنبية تقيم بحلب ، القنصل الفرنسي 1564 والبريطاني 1583 والهولندي ,1607 وقد سبقهم تجار البندقية 1548 والدول- المدن الإيطالية الأخرى، وافتتحت المدارس مع بدء مجيء الإرساليات التبشيرية الى حلب عام 1625.

ووجدت بحلب أول مطبعة في الوطن العربي بأحرف عربية عام 1702 جلبها البطريرك أثناسيوس الدباس من رومانيا وصنع حروفها الشماس عبد الله زاخر الحلبي, لكنها عاشت فترة قصيرة طبع خلالها "المزامير" وبعض الكتب الدينية ثم انتقل صاحبها الشماس الزاخر الى لبنان.

وكانت بوادر النهضة الحقيقية بتأسيس المطبعة المارونية التي أدخلها المطران يوسف مطر عام 1858 وبدأت تطبع الى جانب الكتب الدينية مقالات المفكرين فرنسيس المرّاش ونصر الله دلاّل وتوزّعها على الجماهير. وكان للإصلاحات العثمانية (الكولخانة والخط الهمايوني والدستور) دور في الانفتاح, وكذلك كان للصحافة مثل "الجوائب" و"النحلة"(يصدرها الكاهن الكاثوليكي لويس صابونجي في بيروت) و"الجنان"(أصدرها بطرس البستاني وولده سليم في بيروت عام 1870) دور كبير في التنوير حيث كانت تنشر أفكار المفكّرين النهضويين وكان يتداولها طلاب معهد الأرض المقدّسة (المؤسّس في الشيباني عام 1859 ويعدّ طلابه لدخول الجامعة) وطلاب مدرسة اليسوعية في ترب الغرباء (المنشأة عام .(1878) ولا ننسى ذكر شيخ الصحافة العربية رزق الله حسون الذي أسّس جريدة "مرآة الأحواال" عام 1855 في الآستانة وتابع إصدارها في لندن.

كان مفكرو عصر النهضة أبناء تجار موسرين توفرت لهم سبل الدراسة والاطلاع على الثقافة الغربية الحديثة والترحال الى الغرب والتجوال فيه, وقد اعتبروا الغرب - مع اعتزازهم بثقافتهم وحضارتهم - مثالاً يحتذى في التقدم والتطوّر. وكانوا يتصفون بنزعة عقلانية علمية, وكان معظمهم يحتضن بذور الشك والعداء للسلطة الثيروقراطية تأثّراً بفلاسفة الثورة الفرنسية من أمثال فولتير وسواه وأفكار غاريبالدي وجمعية إيطاليا الفتاة...أجل تشرّب المفكرون بأفكار الحرّية والمدنية والتقدّم العلمي ما جعلهم يسخطون على مجتمعهم المتأخر .

في هذه البيئة ومع هذه المقدّمات سطع مفكرو النهضة في منتصف القرن التاسع عشر بحلب ونذكر منهم فرنسيس المراش(1836 - 1973) وأخاه عبدالله

مـراش(1839 - 1900) وأخـتهما مريانـا(1848 (1919 -وكانـت أول امـرأة كتبـت مقالـة في مجلـة أو جريدة, وقد نشرت في مجلّـة "الجنـان ,"ونصر- الـلـه دلاّل(1841 -1883) وجبرائيـل دلاّل(1836 - 1892) وعبد الرحمن الكواكبي(1848- 1902) وقسطاكي الحمصي(1858 - 1941) واندرج نشاطهم في السياق العام لنشاط العثمانيين الجدد في محيطهم الثقافي والإجتماعي والسياسي, وكان لكل منهم أفكاره وطريقته وتصوّره لإصلاح المجتمع وبناء النهضة بحسب البيئة التي عاشها ومدى التأثر الذي استوعب وبنى عليه أفكاره في الإصلاح.

وكان من هؤلاء الذين لعبوا دورا لا يغفل في النهضة قسطاكي الحمصي.

وقسطاكي الحمصي هو قسطاكي بن يوسف بن بطرس بن يوسف بن ميخائيل الحمصي المتوفي عام1941م شاعر من الكتاب النقاد من أهل حلب مولدا ووفاة أصله من حمص هاجر أحد اجداده إلى حلب في النصف الأول من القرن السادس عشر- للمـيلاد ولزمتـه النسـبة إلى حمـص كـما لزمـت سلالته ومنها الآن في دمشق والقاهرة ومرسيليا وباريس ولندن.

وتعلم قسطاكي في أحد كتاتيب الروم الكاثوليك ثم بمدرسـة الرهبـان الفرنسيسـكان نسـبة إلى مار فرنسيس ولم يمكث طـويلا ، وقـرأ علـوم العربيـة عـلى بعـض المعلمـين في أوقـات فراغـه ، وزار مرسيليا وباريس مرات عكف خلالهـا عـلى تعلـم اللغـة الفرنسـية فأحسـنها ، وقـرأ كثـيرا مـن أدب العربية ويقول عن نفسه في رسالة بعث بها إلى الزركلي انه كان لا يطالع غير كتب الفصـحاء، حتـى صار يأبى قراءة كتب غيرهم.

وصنف أفضل كتبه منهل الوراد في علم الانتقاد وهو في ثلاثة أجزاء ، ونشر كثيراً من الفصـول في كبريات الصحف والمجلات. وله كتاب السحر الحلال في شعر الدلال في سيرة خاله جبرائيل الـدلال ، وأدباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر ، ومجموعة رسائل وخطب ومقالات في أغراض شتى ، وديوان شعر كبير، ومجموعة أغان من تأليفه.

كان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق.

والكتاب – الذي بين أيدينا - ظهر لأول مرة عام 1925 وطبعت منه /200/ نسخة فقط ، أهداها المؤلف إلى صفوة رجال الفكر والأدب وإلى زملائه أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ...

المؤلف صدّر كتابه بمقدمة مقتضبة تبين غرضه من التأليف ومنهجه فيه, ثم طبع الكتاب مرة ثانية عام 1961 في مطبعة الضاد بحلب ووزع كهدية في مجلة الكلمة لقرائها وأيضا في عدد محدود من النسخ ، وازدانت الطبعة بمقدمتين أولهما للأديب الشاعر الراحل عبد الله يوركي حلاق استعرض فيها تاريخ الحركة الأدبية الزاهرة في مدينة حلب مروراً بالعصر الحمداني حتى العصر الحديث ، ثم تحدث عن علاقته الوثيقة بالمؤلف وأشاد بوطنيته الراسخة وعروبته الصافية وسجاياه وأخلاقه وشجاعته.

وأما المقدمة الثانية لرجل القانون الكبير أسعد كوراني التي استهلها بالحديث عن النهضة الأدبية الحديثة بعد حملة نابليون على مصر وما رافقها من ظهور أعلام كبار من بينهم قسطاكي الحمصي.

يشمل كتاب الحمصي على خمسين ترجمة لأعلام الشهباء تركوا أثراً ساطعاً في الحقل الأدبي والديني والشعري في القرن التاسع عشر وجعل المؤلف كتابه قسمين الأول احتوى على سيرة أربعين علماً وافتهم المنية قبل إتمام الكتاب ، والثاني احتوى على عشرة أعلام ظلوا على قيد الحياة وعاصرهم المؤلف ، حتى أصبحت هذه الترجمة عنهم وثيقة مهمة من عمر حافل بالعطاء والإبداع .

خطته في سيرة عرض الأديب كانت قائمة على الاختصار ولم يعتمد على مراجع مكتوبة يستقي منها موارده وإشارته في التأريخ للأديب بل استأنس ببعض هذه المراجع التي تتعرض لمنهجه في الاختصار.

وكتابه أدباء حلب لا يخلو من نظرات المؤلف ، فقد نقد الشعر والتعليق عليه وهو الخبير بقواعد النقد ، ولكن هذه النظرات تعترض سياق الكلام اعتراضاً بعبارات مقتضبة وإشارات عابرة تدل على ذوق شعري سليم ورأي نقدي مستقيم.

وفي الكتاب الذي بين أيدينا " أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر"، نجد مصنفه الأديب والناقد والصحفي السوري الحلبي " قسطاكي الحمصي "، يورد في تراجمه للأدباء الكثير من الأخبار والوقائع في شتى الجوانب التاريخية، الاجتماعي منها والسياسي والاقتصادي والثقافي، فقد عاش هؤلاء الأدباء واقعهم، وكانوا انعكاسًا له، ونتاجًا لما يعتمله من عوامل ، فأثّروا فيه وتأثروا به، فجاءت كلماتهم وأشعارهم مزجًا من الأدب والتاريخ.

ونستطيع من خلال سطور الكتاب أن نرى بعضًا من ملامح وقسمات الحياة العامة في ذلك الوقت .

فارتباط أهل الشام بالدول الأوربية - خاصة فرنسا - يجيء نتاجًا للاهتمام المبكر بهم، واعتبارها إحدى محمياتهم الثقافية، وأقدم ممثليات تبشيرية عربية تجدها هناك، خاصة بين المسيحيين، وهو ما يبرز في مدائح بعض الشعراء لنابليون الأول، وتهنئته لمولد ولي عهده(1).

والعلاقات الثقافية بين أدباء العصر وما يجري بينهم من محاورات ونقاشات أو الصالونات الأدبية ، وبعدها عن الصراع ، رغم اختلاف المشارب والمذاهب(2).

والأحوال السياسية التي تقلبت بالعاصمة العثمانية ما بين الديمقراطية والتنكيل بالمعارضين، قد انعكست على الشعراء وآرائهم وحياتهم التي دفعت البعض إلى الهجرة أو الفرار للاستقرار في بلدان أوربا(3).

---

(1) أنظر ترجمة نصر الله الطرابلسي .

(2) أنظر ترجمة أنطون صقال .

(3) أنظر ترجمة رزق الله حسون .

والحياة الاقتصادية تراها بين طيات تراجم الشعراء ، فترى أحدهم يهجر الشعر لأنه تجارة كاسدة، وترى آخرين رغم رحيلهم بعيدًا عن حلب في تجارة وكمندوبين لشركات تجارية حلبية لها فروع في عواصم أوربا، يؤسسون أسرًا وعائلات هناك ، ولا تنفصم عرى ارتباطهم ببلادهم وأدبائها.

أما الحياة الثقافية والأحوال التعليمية ، فتكاد تجزم أن الكثير من أبناء حلب -لاسيما مسيحييها - يجيدون عدة لغات، إذ كانت أبرز مدارسها حينذاك تدرس اللغتين الفرنسية والإيطالية، إلى جانب تعلم الكثيرين للغة التركية، وهي لغة الحكم والإدارة، أما اللغة العربية فما زالت الاهتمام الأول لديهم، خاصة عند من يتعاطى الثقافة والأدب ، ويتقنها الكثير من الأدباء لغة وأدبًا ونحوًا وصرفًا وبلاغة، بل ويقف على أسرارها أدباء حلب مسلمين ومسيحيين، والذين امتازوا في هذه النقطة بشيء كثير من التسامح، فنجد مدرسة إنجيلية تستعين بأحد الشيوخ ليدرس البلاغة ، ونجد العلاقات بين جميع الطوائف - خاصة العلاقات الأدبية والعلمية - تسير في سلاسة وتناغم امتازت به حلب، واشتهرت به أكثر من أي مدينة أخرى ربما في العالم كله.

فها هو الشيخ أحمد الترماتيني يتوفى فيخرج أهل حلب جميعًا في جنازته ، ويضرب الحزن أطنابه على السكان باختلاف أديانهم.

وقد أسلفنا الحديث عن علاقات العلماء والأدباء ببعضهم البعض، ونجد كذلك هذه العلاقة الرائعة بين طلاب العلم وبين أساتذتهم[1].

ونرى أوضاع العلماء في أكثر الأحوال تنم عن مكانة مرموقة بلغوها سواء على المستوى الشعبي أو على المستوى الرسمي، فهم يتقلدون أرفع المناصب سواء في الولايات أو في العاصمة، ونرى مؤلفاتهم تلقى العناية والذيوع حتى تأمر نظارة المعارف أو نظارة الأوقاف بطباعتها في العاصمة القسطنطينية استانبول[2].

---

(1) أنظر مثلاً ترجمة فرنسينس المراش والشيخ محمد الترمانيني .

(2) أنظر ترجمة الحاج عطاء الله المدرس ، والشيخ أبو الوفاء الرفاعي .

ولم تكن المرأة الحلبية بمنأى عن المشاركة في الحياة الثقافية والأدبية، ولم ينسى قسطاكي الحمصي في التراجم أن يورد ترجمة لنموذج من المرأة الحلبية الشاعرة المثقفة، والتي كان بيتها ملتقى للشعراء والأدباء والنبهاء[1].

أما الحياة الصحفية، فإن الكتاب من بين أفضل المراجع في التأريخ للصحافة العربية ، كثير من هؤلاء الشعراء المترجم لهم مارس الحياة الصحفية، وأنشأ الصحف والمجلات سواء داخل حلب أو داخل الممالك العثمانية أو في العواصم الأوربية[2].

وثمة سؤال يطرح نفسه في كثير من المواضع عن العلاقة بين العلم والشعر، فهل صار من السمات البارزة لذلك العصر أن يجمع المثقفون بين العلم وبين الشعر، فنجد قسطاكي الحمصي كثيراً ما يصف المترجم له بأنه "علم أعلام مصره ، وأسبق شعراء عصره... ".

وحسبنا هنا هذا الأمثلة الدالة، ولو تقصينا بقية الأمثلة والنكات الواردة لاحتجنا إلى دراسة مستقلة، ويكفي أننا لفتنا النظر إلى أهمية الكتاب كمرجع تاريخي لهذه الفترة الحساسة من التاريخ العربي والعالمي قبل الحرب العالمية الأولى، والحساسة بصفة خاصة للأمة العربية، متمثلة في حلب إحدى أبرز المدن في الدولة العثمانية في الكثير من فترات تاريخها.

أما عملنا في التحقيق فلم يكن عسيراً كما يبدو؛ إذ اعتمدنا على الأصل المطبوع في طبعته الأولى، مع إيراد بعض التفاصيل والأشعار التي توفرت لنا في المراجع التي لم تتوفر للمؤلف ، فأوردناها في الحاشية، وقد اعتمدنا في ذلك بشكل كبير على العمل الموسوعي الرائد والرائع، وهو معجم البابطين، وكان ثمة بعض الشعراء والأدباء الذين لم نتمكن من الحصول على تراجم لهم سوى ما أورده المؤلف.

---

(1) أنظر ترجمة مريانا المراش .

(2) أنظر مثلاً ترجمة كل من إبراهيم الحوراني، وعبد المسيح الأنطاكي، وميخائيل الصقال .

عسى أن نكون قد قدما للأدب والتاريخ مصدرًا آخر يساهم في إجلاء بعض ما هو مخفي مـن هذه الحقبة المهمة .

د / نهاد عمار

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي

إهداء

تذكاراَ خالداً لاسم الجوهرة العادمة المثال
عاشق العلم وشعلة الذكاء والفهم
قسيم البدر في طلعته وكماله
مالك فؤادي
المأسوف عليه أبد الدهر
حفيدي العزيز
هنري ألبير حمصي.

تموز سنة 1932
قسطاكي الحمصي

إننا لم نعتمد في هذه الرسالة إلا ذكر أدباء القرن التاسع عشر من الحلبيين، أي من كان له شعر معروف أو وصل إلينا شئ من شعره، وكذلك من كانت له مشاركة في طائفة من العلوم وآثار مشهورة، ولم نتعرض لترجمات الفقهاء، وعلماء علم بعينة كالنحو الطب.

ولابد لنا من التصريح بأننا كتبنا هذه الترجمات، دون أن نقف علي شئ منها لأحد الكتاب، ثم جاءنا كتاب أحد العلماء من خلاننا المخلصين ينبهنا علي أن بعض من ترجمنا عليهم نشرت لهم ترجمات في بعض المجلات قبل صنيعنا هذا، وإذ كنا لم نأخذ عنها شيئا كما ذكرنا، ولكنها كان لها السبق إلي نشر ما نشرته، رأينا أن نعترف بفضل المتقدم، كما أننا لم نكتم عن المطالع ما اقتضبناه من ترجمة الشيخ الحوراني عن مجلة المقتبس حسبما سيرد بعد هذا، وكما سنشير إلي ما التقطناهُ من بعض الأفاضل في محله من هذه الترجمات.

حلب في 23 شباط سنة 1925

نصر اللـه الطرابلسي[1]

(1) نصراللـه الطرابلسي (1184-1256هـ) (1770-1840م): نصراللـه بن فتح اللـه بن بشارة الطرابلسي. ولد في مدينة حلب، وتوفي في القاهرة. عاش في سورية ولبنان ومصر. تلقى مبادئ العلوم على أدباء حلب، ثم تفرغ لدروس البلاغة والآداب، وحفظ بعض أشعار العرب ونوادرهم وأخبارهم، ودرس التركية والفارسية فأجادهما. كان مختصًا بقنصلية فرنسا في حلب، ثم أجبر على ترك الوظيفة ودفع غرامة باهظة فقد بسببها كل أمواله، ونجح بمعاونة عبداللـه الدلال في تجاوز أزمته غير أنه غادر حلب فيما بعد. قصد مصر (1828) واتصل بحبيب البحري (رئيس ديوان الكتاب في حكومة محمد علي) الذي أحسن وفادته، وعينه في وظيفة بديوانه ولازم بيته أواخر أيامه.

له قصائد ومقطوعات نشرت في مصادر دراسته. نظم في عدد قليل من أغراض الشعر على رأسها المدح الذي يعد موضوعه الأثير حيث تعددت مدائحه لرجال عصره في حلب ومصر إضافة إلى الإمبراطور الفرنسي نابليون الأول وقنصله في حلب، كان أحيانًا يخرج من المدح إلى المديح النبوي مستكملاً صورة الممدوح بوضعه في إطار الأشخاص المرموقين. حافظت قصائده على المنهج التقليدي للقصيدة العربية عروضًا ولغة وأسلوبًا، مع سلاسة في العبارة قد تبدو مستحدثة في شعر عصره.

انظر:

1- خليل مردم: أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع

3- محمد راغب الطباخ: أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء

من شعره : ترى السعد جندا

في التهنئة

هـــــو الماجـــــد المفضـــــال بـــــالحزم والنـــــدى

ومـــــن لم نجـــــد في المكرمـــــات لـــــه نِـــــدّا

غـــــمامٌ همـــــى بحـــــرٌ طمـــــى أســـــدٌ حمـــــى

هُـــــمامٌ ســـــما نحـــــو السّـــــما فاضـــــل أهـــــدى

ومـــــا روضـــــةٌ غنّـــــاء لـــــذَّ مقيلهـــــا

وهـــــزَّ الصَّـــــبا النجـــــديُّ أغصـــــنَها الملـــــدا

وســـــحَّ عليهـــــا القطـــــر والـــــبرق منـــــتضٍ

مهنـــــده البتّـــــار إذ بـــــارز الرعـــــدا

وأكرمَهـــــــا فصـــــــلُ الربيـــــــع لحســـــــنها
فألبسَـــــــها مـــــــن خـــــــير ترقيمـــــــه بُـــــــردا

ونرجسُـــــــها أبـــــــدى وقوفًـــــــا وهيبـــــــةً

وغـــــــضّ لحاظًـــــــا حيـــــــنما نظـــــــر الـــــــوردا

بأحســـــــنَ منـــــــه منظـــــــرًا عنـــــــد نيلـــــــه

وحـــــــين يلاقـــــــي الضّـــــــيفَ أو يكـــــــرم الوفـــــــدا

أمـــــــيرٌ إذا مـــــــا زرتـــــــه ولقيتَـــــــه

تـــــرى السّـــــعد والإقبـــــال مـــــن حولـــــه جنـــــدا

سارت حمولُكُم

في القنصل الفرنسي في حلب

لقـــــد شـــــطَّ قلبـــــي يـــــوم ســـــارتْ حمـــــولُكُمْ

بســـــفح «قويـــــقِ» حـــــين أظعـــــانكم تُحـــــدى

ودارت كـــــــؤوسُ اللّـــــــثمِ عنـــــــد وداعنـــــــا

وقـــــد وخـــــدتْ أيـــــدي المطايـــــا بكـــــم وخْـــــدا

لحـــــى اللـــــه أيـــــام النّـــــوى مـــــا أمرَّهـــــا!

فـــــما أقبلـــــت إلا وشـــــيَّبتِ المـــــردا

أحبَّـــــايَ لا والعهـــــد مـــــا خنـــــتكم بـــــه

ولا كـــــانَ حـــــبّ حـــــال أو نكـــــثَ العهـــــدا

نعم أنجز الدهر الوعود

نعـــم أنجـــز الـــدهر الوعـــودَ وتمّـــمَا
فشـــكرًا لمـــن بالمقصـــد الفـــرد أنعـــمَا

صـــحا الـــدهر مـــن ســـكر الغبـــاوة واهتـــدى
وتـــاب وعـــن طـــرْق الغوايـــة أحجَـــمَا

وآض يـــروم العـــذرَ عـــن كـــلِّ مـــا جنـــى
ويطلـــب منـــا العفـــوَ عـــما تقـــدّما

فأصـــبحَ وجـــهُ الحـــقّ في الحكـــم ضـــاحكًا
وقـــد كـــان قـــبلاً أربـــد اللـــون مُقْـــتِما

بـــلى عرُجـــا نحـــوَ الربـــوع التـــي زهـــتْ
إذا جئـــتما في الحـــيِّ مـــن أيمـــن الحمـــى

فـــثمَّ مغـــانٍ قـــد تبـــدّى ســـماؤها
عليهـــا رواق المجـــد والسّـــعدِ خَـــيَّما

ومـــا ذاك إلا أنهـــا قـــد تشرَّفـــت
بتقبيـــل أقـــدام الهُـــمام الـــذي ســـما

محمَّـــدٌ ابـــنْ الجـــابريِّ الـــذي بـــه ... لقـــد جـــبر اللـــه القلـــوب بُعيـــد مـــا

نقيـــب السَّـــراة الغـــرِّ مـــن آل هاشـــم ... مصـــابيح فضـــل إذ دجـــى الليـــل أظلـــما

وعظ الدهر

فلـــيس لكـــم مـــن بعـــد إنـــذاره عُـــذْرُ

أم تســـمعوا مـــن حـــاز شرقًـــا ومغربًـــا ... وضـــاقت بـــه الآفـــاق قـــد ضـــمَّهُ القـــبر؟

فـــأين الملـــوكُ الصِّـــيدُ مـــن خضـــعتْ لهـــم ... رقـــابُ الـــورى ثـــم أطـــاعهم القصر؟

وأيـــن الألى ســـادوا وبـــالعلم قـــد غـــدوا ... فلاســـفةٌ مـــن لفظهـــم خجـــل الـــدرّ؟

فماتـــوا ومـــا أضـــحى لنـــا مـــن تـــراثهم ... ســـوى سِـــكّةٍ يبقـــى لهـــم ضـــمنها ذِكْـــر

فـــوا حـــيرتي كيـــف المعـــادنُ لم تـــزل ... ونفنـــى فـــذا أمـــرٌ يضـــيق بـــه الصـــدر؟

ولكـــنْ مـــراد اللـــه جلّـــتْ صـــفاته ... فلـــيس لنـــا إلا الرِّضـــا ولـــه الأمـــر

ألا رحـــم اللـــه امـــرءًا ســـار صـــالحًا ... وقـــدّم خـــيرًا قبـــل أن ينقضيـــ الأمـــر

فلـــيس لكـــم مـــن بعـــد إنـــذاره عُـــذْرُ

أم تســـمعوا مـــن حـــاز شرقًـــا ومغربًـــا ... وضـــاقت بـــه الآفـــاق قـــد ضـــمَّهُ القـــبر؟

فـــأين الملـــوكُ الصِّـــيدُ مـــن خضـــعتْ لهـــم ... رقـــابُ الـــورى ثـــم أطـــاعهم القصر؟

وأيـــن الألى ســـادوا وبـــالعلم قـــد غـــدوا ... فلاســـفةٌ مـــن لفظهـــم خجـــل الـــدرّ؟

فماتـــوا ومـــا أضـــحى لنـــا مـــن تـــراثهم ... ســـوى سِـــكّةٍ يبقـــى لهـــم ضـــمنها ذِكْـــر

فـــوا حـــيرتي كيـــف المعـــادنُ لم تـــزل ... ونفنـــى فـــذا أمـــرٌ يضـــيق بـــه الصـــدر؟

ولكـــنْ مـــراد اللـــه جلّـــتْ صـــفاته ... فلـــيس لنـــا إلا الرِّضـــا ولـــه الأمـــر

ألا رحـــم اللـــه امـــرءًا ســـار صـــالحًا ... وقـــدّم خـــيرًا قبـــل أن ينقضيـــ الأمـــر

رجـــاء

لمـــا ســـمعتُ مسلســـلاً عـــن ســـادةٍ ... أن الفصـــاحة كلهـــا في هاشـــمِ

يمَّمْـــتُ ناديـــه وألقيـــت العصـــا ... ورجـــوْتُ يَقْبلنـــي ولـــو كالخـــادم

إن جـــاد لي بالارتضـــا فبفضـــله ... أو لم يجُـــدْ فلســـوء حـــظِّ النـــاظم

دع العيـــن

دعِ العـــين منـــي تـــذرفِ الـــدمعَ عَنْـــدَما ... فحـــقّ لهـــذا الخطـــب أن تســـكب الـــدَّمَا

وخـــلّ زفـــير القلـــب يحـــرق أضـــلعًا ... أبـــتْ مـــن لهيـــب الحـــزن أن تتقوّمـــا

وذرْ كبـــدي تفنـــى مـــن البـــؤس والأسى ... فحُـــقّ عليهـــا أن تـــذوب وتعـــدما

هو نصر الله بن فتح الله بن بشارة المشهور بالطرابلسي ، ولد في حلب سنة 1780 وكان وجيها ذكياً مقدماً جميل الوجه مليح القوام حسن البزة وكان معجباً بنفسه حتي كثر أعداؤه ، وكان مختصاً بقنصلية فرنسا بحلب وقيل أنه كان نكاثاً، وسار عن حلب عقيب نكبة أصابته كاد يهلك بسببها، ثم أكتفي الحاكم بسجنه وتغريمه ضريبة فَقَد بها كل ما ملك حتي عجز عن أداء باقيها فرفده جد هذا العاجز لأمه - عبد الله الدلال أحد صدور حلب - بماله وفّى به ما عليه وستر خلته كما حدثنا بذلك المرحوم الخال جبرائيل فمدحه بقصيدة سيأتي ذكرها ، ولما تخلص من السجن فارق حلب سنة 1824 وورد مصر واتصل بحبيب البحري من بيت مجد فيها وكان هذا رئيس ديوان الكتاب في حكومة محمد علي باشا فأكرمه وعين له وظيفة في ديوان وأجري عليه رزقاً حسنت به حاله وأصبح من المقدمين عنده، ثم أتُّهم في إخلاصه وحسن طويته فنكب ثانية ولازم بيته إلي آخر حياته فمات مهملا كئيباً وفيما يظن أنه مات في حدود سنة 1840.

وله شعر كثير غير مجموع ولا مهذب وفيه الغث والسمين قال في مطلع قصيدة يمدح بها جوزيف لويس روسو وكان قنصلاً لفرنسا في حلب:

محاسن الآثار .

إن البناءَ دليلُ قدر الباني
وجمالُه للمرء ذكرٌ ثان
ودليل حسن العقل ما يختاره
وبذاك تعرف قيمة الإنسان
ونتيجةُ الأفعال في آثارها
وجلالة الأخطار في البنيان
ومحاسنُ الآثار توضح ما خفى
من فضل مُوجِدِها مدى الأزمان

لـــــك الـلـــــه مـــــن ظبـــــي يقـــــنص الأســـــدا

أجهـــــلاً رميـــــت الصـــــب بـــــاللحظ أم عمـــــدا

وقال يمدح الإمبراطور نابليون الأول ويهنئه بمولد ولي عهده سنة 1811

ورد البشـــــــــير فسرـــــــــت الأقطـــــــــارُ

وترنمـــــــــت في دوحهـــــــــا الأطيـــــــــارُ

ومنها:

يـــــا أيهـــــا الملـــــك الـــــذي دانـــــت لـــــه

الـــــدنيا وقـــــد خضـــــعت لـــــه الأقـــــدار

افخـــــر عـــــلي كـــــل الملـــــوك عـــــلي بمـــــا

أعطـــــــاك ربـــــــك واحـــــــد قهـــــــار

ومنها:

عميـــــــت بصـــــــائرهم فلـــــــما يعلمـــــــوا

إن البســـــــــيطة كلهـــــــــا لـــــــــك دار

لا تســـــــتقر عـــــــلي الـــــــدوام بموضـــــــع

هـــــــل يســـــــتقر الكوكـــــــب الســـــــيار

ومن قصيدة آخري:

أعيـــــــــد زورة المضـــــــــنى أعيـــــــــدي

فليـــــل الوصـــــل عنـــــدي يـــــوم عيـــــد

مؤلفـــــــة النفـــــــار فجعـــــــت فيـــــــه

أمالـــــك عـــــن صـــــدود مـــــن صـــــدود

وقال يمدح عبد الـلـه الدلال:

ياللـــــــــهوي مـــــــا للعـــــــدول ومـــــــالي

أنـــــا قـــــد رضـــــيت بكافـــــة الأحـــــوال

يلحـــــو ولا يـــــدري أيقبـــــل عاشـــــقُ

صـــــمّت مســـــامعه عـــــن العـــــذال

ومنها:

إن أرخصـــــــتني الحادثـــــــات فـــــإن لي

فضـــــلاً عـــــلي رغـــــم الأعـــــادي غـــــالي

ومنها:

وإذا اقتضـــــاك الـــــدهر تقصـــــد ماجـــــداً

ذا همـــــــــة فعليـــــــــك بالمفضـــــــــال

النـــــدب عبـــــد الـلـــــه فخـــــر أوانـــــه

نســـــل الأماجـــــد مـــــن بنـــــي الـــــدلال

فهـــــو الـــــذي يشرـــــي الثنـــــاء بمالـــــه

ويـــــــــزين الأقـــــــــوال بالأفعـــــــــال

هـــــو الـــــذي لم يخـــــل قـــــط زمانـــــه

مـــــن غـــــوث ملهـــــوف وبـــــذل نـــــوال

الشيخ حسين الغزّي[1]

(1) حسين الغَزّي (1235- 1271هـ) (1819- 1854م): حسين بن محمد بن مصطفى البالي الغزي. ولد في مدينة غزة (جنوبي فلسطين) وتوفي في مدينة حلب. عاش في عدة مدن شامية، وقضى عدة أعوام في مصر. تعلم القراءة والكتابة وأخذ مبادئ العلوم عن علماء غزة - حين بلغ السادسة عشرة سافر إلى القاهرة والتحق بالأزهر، إلى أن أنهى دراسته فعاد إلى غزة، حيث مارس التدريس فيها، ثم في طرابلس، وفي حلب أخذ يعظ ويذكّر في جامع السكاكيني، ويقرئ الطلبة هناك، فكثر مريدوه، حتى بنى له أحد تجار حلب مدرسة بجوار الجامع المذكور ليتولى التدريس بها.تخرّج على يديه كثير من فضلاء علماء حلب.

- له أرجوزة ذكر فيها فضائل رمضان، سماها: «منحة الرحمن في فضائل رمضان» - (مخطوطة)، وقد تولى شرحها أيضًا، كما جمع بعض تلامذته كراسة صغيرة من شعره، لم تنشر.

- له بعض كراريس ورسائل في التوحيد والمنطق والنحو. المأثور من نظمه قليل، وفي أغراض (غير شعرية)، وقد يصح له مطلع يُومي إلى إمكان لم تسعف الرواية أو المطبعة بإشباعه. انظر : محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء . من شعره :

شكرُ طبيبٍ

في مدح الطبيب إلياس ناقوس

إن رمـــتَ حكمـــةَ «بُقْـــراطٍ» وفطنتـــهُ ... ورمـــتَ تُشـــفى مـــن الأمـــراض والأُمَمِ

لا تلـــغِ قـــولَ الـــذي أبـــدى العجائـــبَ في ... طـــبِّ المـــريضِ وإلاّ تغـــدُ في نـــدم

يُخفـــي تواضـــعُه إفـــراطَ معرفـــةٍ ... وتلـــك أشـــهرُ مـــن نـــارٍ عـــلى علـــم

آراؤه كلُّهـــا في الطـــبِّ ليـــس لهـــا ... عيـــبٌ ســـوى أنهـــا مشـــهورةُ الحِكَـــم

ســـلْ عنـــه دائي ومـــا قاســـيتُ ثـــمّ عـــلى ... يديـــه زال الـــذي أشـــكو مـــن السَّـــقَم

نـــام الأطبّـــاءُ عـــن دائي لجهلهـــمُ ... واســـتيقظتْ عينُـــه لي فانجلـــتْ غممـــي

أجـــارني اللـــه مـــن هـــمٍّ أكابـــده ... عـــلى يديـــه فأحيـــاني مـــن العـــدم

قـــال الأطبّـــاءُ عنـــه قـــولَ ذي ســـعةٍ ... جهـــلاً وذلـــك شـــأنُ الحـــاذقِ الفَهـــم

ولـــو أصـــابوا طريـــقَ الطـــبِّ لالتقطـــوا ... مـــن لفظـــه دُررًا في صـــورة الكلـــم

ســـارت بجهلهـــمُ الركبـــانُ واشـــتُهروا ... بالكِـــذْب وافتُضـــحوا في العُـــرْب والعجـــم

إن رمـــــتَ حكمـــــةَ «بُقْـــــراطٍ» وفطنتـــــهُ ... ورمـــــتَ تُشـــــفى مـــــن الأمـــــراض والألمِ

لا تلـــــغِ قـــــولَ الـــــذي أبـــــدى العجائـــــبَ في ... طـــــبِّ المـــــريضِ وإلاّ تغـــــدُ في نـــــدم

يُخفـــــي تواضـــــعُه إفـــــراطَ معرفـــــةٍ ... وتلـــــك أشـــــهرُ مـــــن نـــــارٍ عـــــلى علـــــم

آراؤه كلُّهـــــا في الطـــــبِّ لـــــيس لهـــــا ... عيـــــبٌ ســـــوى أنهـــــا مشـــــهورةُ الحِكَـــــم

ســـــلْ عنـــــه دائي ومـــــا قاســـــيتُ ثـــــمّ عـــــلى ... يديـــــه زال الـــــذي أشـــــكو مـــــن السَّـــــقَم

نـــــام الأطبّـــــاءُ عـــــن دائي لجهلهـــــمُ ... واســـــتيقظتْ عينُـــــه لي فانجلـــــتْ غممـــــي

أجـــــارني اللـــــه مـــــن هـــــمٍّ أكابـــــده ... عـــــلى يديـــــه فأحيـــــاني مـــــن العـــــدم

قـــــال الأطبّـــــاءُ عنـــــه قـــــولَ ذي ســـــعةٍ ... جهـــــلاً وذلـــــك شـــــأنُ الحـــــاذقِ الفَهـــــم

ولـــــو أصـــــابوا طريـــــقَ الطـــــبِّ لالتقطـــــوا ... مـــــن لفظـــــه دُررًا في صـــــورة الكلـــــم

ســـــارت بجهلهـــــمُ الركبـــــانُ واشـــــتُهروا ... بالكِـــــذْب وافتُضـــــحوا في العُـــــرْب والعجـــــم

إن رمـــــتَ حكمـــــةَ «بُقْـــــراطٍ» وفطنتـــــهُ ... ورمـــــتَ تُشـــــفى مـــــن الأمـــــراض والألمِ

لا تلـــــغِ قـــــولَ الـــــذي أبـــــدى العجائـــــبَ في ... طـــــبِّ المـــــريضِ وإلاّ تغـــــدُ في نـــــدم

يُخفـــــي تواضـــــعُه إفـــــراطَ معرفـــــةٍ ... وتلـــــك أشـــــهرُ مـــــن نـــــارٍ عـــــلى علـــــم

آراؤه كلُّهـــــا في الطـــــبِّ لـــــيس لهـــــا ... عيـــــبٌ ســـــوى أنهـــــا مشـــــهورةُ الحِكَـــــم

ســـــلْ عنـــــه دائي ومـــــا قاســـــيتُ ثـــــمّ عـــــلى ... يديـــــه زال الـــــذي أشـــــكو مـــــن السَّـــــقَم

نـــــام الأطبّـــــاءُ عـــــن دائي لجهلهـــــمُ ... واســـــتيقظتْ عينُـــــه لي فانجلـــــتْ غممـــــي

أجـــــارني اللـــــه مـــــن هـــــمٍّ أكابـــــده ... عـــــلى يديـــــه فأحيـــــاني مـــــن العـــــدم

قـــــال الأطبّـــــاءُ عنـــــه قـــــولَ ذي ســـــعةٍ ... جهـــــلاً وذلـــــك شـــــأنُ الحـــــاذقِ الفَهـــــم

ولـــــو أصـــــابوا طريـــــقَ الطـــــبِّ لالتقطـــــوا ... مـــــن لفظـــــه دُررًا في صـــــورة الكلـــــم

ســـــارت بجهلهـــــمُ الركبـــــانُ واشـــــتُهروا ... بالكِـــــذْب وافتُضـــــحوا في العُـــــرْب والعجـــــم

الغرام العابث

قلـــــبٌ يجـــــدّ بـــــه الغـــــرامُ ويعبـــــثُ ... وُمِيتـــــه الحـــــبُّ المبيـــــد ويبعـــــثُ

أنـــــا في هـــــواه شـــــجٍ أجـــــوب حزونَـــــه ... ســـــيراً فهـــــا أنـــــا فيـــــه أغـــــبرُ أشـــــعث

ولد في مدينة غزة سنة 1235هـ 1819م ودرس فيها ثم قصد الجامع الأزهر بمصر ثم انتقل إلي مدينة طرابلس ولما اشتهر فضله وكانت يومئذ حلب في حاجة إلي عالم كبير، دعاه أحد وجهاء حلب إليها وبني له مدرسة وبني جامع السيافية بها وظل يدرس ويكثر مريدوه وطلاب العلم حوله إلي أن أدركته الوفاة سنة 1271 (1854) .

وكان أماماً في علوم الشريعة والحديث والمنطق واللغة والأدب ، حسن البيان بصيراً بأساليب التعليم، تخرج عليه كثير من العلماء وله شعر كثير ، قال في مطلع قصيدة :

قلـــــب يجـــــد بـــــه الغـــــرام ويعبـــــث

ويمتـــــه الحـــــب المبيـــــد ويبعـــــث

أنـــــا في هـــــواه شـــــجٍ أجـــــوب حزنـــــه

ســـــيراً فهـــــا أنـــــا فيـــــه أغـــــبر أشـــــعث

ومن قصيدة أخرى :

كـــــفّ ألحاظـــــك المـــــراض الصـــــحاحا

لســـــت أقـــــوي ولا أطيـــــق الســـــلاحا

ليـــــت شـــــعري مـــــا كـــــان ذنبـــــي حتـــــي

أدخلتنـــــي ســـــود العيـــــون الجراحـــــا

بجاه إمام الأنبياء

بِجـــــاهِ إمـــــام الأنبيـــــا أتوسّـــــلُ ... ومـــــن جـــــوده الأوفى شـــــفائي أؤمّـــــلُ

وأعـــــرض للجـــــاه العـــــريض شـــــكايتي ... وبثّـــــي وأحـــــزاني ومـــــا أتحمَّـــــل

وأطلـــــب منـــــه كشـــــفَ ضرّي وكُربتـــــي ... وعلمـــــي يقينًـــــا أننـــــي لســـــت أُخـــــذَل

فقـــــد أعيـــــتِ الآسي المجـــــرِّبَ علّتـــــي ... ومـــــا ينفـــــع الآسي ودائيَ مُعْضِـــــل

وله قصيدة بميلاد ابنه صديقنا الأعز الشيخ كامل الآتي الذكر يقول في مطلعها:

كـــم لفضـــل الإلـــه مـــن بعـــد يـــأس

نعـــمُ أذهبـــت همـــومي وبـــؤسي

وبمسك ختامها يؤرخ مولد المومي إليه بقوله :

وصـــــلاةُ عـــــلي محمـــــد الهـــــادي

وآلِ مـــــا طـــــاب تـــــاريخ غـــــرسي

1270

وعلي الجملة فشعره كشعر كثير من العلماء .

أنطون الصقال[1]

(1) أنطون الصقال (1240-1303هـ) (1824-1885م): أنطون ميخائيل الصقال. ولد في مدينة حلب، وفيها توفي. عاش في سورية، ولبنان، ومالطة. تلقى دروسه في مدرسة «عين ورقة»- وهي مدرسة وطنية للطائفة المارونية في لبنان- فأتقن فيها العربية والسريانية، ثم درس التركية، والإنجليزية.

كان له اهتمام بالعلوم الطبيعية والرياضيات، إلى جانب شغفه بالشعر والأدب. اشتغل في جزيرة مالطة مصححاً للكتب العربية في مطبعتها التي أسسها المرسلون الأمريكيون فيها عام 1822، كما كان يدرس اللغة العربية في إحدى مدارسها، وعندما نشبت حرب القرم بين روسيا والخلافة العثمانية عام 1854 عين مترجماً لقائد الجيوش الإنجليزية التي ناصرت الأتراك في هذه الحرب. وبعد انتهائها عاد إلى حلب.

- له ديوان شعر مخطوط، أكثره في الحكم، نشر ابنه ميخائيل شيئاً منه في سياق رواية فلسفية بعنوان: «لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر»، وقد ضمنها رؤيا تخيل فيها والده بعد وفاته نازلاً من مقامه في كوكب الزهرة ليعلمه ما يجري في العالم الآخر، و تضمنت الكتب الثلاثة المشار إليها في المصادر نماذج من شعره.
- يذكر أن له كتاباً سجل فيه كثيراً من الأغاني والقدود العربية والتركية مقرونة بالرموز الموسيقية (النوتة). كان شعره يتحرك في إطار ما جرى عليه شعراء عصره، من حيث موضوع القصيدة، ونسقها، ولهذا يمكن وصفه - إجمالاً - بأنه شعر أقرب إلى التكلف ،تغلب عليه الصنعة البديعية واللفظية. انظر:

1 - أدهم آل جندي: أعلام الأدب والفن- (جـ2).

3 - لويس شيخو: تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين

من شعره : تدور بي الأسواء

تـــــــدور بي الأســـــــــواءُ لم أدرِ مـــــــــأثمي ... ومـــــا ليَ إســـعافٌ بـــذي الـــدارِ مـــن عـــينِ

ودهـــــري وقـــــد أنفقـــــتُ دينـــــارَ حظِّـــــهِ ... يطـــــالبُني في الأصـــــلِ منـــــه وبـــــالعين

فيـــــا أيهـــــا الـــــدهرُ الخـــــؤون ألا ارتـــــدعْ ... عـــــلى أننـــــي مـــــا بعتـــــكَ العـــــينَ، بـــــالعين

فعـــــــينُ الهـــــــوى دمٌ وآخـــــــرهُ دَمّ ... ومعظمُـــــهُ ليـــــلٌ فـــــما فيـــــه مـــــن عـــــين

لعمـــــري هُـــــمُ الأعيـــــانُ بـــــالعينِ خُضّـــــعٌ ... جُثيّـــــاً عـــــلى عـــــينٍ أذلاءَ للعـــــين

وفيّـــــينَ في المكيـــــالِ والعـــــينُ شـــــأنُهُم ... يجـــــودونَ بـــــالأرواحِ فضـــــلاً عـــــن العـــــين

يُـــــروّون في حقـــــل الأمـــــاني بـــــذورَها ... بتســـــكاب دمـــــعٍ ســـــال كالمـــــاء في العـــــين

هو أنطون بن ميخائيل الصقال ، ولد في حلب سنة 1824 وتوفي بها سنة 1885.

علم من أعلام حلب، وإمام من أئمة الأدب، يملأ الدلو إلي عقد الكرب ، درس في مدرسة عين ورقة من لبنان وأتقن بها العربية والسريانية ثم درس التركية والانكليزية وكان يكتب بهما ، وكان مليح الطلعة ربعة القوام وقوراً، قليل المزاح، شديداً علي خصمه حازماً، ثابت العزم، جريئا أبيا جميع الرأي صناع اليدين حسن الخط مليح الصوت فصيح الكلام ولوعاً بالموسيقي يضرب بمختلف آلاتها ، وله كتاب ربط فيه كثيراً من الأغاني شبيه بكتب الخطوط والأنغام الموسيقية والفرنجية (كتب النوطه). وكانت له مشاركة في العلوم الطبيعية والرياضية، أقام في مدينة مالطة مدة يصحح الكتب العربية في مطبعتها ويدرس العربية في إحدي مدارسها وفيها ولد له صديقنا الأبر ميخائيل الصقال الآتي الذكر. ودخل في الجيش الإنكليزي ترجمانا في حرب القرم

جازِ من جازاك

كم أُراعي النذلَ حِلْماً ... وهو مُشتدُّ الخصامِ

وأُلينُ القولَ لُطفاً ... وهو فظٌّ في الكلام

جازِ من جازاك يا قلْ ... بي بقطعٍ وانصرام

واعتزلْ من خانَ عهداً ... واخلُ من سوءِ اتّهام

عهد الجفا

عسى للجفا عهدٌ فيُرجى انصرامُه ... فإن رضيعَ الحبِّ صعبٌ فِطامُهُ

وهل بعد ذاك الصدِّ كَفٌّ لمدمعٍ ... لقد طالَ في تلك الطلول انسجامُهُ

وهل ذلك الوجهُ المنيرُ بُعَيْدَنا ... على كمدٍ أم ظلَّ يزهو ابتسامُهُ

أُهَيْلَ الحمى

أُهيلَ الحمى تصبو لمرآكمُ عيني ... فحتّامَ تبغونَ التجافي على عينِ

حفظتُ لكم وداً على القُرب والنوى ... ولكنّكمْ ما زلتمُ أصدقا عين

سقى اللهُ يومَ الجِرْشِ ما كان عهدُه ... سوى حُلُمٍ قد مرَّ في تلكمُ العَيْن

يكلّفني السلوان عنه وما درى ... بأنيَ فيه لا أميلُ إلى العين

ثم عاد إلي حلب وتوفي فيها كما تقدم ، وله كتاب الأسهم النارية وهو رواية ضمنها بعض الوقائع المحلية، وله رواية أخري لم يصلنا اسمها وديوان شعر ، ولم يطبع من ذلك شئ، وله مقالات بالجرائد والمجلات باسم مستعار، وكانت بينه وبين فرنسيس المراش ونصر الله الدلال وغيرهما من فضلاء معاصريه مجالسات ومطارحات وممادح ، قال يمدح صديقه نصر الله الدلال خال كاتب هذه الرسالة وهي من محاسن شعره:

طاوعت فيه صبابتي فعصاني

وقليت فيه معنفي فسلاني

ما كنت أدري العشق يفعل بالفتي

فعل النسيم بأهيف الأغصان

ومنها:

مالي وللعذال لا سلمت لهم

علُ تقوم بفاسد البرهان

فالدهر ميدان به دول النهى

تجري مع البرهان جري رهان

ومنها في المدح:

شهم إذا ما استتل يراعة

شمت الضلال يخر للأذقان

إن يرض للعليا الرضي فلطالما

نزلت إليه تود منه تداني

ومن قصيدة آخري:

عسي ـــ للجفـــا عهـــد فيرجـــي انصرـــامه

فـــإن رضـــيع الحـــب صـــعبُ فطامـــه

وهـــل بعـــد ذاك الصـــد كـــف لمـــدمع

لقـــد طـــال في تلـــك الطـــول انســـجامه

وهـــل ذلـــك الوجـــه المنـــير يعيـــدنا

عـــلي كمـــد أم ظـــل يزهـــو ابتســـامه

وله قصيدة قافيتها عين علي تعدد معانيها عند العرب ، وقد بعث بها الي بير بعض أصحابه في بيروت قال في مطلعها:

أهيـــل الحمـــى تصـــبو لمـــرآكم عينـــي

فحتـــي مّ تبغـــون التجـــافي عـــلي عـــين

حفظـــت لكـــم وداً عـــلي القـــرب والنـــوى

ولكـــنكم مـــا زلـــتم أصـــدقا عـــين

ومنها:

أهيـــل الحمـــى تصـــبو لمـــرآكم عينـــي

فحتـــي مّ تبغـــون التجـــافي عـــلي عـــين

حفظـــت لكـــم وداً عـــلي القـــرب والنـــوى

ولكـــنكم مـــا زلـــتم أصـــدقا عـــين

ومنها:

يكفنـــــــي الســـــــلوان عنـــــــه ومـــــــا ردي

يـــــــأتي فيـــــــه لا أميـــــــل إلي العـــــــين

وجملة شعره علي هذا النحو

رزق الـلـه حسون[1]

(1) رزق الـلـه حسون (1241-1298هـ) (1825-1880م): رزق الـلـه بن نعمة الـلـه حسون. ولد في مدينة حلب وتوفي في لندن. عاش في حلب ودمشق، وزار لبنان ومصر والآستانة وباريس، وموسكو ولندن. تلقى دراسته الابتدائية في حلب، ثم سافر إلى لبنان فانتسب الى دير «بزمّار»، فدرس العلوم اللاهوتية والرياضيات والطبيعيات. واللغتين الفرنسية والعربية، كما أتقن الروسية والإنجليزية فيما بعد، وكان بحكم نشأته يعرف الأرمنية (أصله أرمني) والتركية. عمل مترجمًا في القنصلية النمساوية في حلب، ثم سافر إلى باريس ولندن، وفي طريق عودته مرّ بمصر، ثم توجه إلى الآستانة، فأصدر فيها جريدة «مرآة الأحوال» ذات الميول القومية العربية. عاد إلى دمشق أثناء إخماد فتنة 1860، وبعد عام رجع إلى استانبول، وأسندت إليه نظارة الجمرك. وما لبث أن سُجن وهرب إلى روسيا بسبب ميوله المناوئة للعثمانيين، أو بسبب اختلاس نُسب إليه، وقد حكم عليه بالإعدام، ونُسب موته إلى التآمر العثماني على المناوئين. استأنف إصدار «مرآة الأحوال» من لندن حتى رحيله، كما أصدر نشرات أخرى أدبية، وسياسية. كان أرمنيًا، لم يظهر أثر العرق في اسمه، لأنه ينتمي إلى جيل اعتنق الكاثوليكية.

- صدر له ديوان: «النفثات» أصدره من لندن عام 1869 وقد اتخذ فيه طريق الحوار الفلسفي، رائده بيدبا الفيلسوف الهندي - وطريقة لافونتين - الشاعر الفرنسي الكلاسيكي في حكاياته الخرافية - ثم صب هجاءَه المقذع في بقية ديوانه على الشدياق، مع قصائد اجتماعية أخرى، وله ديوان: أشعر الشعر - 1870م، وضم ستة أسفار من قصص التوراة نظمها شعرًا، إذ رأى أنها تصور عواطفه ومعاناته. تتميز ثقافته بعمق معارفه اللغوية، وبإحاطته بالشعر القديم، وبخاصة الجاهلي منه، ولكنه - في مجال الإبداع - ليس ببعيد أن يقع في الخطأ أو التجاوز اللغوي أو العروضي، وقد افتقر شعره إلى الطلاوة والعذوبة، ربما لشدة اهتمامه بالمعنى. على أنه اضطر إلى الشعر المرسل حين ضاقت به سبل القافية. انظر:

1 - سامي الكيالي: الحركة الأدبية في حلب

2 - عيسى فتوح: شموع في الضباب - دار المنارة - دمشق 1992.

3 - فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية .

4 - أدهم آل جندي: أعلام الأدب والفن (جـ2)

5 - جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق (جـ2)).

6 - منير مشابك موسى: الفكر السياسي العربي في العصر الحديث

من شعره : رحلة إلى القوقاس

تشـــــقّ جنبَـــــيْ «ريـــــونَ» جاريـــــةٌ في غـــــاب «بـــــوطي» امتطيتُهـــــا ظُهْـــــرا

وصرتُ مـــــــن قلبهـــــــا بمنزلـــــــةٍ يُؤثرهـــــــا ذو المراتـــــــب الكـــــــبرى

والجـــوّ يرشـــح مـــن ذُكـــاءَ عـــلى ال ... غابـــةِ يكســـو فروعَهـــا تِـــبرا

والـــدوحُ للطـــير فوقـــهُ ظلـــلٌ ... كبـــائسُ الـــدرّ فُتّقـــت زهـــرا

فخُيِّـــل لي بَـــرَدًا تعلّـــقَ في ال ... أغصـــان تنـــثره الصَّـــبا نـــثرا

أو عـــارضٌ عـــن ســـبيل مقصـــدهِ ... يعوقـــه الـــدوحُ في السَّـــما مَـــرّا

لا يـــدفع الشـــكَّ عنـــهُ غـــيرُ شـــذًا ... مـــن طيبـــهِ أرَّجَ الرُّبـــا عطـــرا

والغـــابُ أجمعـــهُ ارتـــدى حلـــلاً ... مـــن بهجـــة الفصـــل رونقًـــا خُضرـــا

في مســـتوى القـــاع منبتًـــا بســـطت ... يـــدُ الطبيعـــة مهـــدَهُ غـــورا

ينســـاب فيـــه ريـــونُ مُـــدَّفقًا ... شِـــعْبًا فشـــعبًا مضى ســـقى البحـــرا

واليـــومَ حتـــى المســـاءِ تحملنـــا ... جاريـــةٌ ذات مُهجـــةٍ حَـــرّى

تُصـــعد أنفاسَـــها وتُحـــدرها ... نازعـــةً في مســـيرها قَـــرّا

وقـــرب «أربـــير» مـــن «سُرَام» بـــدا ... أعـــلاهُ في السُّـــحب حـــيَّر الفكـــرا

فمجمـــل القـــول في محاســـنه ... شـــبابُ غـــضّ الطبيعـــةِ الزَّهْـــرا

كأنـــه مَلـــكٌ تَزمَّـــل في ... بجـــاد نـــورٍ مُـــدبَّجٍ بُهْـــرا

والشـــمسُ عنـــد الغـــروب تحســـبها ... تاجًـــا عليـــه ياقوتـــةٌ صَـــفرا

والسِّـــدرُ كالسرـــو قامـــةٌ شرعٌ ... وعمـــد تـــدمرَ جافيًـــا خصرـــا

والـــنجمُ مـــن فوقـــه قناديـــل أو ... أقـــراطُ مـــاسٍ تعلّقـــتْ جهـــرا

فـــدع ثبـــيرًا لـــذي القـــروح فـــذا ... أجمـــل مـــن غوطـــةِ ومـــن «شُـــبرا»

مـــن خلفـــه قـــننٌ وأوديـــة ال ... قوقـــاسِ عـــن كَثَـــبٍ أتـــت تـــترى

مفجـــرّات الـــذرى ينـــابيعَ في ال ... فُجـــوج أجمـــع صَـــبّتِ النهـــرا

مـــا تســـتحقّ دمشَـــقُ أو بـــردى ... بنســـبة مـــا لحســـنه ذِكْـــرا

مـــن شـــهوة الـــنفس والعيـــونُ بـــه ... طـــيرٌ أبابيـــلُ أعيـــتِ الحَصْرـــا

مـــا راشـــدٌ بـــالفنون يـــدرك في ... تصـــوير أفكـــاره بهـــا خُـــبْرا

يرصـــدها كالعُقـــاب مقتنصًـــا ... لنَهمـــةٍ صـــائدٌ لهـــا قهـــرا

يصرـــعها رميـــةً بـــأسرع مـــا ... يـــرجمُ بـــرجيسُ فارسًـــا جمـــرا

ديـــارُ كُـــرجٍ وأرمـــنٍ وطنـــي ... قبـــل انتقـــال أبي إلى أخـــرى

قـــد وُقّيـــتْ مـــا يـــروع واكتســـبتْ ... في ظـــل رايـــة نسرـــها الفخـــرا

أتيتُهـــا بعـــد طـــول مغـــتَرَبٍ ... في المُـــدْن دوّخـــتُ أرضَـــها شـــهرا

هو رزق الله بن نعمة الله حسون ولد في حلب سنة 1825 وتوفي في لندن نحو سنة 1880 .

هواؤهـــــا ماؤهـــــا وتربتهـــــا ... تســـــمو عـــــلى الأرض كلهـــــا قُطـــــرا

وأهلهـــــا صـــــورةٌ ونـــــاظرةٌ ... وقامـــــةٌ أحســـــنُ الـــــورى طُـــــرًّا

شربـــــتُ ريـــــثَ اســـــتفقتُ مـــــن كَـــــدَرٍ ... منتعشًـــــا وكـــــأنني كسرـــــى

استعطاف (تمام القصيدة الواردة في المتن)

فـــــؤادَ هـــــذا المَلْـــــكِ عطفًـــــا عـــــلى ... غرسِـــــكَ يـــــذوي في شـــــقا محنتـــــهْ

إن لم تُغـــــثْ عبـــــدَك مـــــن ذا الـــــذي ... يحميـــــهِ أو يُنْجيـــــهِ مـــــن نكبتِـــــه

يـــــا غالـــــبَ الـــــدنيا بســـــاداتها ... شرقًـــــا وغربًـــــا بـــــدُهى فطنتـــــه

وواحـــــدَ الآحـــــادِ في عصرِـــــه ... وصـــــائبَ التـــــدبيرِ في حكمتـــــهْ

أحييـــــتَ هـــــذا المُلْـــــكَ مـــــن بعـــــدما ... أودتْ بـــــه الأخطـــــارُ في فترتـــــه

وصـــــنتَ أهليـــــهِ رؤوفًـــــا بهـــــم ... مـــــن ســـــطواتِ الـــــدهرِ أو حُطْمَتِـــــهْ

ارحـــــمْ «عُبَيْـــــدًا» لـــــكَ واســـــتبقِهِ ... للولـــــدِ المجبـــــولِ مـــــن مهجتِـــــه

فـــــوَ الـــــذي حقّـــــق ظنّـــــي بمـــــا ... أرجـــــو مـــــن الإنصـــــاف أو رحمتـــــه

أمســـــيتُ في الحـــــبسِ كفـــــرخِ القطـــــا ... مـــــن كُـــــرَبِ الحـــــزنِ ومـــــن شـــــدّته

أعيذك الله

أعيـــــذكَ اللـــــه أن تميـــــلَ إلى ... مقـــــالِ واشٍ يســـــعى إلى دَخَـــــلِ

وكيـــــف تأخـــــذني بـــــإغراءِ ذي ... حقـــــدٍ يكشّرُ بالعـــــداوةِ لي

أشـــــبهُ خَلْقًـــــا بالـــــذئب مفترسًـــــا ... طـــــارَ اســـــمُهُ في الأذى مـــــع المثـــــل

لـــــولا البنـــــونُ ومـــــا أحـــــاذرُهُ ... ضـــــيمًا يلـــــمُّ بهـــــم عـــــلى عجَـــــل

مـــــا كنـــــتُ أضرعُ أن تحـــــوّلَني ... عـــــن مقعـــــدِ الـــــذلّ لـــــيس عـــــن زَلـــــل

كاتب تصرف في الشعر والإنشاء، كما يتصرف بالعبيد الأمراء، أطال وأوجز، وأختصر وأعجز، شن علي الحكومة التركية بقلمه غارة شعواء، وقضي بعيداً عن بلاده وفي نفسه منها أشياء.

درس في مدرسة دير بزمار بلبنان ثم قصد القسطنطينية واتصل بفؤاد باشا الوزير المشهور إلي أن جاء هذا سوريا سنة 1860 في الخطب المعروفة بحادثة الشام ، فاصطحبه وقلده ترجمة أوامره فيها إلي العربية ، ثم عاد معه إلي القسطنطينية فقلده نظارة مكس الدخان (التبغ) فاتهم بنقص فاحش في مال خزينتها ووشي به فسجن ثم هرب من السجن ، وبعد أن قصد كثيراً من البلاد ألقي عصا الترحال في مدينة لندن.

وكان متبحراً في العربية وسائر فنونها، مطلعاً علي أخبار العرب راوياً لأشعارها، لا يرضيه غير شعر جاهليتها، وكان يجيز لنفسه ما ورد في شعرها من الزحافات والسنادات، وسائر عيوب الشعر التي جمعها الخليل وتحاماها الشعراء من بعده، وله شعر كثير فيه شئ وافر من ذلك ، وقد طبع منه أشعر الشعر وهو ستة أسفار من التوراة نظمها وأحسن في بعضها كل الإحسان ، وله رسالة سماها النفثات عربها نظمها ونثراً عن كريكوف شاعر الصقالبة وهي حكم مروية على ألسن الطير والبهائم شبيهة بكليلة ودمنة، وفي بعضها من حسن السبك والإنسجام ما جري في ألسنة قرائها في العربية مجري الأمثال كقوله في ختام القصيدة المعنونة بشركة الأربعة المتفقة :

أنّي اشـــــتهيتم فكونـــــوا الجالســـــين فـــــما

عـــــلي يـــــديكم تأتـــــت نغمـــــة الطـــــرب

ومن نظمه يتشوق إلي ولده ألبير في جزيرة الأمراء بالقسطنطينية

نفحـــــات الشـــــمال حـــــي الجزيـــــرة

حـــــــي ألبـــــــير واســـــــتزيدي سروره

راح يمـــــــــرح في الريـــــــــاض وطـــــــورا

كغـــــــزال البقـــــــاع يبـــــــدي نفـــــــوره

شـــــبهه لـــــيس في بنـــــي النـــــاس لكـــــن

في الملائـــــــــك صـــــــــورة وسريـــــــــره

نـــــــزل الحســـــــن والبهـــــــاء عليـــــــه

خـــــــالق الحســـــــن آيـــــــة مشـــــــهورة

قـــــــد تخيلتـــــــه بفكـــــــري وقلبـــــــي

نـــــازع يجـــــتلي عـــــلي العبـــــد نـــــوره

حجبـــــوني في حجـــــرة وحمـــــوا عـــــن

مقلتـــــــــــــي أن يـــــــــــــزورني أو أزوره

يـــــا صـــــبياً عـــــلي حداثـــــة ســـــن

يكـــــــتم السر ـــــــ لا يـــــــزيح ســـــــتوره

أرقـــــد الليـــــل فـــــوق صـــــدري مـــــن عكـــــس

الضـــــــياء عـــــــلي محيـــــــاك صـــــــوره

مـــــــا تأملتهـــــــا بكـــــــت التياعـــــــاً

ضـــــــارعاً أن تـــــــراك عينـــــــي قريـــــــره

وله أيضاً من السجن يستعطف فؤاد باشا

فـــــؤاد هـــــذا الملـــــك عطفـــــاً عَـــــلَى

غرســـــك يـــــذوي في شـــــقا محنتـــــه

أن لم تغـــــث عبـــــدك مـــــن ذا الـــــذي

يحميـــــه أو ينجيـــــه مـــــن نكبتـــــهُ

ومنها:

ارحـــــمْ عبيـــــداً لـــــك واســـــتبقه

للولـــــد المحبـــــوب مـــــن مهجتـــــهْ

والـــــذي حقـــــق ظنـــــي بمـــــا

أرجـــــو مـــــن الإنصـــــاف أو رحمتـــــهْ

أمســـــيت في الحـــــبس كفـــــرخ القطـــــا

مـــــن كـــــرب الحـــــزن ومـــــن شـــــدتهْ

وكان أشعر ما يكون إذا تعرض للهجاء، وكان بصيراً بنقد أغلاط سواه كما ظهر مما كتبه في الرد علي العلامة أحمد فارس وسواه، علي أنه مع رسوخ قدمه في معرفة اللغة وشواردها وأدبها ووقوفه على كثير من نوادر كتبها في العلم والشعر ونسخه كثيراً منها من جوامع القسطنطينية ومكاتب أوروبا ، قد بدرت من قلمه في الشعر والنثر هفوات كثيرة ، كقوله في جمع المغارة مغائر بدل مغاور وكقوله خصم الحساب بمعني قطع الحساب ولعل لفظ حسم أقرب إلي المعني وهي عامية. وكل ذلك عجيب وقوعه من قلمه مع رسوخة في علوم اللغة كما ذكرنا.

ثم لما امتدت به النكبة ألقي عصا الترحال في بلد لندن، وأكثر ما وصل إلينا من شعره ونثره كان مما كتبه فيه، وكأنه لما يئس من العود إلي بلاده أعاد نشر جريدته مرآة الأحوال ، وكان نشرها في القسطنطينية مدة وكان يكتبها في لندن بخطه الحسن ويطبعها عَلي الحجر علي ورق صقيل رقيق جداً ثم يبعث بها في البريد - في غُلُف مختومة - إلي أطراف الأرض ، وفيها من الفصول الشائقة ومقالات الانتقاد على سياسة الحكومة العثمانية يومئذ والتنديد برجالها والتشنيع علي جور عمالها وطرق

ارتكابهم في مظالمهم ما أيقظ الجفون وحرك السكون ، ولم يزل ينشرها حتي أدركته المنون. ومما يروي له هذان البيتان:

قـــــــدر اللـــــــه أمـــــــوت غريبـــــــا

في بـــــــلاد أســـــــاق كرهـــــــاً إليهـــــــا

وبقلبـــــــــي مخبـــــــــآت معـــــــــان

نزلـــــــت آيـــــــة الحجـــــــاب عليهـــــــا

وقال لي بعض الأدباء أنه رآهما في كتاب من كتب الأدب لشاعر قديم وقد صح ذلك بشهادة غير واحد من الأدباء فكأنه تمثل بهما مرة فظن راويهما عنه أنهما له.

جبرائيل الدلال[1]

(1) جبرائيل الدّلال (1252- 1310هـ) (1836 - 1892م) : جبرائيل عبداللـه الدلال. ولد في مدينة حلب وطوّف بلبنان، وتركيا، وفرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، والبرتغال، وتونس، والجزائر، والنمسا، وانتهى التطواف إلى مستقره في حلب حيث توفي.

درس في البداية على أبيه، وبعد أن فقده وهو في الحادية عشرة كفلته أخته فأرسلته إلى مدرسة في لبنان لمدة سنة، ثم عاد إلى حلب وعكف على دراسة اللغتين الفرنسية والإيطالية، كما أتقن العربية والتركية.

استطاع تثقيف نفسه بعلوم عصره، فضلاً عن حفظه دواوين من الشعر التراثي ومقامات الحريري وقسمًا من القرآن الكريم. اختاره وزير المعارف الفرنسي لتحرير صحيفة «الصدى» العربية، وعمل أمينًا لسرّ خير الدين باشا التونسي في تونس، كما تابعه إلى الآستانة لما أصبح الصدر الأعظم، كما مارس الترجمة للسفراء العرب في باريس، كما درّس العربية في جامعة فيينا عامين. راسل صحف مصر ولبنان والآستانة ولندن.

- له ديوان: «السحر الحلال في شعر الدلال» -جمعه وقدم له وعرّف به ابن أخته الناقد «قسطاكي الحمصي» - وطبعه في مصر 1903 ، وله قصيدة «العرش والهيكل» وهي ديوان/ قصيدة (تقع في مائة واثنين وخمسين بيتًا) طبعت في مرسيليا طبعة حجرية عام 1864 .

- نظم الدلال هذه القصيدة وهو في باريس في مطلع شبابه، وتنطوي على دعوة وتحريض على التحرر ومقاومة الاستبداد، فكانت سببًا في ختام فاجع لحياة حافلة.

شعره سلس متدفق، متماسك القوافي، واضح الإيقاع، سهل الألفاظ، قريب المعاني، متمرد الأهداف، تظهر فيه طبائع الحضارة الغربية في القرن التاسع عشر وأثرها في المثقف العربي. انظر :

1 - أدهم آل جندي: أعلام الأدب والفن (جـ2).

2 - سامي الكيالي: محاضرات عن الحركة الأدبية في حلب.

3- سامي الكيالي: الأدب العربي المعاصر في سورية .

4- فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية .

5- لويس شيخو: تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين

من شعره :

من قصيدة: العرش والهيكل

مواعظ وحكم:

عسرتْ لك الأيام في تجريبِها ... وسرَتْ بك الأوهامُ إذ تجري بها

فإلام تُعرِضُ ناسياً ذكْر البِلى ... وعلامَ تُغريك الحياة بطيبها؟

واللمَّةُ الشمطاء تنذر بالفنا ... وتُشيبُ صفوَ صفائنا بمشيبها

ولَّى الشباب وأخلَقتْ أثوابُه ... وا حسرتي لنضيرِها وقَشيبها

وتجشَّمتْ هَوْلَ الزمان وُجوهُنا ... وعن النضارة بُدِّلَتْ بشحوبها

والشمسُ تسطع في أوان شروقها ... والإصفرارُ يكون عند مغيبها

وحياتُنا بشرورِها وغرورِها ... كُسفَتْ فكان شروقُها كغروبِها

فكأنها لججٌ تخوض عبابها ... وسوابقٌ تجري على يَعْبوبها

فإذا دعتْك دواعي لَهْوٍ اتَّئِدْ ... بُعْداً لسامع صوتها ومُجيبها

ربُّ النُّهى مَنْ صَمَّ عن تصويتها ... وأخو الحِجى من ضلَّ عن تصويبها

تصفو الحياة مع الشبيبة برهةً ... ويروق كأس العمر عن مشروبها

ومع المشيب تمضُّنا أكدارُها ... وا خشيتي من مُرِّ طعْمِ رسوبها

ركدتْ وقد كمَنَ البلاء وشرُّه ... برحيقها ورَسا بصافي كوبها

مِن دأبها عَطْلُ الكريم وسلْبُه ... جمحَتْ فما تنفكُّ عن أسلوبها

عجباً لها إن كان أولُ أمرها ... هذا النكالَ فما ترى بعقيبِها

لا تتقي الأحداثُ سطوةَ مالكٍ ... وبصمْتِها حكمٌ لمن يدري بها

فالعرش أفصحُ مُخبِرٍ بخطوبها ... والنعشُ أصلحُ منبرٍ لخطيبها

وسلْبها حالَ الخليقة أوجبتْ ... حَضْرَ الفصيح بها وعَيَّ طبيبها

جُبتُ البلاد فما نعمتُ بشرقها ... وبغربها وشمالها وجنوبها

فبكلِّ قطرٍ شاع لفظُ كُرورِها ... وبكل مِصْرٍ ذاع فرطُ كروبها

بخلَتْ بجبْرِ كسيرها وأبتْ فَكا ... كَ أسيرها، ضنَّتْ بردِّ سليبها

وأولو النهى تبكي لحالة جاهلٍ ... متعاقلٍ بعيونها وقلوبها

إن الطبيعة أودعتْ مكتومَها ... في صدر عالمها وذهن أديبها

لا يُحزن الراسي شَقَا مطعونها ... كلا، ولا الآسي أسى مَضْروبها

هل يوجُد المعدوم من تحضيرها ... أو يُعدمُ الموجود من تغْييبها

أبـــــداً لعمـــــري كـــــل ذاك تحايـــــلٌ ... يبـــدو لغَمْـــرٍ ضـــلَّ عـــن محجوبهـــا

لكنهـــا تـــأتي بمـــا يتـــوهّم الـــرْ ... رَائِي عُجابـــاً مـــن جمـــود حبيبهـــا

فتُباعـــد الإجـــرامَ في تحليلهـــا ... وتســـاعد الأجســـامَ في تركيبهـــا

ضـــاعت عـــلى الجهـــلاء غايتُهـــا وقـــد ... ضـــاعت عـــلى العقـــلاء نفْحـــةُ طِيبهـــا

خفِيَـــتْ عـــن الحمقـــى غـــوامضُ أمرِهـــا ... وأولـــو النهـــى علمـــوا حقـــائقَ صَـــوْبِها

وُعِـــدوا بخـــافي سرِّهـــا وجلائهـــا ... وغُـــذوا بصـــافي دَرِّهـــا وحليبهـــا

لكـــنَّ أكـــثرهم لســـوء الحـــظ قـــد ... بلغـــوا مـــن الـــدنيا أقـــلَّ نصـــيبها

السياسة

وكـــذا الملـــوكُ فلـــيس يُنكَـــر مـــا جـــرى ... فينـــا مـــن اســـتبدادِها ووثوبِهـــا

أو جَـــوْر مـــن فـــتح الممالـــك عنـــوةً ... وبغـــى عـــلى ســـكانها وغريبهـــا

فبِنصرِـــهِ خـــذلَ العلـــومَ وأخربَـــتْ ... تلـــك الـــبلادَ جيوشُـــه بحروبهـــا

أودى بأســـباب المعيشـــة بطشُـــها ... وعـــلى التجـــارة ســـدَّ أصـــل دروبهـــا

نـــزل الـــبلاءُ عـــلى الفلاحـــة والبَـــوا ... رُ فأمحلَـــتْ بغِراســـها وحبوبهـــا

وتقشَّـــعت ســـحب النجـــاح وإن ســـقت ... تلـــك الســـباخَ المـــزنُ مـــن شـــؤبوبها

ذبـــح العبـــادَ عـــلى الوهـــاد بظلمـــه ... وســـقى المهـــاد دماءهـــا عـــن صَـــوبها

فـــذَوَتْ جـــراثيمُ الفَـــلاح لعسْـــفه ... وبـــدا لمـــا سُـــقيتْ جفـــافُ رطيبهـــا

فِلـــمَ الخضـــوع لـــذي البغـــاةِ ومـــا لهَـــا ... عُجْبـــاً تتيـــه بتاجِهـــا وقضـــيبها

أم كيـــف نحمـــل جورهـــا ونُقـــاد رغ ... مـــاً مرتضـــين بغمْرهـــا كنجيبِهـــا

ومِـــا نـــرى فضَـــلَتْ عـــلى كـــلِّ الـــورى ... وســـمت عـــلى تحريرهـــا ولبيبهـــا

بـــاللحظ، أم بالســـمع ، أم بالـــذوق، أم ... بـــاللَّمسِ، أم بالشـــمِّ فضـــلُ حســـيبها

هـــل إنهـــا إلاّ أنـــاسٌ مثلنـــا ... وبنـــا ومنـــا العـــزمُ في تغليبهـــا

فـــالجيش مـــن أولادنـــا لقتالهـــا ... والبـــذخُ مـــن أموالِنـــا لمعيبهـــا

حـــازت نفـــائسَ مـــا يُـــرى فـــوق الـــثرى ... وتفـــاخرت بمتاعهـــا وأثوبهـــا

الخـــزُّ والـــديباج أضـــحى لبسَـــها ... وغـــدتْ كـــرام الخيـــل مـــن مركوبهـــا

هو خال كاتب هذه الرسالة، وكان أقرب الأهل إليه وأعزهم لديه، أختصر ترجمته هنا عما ورد في السحر الحلال في شعر الدلال لكاتب هذه الرسالة. ولد جبرائيل عبد الله الدلال بحلب في 2 نيسان سنة 1836 وتوفي بها في 24 من كانون الأول سنة 1892.

علم من أعلام الفضل وبدر من بدور الشهباء، بل إنسان عين الظرف والنبل وآية النباهة والذكاء ، تفجرت ينابيع الفصاحة على لسانه، وانقادت أبكار المعاني طائعة لبنانه. فاللؤلؤ منظومه ، والوشي مرقومه ، ذو فكرة تسترق حر الكلام، وقريحة تؤلف بدائع النظام، وبيان يصور أدق الأوهام للأفهام فتنجلي كالحقائق، ويصوغ ألطف التخيلات والإشارات بكل لفظ رائق، سقاه الدهر كأسي صفوه وكدره، وألبسه ثوبي بؤسه وأشره، ومازال بين نحوس وسعود، وهبوط وصعود، إلي أن دعاه داعي المنون، فقضي فجأة في أضيق السجون.

وهو سليل بيت كريم من أعرق بيوتات حلب في العز والجاه، فنشأ في بيت أبيه عبد الله الدلال ، ومجلسه إذ ذاك منتدى الفضلاء ومثابة النبلاء ، يقصده أدباء الوقت وشعراؤه كفتح الله المراش والد فرنسيس وعبد الله والست مريانا المشهورين، ونصر الله الطرابلسي الحلبي المتقدم الذكر، وكان والد صاحب الترجمة يحب العلم وبنيه، ويكرم الأدب وذويه...

وكان المترجم له عارفاً بالفرنسوية والطليانية والتركية، يكتب بها جميعاً ولاسيما الفرنسوية فإنه كان كواحد من أدبائها، أما العربية وعلومها، فكان نابغة من نوابغها، وكانت له مشاركة في أكثر العلوم والفنون العصرية ، ودرس قليلا فن التصوير فأصاب شيئاً منه، وكان شديد الولوع بالغناء، عارفاً بفن الموسيقي ، متمكناً من علمي الجغرافية والتاريخ وله رسالة في التاريخ العام غير كاملة، وكان يحرز حصة حسنة من العلوم الرياضية والفلسفة والطب فكان صدره أشبه بخزانة علوم وفنون.

وكان طيب الحديث لسناً فصيحاً شاعراً متفنناً حاد الذهن سريع التصور حلو العشرة لطيف الشمائل خفيف الروح، صحيح الانتقاد سريعه يميل إلي المزاح، جهير الصوت، طويل القامة، كبير الجسم ممتلئه كأنه الموصوف بقول الشاعر:

جهـــــــير الكـــــــلام جهـــــــير العطـــــــاسِ

جهـــــــيرُ الـــــــرواء جهـــــــير الـــــــنغم

ويخطـــــــو عـــــــلَي الأيـــــــن خطـــــــوَ الظلـــــــيم

ويعلـــــــو الرجـــــــال بخلـــــــق عمـــــــم

وكان قوي البنية، أبيض اللون، صبيح الوجه، كبير الرأس، أشقر الشعر، أزرق العينين، أحسر البصر لا تفارق الزجاجات عينية إلا عند القراءة والنوم ، وكان الغالب على طباعه سلامة الصدر، وكثرة الوفاء وحرية الفكر، وبالجملة فقد كان جميل الطلعة، جليل المنظر، عزيز المقام، موقراً لدي خاصة الناس وعامتهم.

طاف في كثير من الأقطار بين آسيا وأوربا وأفريقيا، وشعرهُ كثير لكنه لم يكن يعني بجمعه ، وقد جمعنا له منه حصة يسيرة في رسالة ترجمناه فيها وعنوانها : السحر الحلال في شعر الدلال ، وطبعناها في مصر سنة 1903 ، فمن ذلك قوله:

يـــــا مـــــن لقتـــــل الشـــــجي تعمـــــد

وزد دلاً جفـــــــــــــاهُ والصـــــــــــــدْ

مهـــــــلاً خـــــــف اللـــــــه في محـــــــب

فـــــــــؤادُه بـــــــــالغرام يرقـــــــــد

ومنها:

يـــا مـــن لقتـــل الشـــجي تعمـــد وزد دلاً جفـــــــاهُ والصـــــــدْ

مهـــلاً خـــف اللـــه في محـــب فـــــؤادُه بـــــالغرام يرقـــــد

ومن قصيدة :

لا تعـــــــــذل المشـــــــــتاق في أحوالـــــــــه

فتزيـــــــده شـــــــوقاً بحـــــــب غزالـــــــه

صـــــــبٌ كئيـــــــب مغـــــــرم لا تنتفـــــــي

أوقـــــات طيـــــب الوصـــــل مـــــن أمالـــــه

يحيـــــا بتـــــذكار الحبيـــــب ووصـــــله

ويمـــــوت بـــــين دلالـــــه وملالـــــه

وقال في باريز يتشوق إلي حلب:

حيّـــــا الحيـــــا تلـــــك المغـــــاني الفســـــاح

كـــــم في فناهـــــا هـــــام صـــــب فســـــاح

ومنها:

هيجـــــه ذكـــــر زمـــــان مضي

ســـــاعده الســـــعد بـــــه والنجـــــاح

وطيـــــبُ وقـــــت مـــــر مـــــع ظبيـــــة

في وجنتيهـــــا للحيـــــاء اتقـــــاح

ومجلـــــس زاه تغنـــــت بـــــه

بلابـــــل تطربنـــــا بالصـــــياح

أيـــــام وصـــــل نتعـــــا طـــــي بهـــــا

مـــــن خمـــــرة الحـــــب كؤوســـــا طفـــــاح

في ظـــــــل روض حجبـــــــت شمســـــــه

غبوقـــــــه يـــــــدعو إلي الاصـــــــطباح

أن بـــــــه الرعـــــــد فـــــــأبكي الحيـــــــا

وردد القمـــــــريُّ شـــــــجواَ و نـــــــاح

ومنها:

قمنـــــا وحســـــن الطـــــن أحـــــرى بنـــــا

فحرمـــــــة العشـــــــاق لا تســـــــتباح

أوقـــــات أنـــــس كنـــــت وآحسرـــــتي

خلـــــواً بهـــــا أســـــحبُ ذيـــــل المـــــراح

ومنها:

هـــــذا وصـــــحبي ذكـــــرهم خالـــــد

في خلـــــدي لم يمحـــــه قـــــطٌّ مـــــاح

فهـــــل تـــــري يرجـــــع مـــــا مـــــرَّ لي

معكـــــم مـــــن اللـــــذات والانشرـــــاح

ومن صدر قصيدة بعث بها إلي صديقه فرنسيس المراش المشهور الآتي الذكر:

لي الـــــنجم في ليـــــل أقاســـــيه شـــــاهد

بـــــأني مشـــــوق ســـــاهر الطـــــرف ســـــاهد

ومنها:

وجـــاد الحيـــا تلـــك الربـــوع وأهلهـــا

فهـــم لي مـــن الـــدنيا المنـــي والمقاصـــد

مـــواطن عـــزي والشـــبيبة والصـــفا

مناهـــل أنـــس قـــد صـــفت ومـــوارد

ومنها:

فيـــا أيهـــا المـــراش مـــن أنـــت بيـــنهم

عشـــير الصـــبا الخـــل الـــوفيّ المســـاعد

أتـــدري بمـــا قلبـــي يجـــن مـــن الـــولا

ومـــا كبـــدي شـــوقاً إليـــك تكابـــد

وكتب إليْ في صبح يوم رقت حواشيه وطاب الصبوح فيه:

يـــا مـــن بمـــرآه وطيـــب حديثـــه تجـــلي غمـــومي

يـــا مؤنسي ـــ عنـــد اللقـــاء وبهجتـــي عنـــد القـــدوم

يـــا فـــرع دوح المكرمـــات الغـــرّ والفخـــر الجســـيم

مـــن محتـــد العـــز الوســـيم ومنبـــت الأصـــل الكـــريم

منها:

يـــا نـــور عينـــي يـــاحبيبي يـــا جليسي ـــ يـــا نـــديمي

نجـــل الشـــقيقة إن هـــذا اليـــوم معتـــل النســـيم

نســـجت بـــه أيـــدي الصـــبا للشـــمس ســـتراً مـــن غيـــوم

ومنها:

فـــــانهض لنغتـــــنم السرـــــور بطردنـــــا جـــــيش الهمـــــوم

واتـــــرك فلاســـــفة القـــــرون تخـــــوض بالبحـــــث الســـــديمي

وتقـــول أصـــل النـــاس مـــن طـــين ومـــن قـــرد ذمـــيم

وله موشح:

أذاع ســـــــــتراً أصـــــــــونه ســـــــــقمي

ومـــــا جـــــري قـــــط ذكـــــره بفمـــــي

وأعينـــــي فصـــــحت وقـــــد فضـــــحت

مـــــا في فـــــؤادي مـــــن لوعـــــة الألم

فيظهـــــــــر وهـــــــــو لا يقـــــــــال

ويُـــــــــذكر دون مـــــــــا ســـــــــؤال

صـــــبري كصـــــدر مـــــن الجـــــوى جـــــرح

فـــــإن أبـــــح مـــــا عـــــليّ مـــــن حَـــــرج

ونـــــار هجـــــر الحبيـــــب إن لفحـــــت

تطفـــــي بـــــدمع يفـــــيض كـــــاللجج

إذا مـــــــــر طيـــــــــف ومـــــــــال

وزوّرْ زورةً الخيـــــــــــــــــــــــــــال

ومنه:

وبهذا القدر من قلائده كفاية.

(وجملة خبر سجنه أنه كان ألّف في حداثته قصيدة سماها العرش والهيكل طبعت في مرسيليا ، وقد طعن فيه أشد الطعن على الملوك المستبدين ؛ فوشي بذلك عارف باشا والي حلب وناظم باش كاتم سره يومئذ (مكتوبجي) لعبارةٍ نُقلت إليهما على لسانه نقماها عَلَى المترجمّ له، ولم تكد تصل هذه الوشاية قصر السلطان عبد الحميد الظالم حتي صدر أمره بالسلك البرقي بسجنه، فقضي فيه عامين كانا عار الزمن اللئيم، وعيب العصر السقيم، قضي في ختامهما فجأة بدآه القلب في صبح الرابع والعشرين من شهر كانون الأول سنة 1892 عن ستة وخمسين عاما ، زجاها بين أسفار مستمرة وأحوال مرة وهموم مستقرة وهو يقاوم أمواج الخطوب، يلاقي إعصار الكروب، وسفينة حظه تعوم فتتقهقر، وخطواته إلي المعالي تكاد في الهواء تتعثر، وسهمه يطيش فلا يصيب، وقد أطرب نعيب الغربان وما أطرب هذا العندليب، فسبحان ميسر البخوت ورافع النحوت، ولما ذاع في المدينة نعيُّه وأظلم ذلك اليوم وأكفهرّ عشيُّته، تقاطر آله وأصحابه ونقلوه على عربة إلي منزلة والآداب تبكي وتعول عليه ، والقريض يندب ويولول حلواليه، وقد اندك للمكارم طود من أرفع الأطواد، وتقوض للعلوم عماد وأي عماد ، وهوي نجم الفصاحة اللامع وغار بدر المعارف الساطع.

عبد الـلـه المراش

لا نجد بداً من نقل ما كتبه علامة العصر الأخ الحبيب الشيخ إبراهيم اليازجي في ضياء السنة الثانية عند أخذه نعيه:

ورد علينا من أنباء مرسيليا ما شق على المسامع والقلوب، وتلقته الصدور بالانقباض والجباه بالقطوب، ألا وهو نعي وطنينا العالم النحرير المحقق، والكاتب البليغ المتأنق، المرحوم عبد الـلـه المراش الشهير أحد نوابغ العصر الحالي، بل أحد كواكب الشرق الذي حسدنا عليه الغرب فاستأثرنا به في أخري الليالي.

ودونك ما قاله في ترجمته:

هو الطيب الذكر عبد الـلـه بن فتح الـلـه المراش وشقيق المرحوم فرنسيس المراش الشاعر الكاتب المشهور ، من أسرة عريقة في الفضل والوجاهة معروفة بالعلم والأدب، ولد في حلب في 14 أيار سنة 1839 ونشأ بها وتأدب على والده وغيره ، فتلقي في حداثته مبادئ علوم العربية والخط والحساب، ثم دخل في أعمال التجارة فتخرج في فنونها ، ولما بدت نجابته فيها انتدبه جماعة من جلة تجار حلب لعقد شركة تجارية ينشئ لها محلا في منشستر من بلاد الإنكليز، فسافر إليها في سنة 1861 ولبث بها إلي سنة 1869 وأشتهر بما كان عليه من الأمانة والدراية ، فكان له مقام محمود بين معامليه.. إلي أن قال ثم أنتقل سنة 1870 إلي باريس فلبث بها إلى سنة 1882 وبعد ذلك فارقها إلي مرسليا وألقي بها عصاه ولم يزل مقيما بها إلي أن توفاه الـلـه في 17 كانون الثاني سنة 1899.

إلي أن يقول:

على أنه كان على حظ من الدنيا بلغ به مبلغ الرضى وهو الغني كله، فلم يكن بعد ذلك يحرص علي حشد الدينار، ولا يعاني الكسب، ولكنه انصرف إلي المطالعة والتوسع في العلم، وهو ما لم ينقطع عنه قط مع اشتغاله بالتجارة أيضاً. فإنه كان كثير الإختلاف إلي مكاتب لندرا وباريز يتصفح ما فيها من الأسفار قديمها وحديثها ولا سيما الخطية منه، فأدرك حظا وافراً من لغة العرب وتواريخهم وآدابهم ، وانتسخ منها عدة كتب

عزيزة ورسائل آخري كلها من غرر أثار الأقدمين ونوادر تأليفهم، إنتسخها بخطه مع العناية والتدقيق في مقابلتها وتصحيحها، وكان مليح الخط نقي الرقعة كثير التأنق كأكثر خطاطي حلب ...

وكان رحمه الله من أكابر أهل الإنشاء حسن الترسل سهل العبارة واضح الأسلوب، بصيراً باختيار الألفاظ والتراكيب، حسن النقد، حريصاً علي البلاغة ووضوح المعاني، وآخذاً بالنصيب الأوفر من قوالب فصحاء العرب، وألفاظ الخاصة من أهل الأدب، وكان مع ذلك متقناً اللغة الإنكليزية والفرنسوية والطليانية، يكتب فيهن جميعاً، وكان له باع طويل في التاريخ والفلسفة وعلم الأخلاق والأديان والشرائع المختلفة، مشاركا في كثير من علوم المعاصرين كالطبيعيات والهيئة وسائر الفنون الرياضية، وكان بصيراً بالسياسة مطلعاً علي أسرارها ودقائقها، وله في كل ذلك مقالات ورسائل شتي، منها ما هو باق بخطه، ومنها ما نشر في بعض الجرائد العربية في لندرا وباريز وجرائد ومجلات القطر المصري.

وأما صفاته الشخصية فقد كان ربعة القوام معتدل الجسم أبيض اللون طليق المحيا فصيح اللسان مهذب المنطق واسع الرواية لطيف المحاضرة ، وقد أتيح لنا لقاؤه عند مرورنا في مرسيليا في أواخر سنة 1895 وهو في نحو السابعة والخمسين من عمره وقد عمه الشيب وأنضجه السن والتجربة، فألفينا فيه رجلاً جليل القدر كامل الصفات، قد جمع بين رزانة الانكليز ورقة الفرنسيس وأريحية العرب، وكان على أعظم جانب من الزهد وخفض الجناح بعيدا عن الزهو والخيلاء، منزهاً عن الدعوي والكبر، حتي أنه مع سعة فضله ورسوخ قدمه في العلم والإنشاء، وإجماع المطالعين علي إستحسان كلامه كان يتفادي من ذكر أسمه في أكثر ما كتبه وما طبع له ويشترط ذلك علي كل من يروم نشر شئ من آثاره، وهذا ولا جرم من عنوان تمام فضله وتناهيه في الكمالات الإنسانية . اهـ ....

هذا ما رأينا اختصاره عن الضياء.

وأول عهدنا به في باريز، وكان يستنفر الأربعين وكنا نستقبل العشرين، ومنذ يومئذ اتصل بنا مراسلة لم يزدها مر السنين إلا تمكين ود وإخلاص، إلي أن قدر لنا الإجتماع ثانية في مرسيليا في أواخر سنة 1892 وأوائل سنة 1893 وظللنا بها أشهراً ولم نكن نخلو يوماً من الاجتماع به والتمتع بمحادثته وحلو عشرته، وكان إذا استبطأ قدومنا إليه أسرع إلي منزلنا ، وكان يعلم ما بيننا وبين الأخ الحبيب الشيخ إبراهيم اليازجي من الود القديم والولاء الصميم ويود الاجتماع به ومكاتبته، وكنا من قبل ذلك أعلمنا الشيخ بمنزلته وفضله وما بيننا من حقوق الود والمواطنة، وكان الشيخ شديد الشوق إلي لقائه، فلما التقاه في مرسيليا كتب الأخ المراش إلينا يقول- إذ كنا واسطة تعارفها -: قد أسعدني الزمان بلقاء صديقكم الأجل الإمام اليازجي ، وما زلت منذ دهر طويل - ولاسيما بعد فراقكم - أتشوق إلي لقائه والاجتماع به.

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغّرَ الخبر الخبرُ

وكتب إليا الشيخ يقول: قد رأينا صاحبكم كوكب المشرق طالعاً في سماء المغرب فشاهدناه كما وصفتموه وفوق الوصف.

وكان لصاحب الترجمة معرفة بحسون وبينهما صداقة ومعاشرة طويلة وكان ينشر في مرآه الأحوال بلندرا مقالات سياسة في غاية الإصابة ويمضيها باسم إنكليزي مستعار، وكان ينشر في برجيس باريز مثل ذلك ، وهي جريدة قديمة كان ينشرها في باريز الكونت رشيد الدحداح.

وكنا نود الإطالة في هذه الترجمة قضاءا لحقوق الود، وقياماً بما تستدعيه مرتبة هذا الإمام من العلم، ولعلنا نتمكن من ذلك في موضع آخر.

فرنسيس المراش[1]

(1) فرنسيس المراش (1251 - 1291 هـ) (1835 - 1874 م) : فرنسيس بن فتح الـلـه بن نصرالـلـه المراش. ولد في مدينة حلب. وتوفي فيها. قضى حياته في سورية وفرنسا ولبنان. تلقى تعليمه المبكر في حلب، ثم درس الطب على يد طبيب إنجليزي مدة أربع سنوات، وفي عام 1866 انتقل إلى باريس فالتحق بكلية الطب، ودرس فيها عامين أصيب خلالهما بمرض في بصره حال بينه وبين أداء الامتحان النهائي لنيل الدكتوراه في الطب فعاد إلى حلب. كتب مقالات في مجلة «الجنان» التي أصدرها بطرس البستاني في بيروت. كانت له مراسلات شعرية مع أشهر أدباء عصره كالشدياق واليازجي.

- صدر له «الكنوز الفنية في الرموز الميمونية» - حلب 1870 (رائية طويلة تقع في 33 صفحة من القطع المتوسط)، و«مرآة الحسناء» - مطبعة المعارف - بيروت 1872 (349 صفحة من القطع المتوسط).

- له عدد من الروايات منها: «الصَّدف في غرائب الصُّدف» - بيروت 1872، و«غابة الحق» - المطبعة المارونية - حلب 1865 (وهي من نوع اليوتوبيا - المدينة الفاضلة) - (ضمنها الدعوة إلى المثل العليا والسلام والعدل والمساواة)،- لها طبعة حديثة 2001، وله مؤلفات تتنوع بين أدب الرحلات وغيرها منها: «دليل الحرية الإنسانية» - حلب 1861، و«المرآة الصفية في المبادئ الطبيعية» - حلب 1861، و«تعزية المكروب وراحة المتعوب» - حلب 1864، و«رحلة باريس» - بيروت 1867، و«مشهد الأحوال» - بيروت 1870، و«شهادة الطبيعة في وجود الـلـه والشريعة» - بيروت - (ط 2) - 1892، وذكرت بعض المصادر أنه عرّب رواية عن الإيطالية لم تنشر. يعتمد في قصائده على الوصف والميل لاستخدام الاستعارة والتصوير، والإكثار من البديع، تغلب عليها نزعة التشاؤم، وتنم على حبه للعلم الذي منحه مساحة كبيرة جنح فيها إلى النظم حول المخترعات الجديدة، قلّ في شعره المديح والإطراء اللذان عدهما نوعًا من النفاق ينأى بنفسه عنه، نظم الموشحات، وبالرغم من معاناة شعره -المبكر خاصة- من بعض الهفوات التعبيرية، فقد تصح له صور نادرة. انظر :

1 - خيرالدين الزركلي: الأعلام .

2 - جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية .

4 - سامي الكيالي: الأدب العربي المعاصر في سورية (1850 - 1950) - دار المعارف - القاهرة 1959.

سامي الكيالي: محاضرات عن الحركة الأدبية في حلب - .

5 - عائشة الدباغ: الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

6 - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين .

7 - فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية

9 - لويس شيخو: الآداب العربية في القرن التاسع عشر

10 - مارون عبود: رواد النهضة الحديثة .

11 - منير مشابك موسى: الفكر السياسي العربي في العصر الحديث .

12 - يوسف أسعد داغر: مصادر الدراسة الأدبية.

- أحمد دوغان: أدباء حلب في العصر الحديث - جريدة الجماهير - حلب - يناير 1998.

- مارون عبود: مجلة الكتاب عدد (8).

1 - راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء.

2 - يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة.

من شعره : أفدي غزالاً

أفـــدي غـــزالاً غـــزا قلبـــي بنفرتـــهِ ... ومـــا عليـــه - رعـــاه اللـــه - مـــن حـــرجِ

ظبـــيٌ ســـبى مهـــجَ العشّـــاق حـــين رنـــا ... بـــأعينٍ دأبُهـــا تســـطو عـــلى المهـــجِ

حلـــوُ الشـــمائلِ ممشـــوقُ القَـــوام لـــه ... وجـــهٌ تســـامى بحســـن الرونـــقِ الـــبَهِج

يهتـــزّ كالأســـمر الخطّـــيّ مبتغيـــاً ... قـــتْلي، ويرنـــو كبِـــيض الهنـــد في الـــرَّهَج

ذو وجنـــةٍ كلّـــما قبّلتُهـــا سَـــحَراً ... تعطّـــرتْ نســـماتُ الصـــبحِ بـــالأرج

يـــا قـــاتلي بســـيوف اللحـــظِ وا أســـفي ... رفقـــاً لقلـــبٍ رمـــاه الشـــوقُ بـــالوَهَج

كـــم جئـــتُ أشـــكو تبـــاريحَ الصـــبابةِ بي ... لـــديكَ عـــلّيَ أحظـــى منـــكَ بـــالفرج!

فلـــم تُنِلنـــي ســـوى فـــرطِ القِـــلى ظُلْـــماً ... فراقـــبِ اللـــه يـــا جـــاني عـــلى المهـــجِ

عهـــدي بوجهـــكَ أن ألقـــاه مبتســـماً ... فـــما لـــه اليـــومَ أضـــحى غـــيرَ مبـــتهج؟

كيـــف السُـــلوُّ ولي رُوحٌ بحبّـــك قَـــد ... ذابـــت، وقلـــبٌ دَهَتْـــه فتنـــةُ الـــدَّعَج؟

وهـــل يُـــبرّد مـــا في القلـــب مـــن حُـــرقٍ ... ســـوى الوصـــالِ ورشـــفِ الثغـــرِ ذي الفَلَـــج؟

وا شوق قلبـــي

وا شـــوقَ قلبـــي لأحبـــابٍ نـــأوا فأنـــا ... لـــدَرّ دمعـــي غـــرابُ البـــينِ ينتهـــبُ

زَمّـــوا الرحـــالَ غـــداةَ البـــين وارتفعـــوا ... عـــلى «قُويـــقَ»، فعـــاد الهـــمُّ ينتصـــب

وقـــد تبـــدّتْ رؤوسُ السرـــوِ في حلـــبٍ ... تـــدعو تُقـــرّبكم مـــا الـــريحُ تنتشِـــب

وتلـــك قلعتُنـــا الشـــمّاءُ باســـطةٌ ... لقـــربكم ســـاعدَيْها وهـــي ترتقـــب

حصـــنٌ أقـــامَ بجـــوف الأرضِ أرجلَـــه ... إذ قـــد أحاطـــت بعـــالي رأســـه السُّـــحُب

فكـــم عـــلى صـــدمات الـــدهرِ قـــد صـــبرتْ ... أســـوارُه حيـــث لم يصـــدَع لهـــا جَنَـــب

هـــا أنـــتِ يـــا قلعـــةَ الشـــهباءِ لُحـــتِ لنـــا ... مثـــلَ الشـــهاب وهـــا فيـــكِ ازدهـــتْ حلـــب

فكـــم عليـــكِ ملـــوكُ الأرضِ قـــد نَصَـــبتْ ... رايـــاتِ حـــربٍ ولم يـــنجح لهـــم نُصُـــب!

كـــــذا لـــــوَتْ بالصـــــليبيين قهقـــــرةٌ ... لمّـــا أتـــاكِ صـــلاحُ الـــدين والعـــرب

كأنهـــا حـــين تبـــدو ضـــمنَ خنـــدقها ... بـــدرٌ عـــلى هالـــةٍ قـــوراءَ منتصـــب

ارحـــمْ أخـــاً كـــاد هـــذا البـــينُ يقتلـــهُ ... حتّـــامَ عـــن مُقَـــل الأصـــحابِ تغـــترب؟

الحسن يمنح

الحســـــنُ يَمـــــنح والتـــــذلّلُ يَمنـــــعُ ... والقلـــــبُ يعشـــــق والتعقّـــــلُ يـــــردعُ

حســـــناءُ ينـــــتعش الفـــــؤادُ بهـــــا فمِـــــن ... وجناتهـــــا وردُ الصّـــــبا يتضـــــوّع

دانـــــت لهـــــا دولُ الجـــــمال بأسرهـــــا ... وعنـــــتْ لطلعتهـــــا البـــــدورُ الطُّلّـــــع

يـــا ربّـــةَ الحُســـنِ الـــذي ســـلبَ النهـــى ... كـــم لي لـــديكِ تَـــذلّلٌ وتَخشّـــع!

حتّـــامَ تفتـــك بـــالفؤاد يـــدُ الجـــوى؟ ... وإلامَ دمعـــي كالســـحابة يهمـــع؟

رفـــع الهـــوى قلبـــي وأنـــتِ خفضـــتِه ... والصـــبُّ يُخفَـــض بـــالغرام ويُرفـــع

مهـــما فعلـــتِ مـــن الجفـــا فهـــو الوفـــا ... إذ لـــيس في قلبـــي لغـــيرِكِ موضـــع

مهاة البان

ألا يـــا مهـــاةَ البـــانِ رفقًـــا بمُغـــرِمٍ ... ســـبى عقلَـــه خـــدٌّ بـــه قـــد زهـــا الـــوردُ

رعـــى اللـــه أيـــامَ اللقـــاءِ فإنهـــا ... تُعيـــد التهـــاني للـــذي ضـــامه البُعـــد

ويـــا قاتَـــلَ اللـــه الفـــراقَ فكـــم بـــهِ ... حملـــتُ عـــذابًا لـــيس يحملـــه الصَّـــلد!

فسُـــحْقًا لهـــذا الـــدهرِ كـــم هـــو غـــادرٌ ... ولـــيس لـــدهرٍ قـــطُّ يـــا صـــاحبي عهـــد

حبيـــبٌ لقلبـــي طالمـــا راح ذكـــرُه ... يـــروقُ لســـمعي، فهـــو لي في الظـــما وِرْد

جادت

جـــادت لنـــا بوداعهـــا إثْـــرَ السُّرى ... تلـــك التـــي بخلـــتْ بطيـــفٍ في الكـــرى

قربـــتْ فكانـــت في الفـــؤاد نـــدًى، ومـــذ ... بعـــدتْ غـــدت نـــارًا بـــه فتســـعّرا

هيفـــاءُ هـــزّت أســـمرًا مـــن قَـــدّها ... ومـــن العيـــون النُجـــل سَـــلّتْ أبـــترا

فخُـــدودها تُبـــدي لعينـــي جَنّـــةً ... ورُضـــابها يهـــدي فـــؤادي كـــوثرا

يـــا نســـمةً مـــن أرض نجـــدٍ قـــد سرتْ ... هيّجـــتِ وجـــدًا دونـــه نـــارُ القِـــرى

ولد بحلب سنة 1835 وتوفي بها سنة 1874 .

وهو ابن فتح الله المراش أحد أفراد قطره ووحيد عصره علماً وذكاءً ، وشقيق المترجم المتقدم ، وأحد أفراد العصر الأخير، ونابغة من نوابغ الشعراء ذوي النظم الغزير والنثر الكثير، لطيف التخيل بعيد عن التكلف، قد جانب التعمل والتعقيد والتعسف، يباري فكره البرق، ولا يجاري في سبق.

متدفق القريحة، حاد البادرة، غزير المادة، ماضي السليقة، ملأت شهرته الأقطار العربية، ولاسيما البلاد المصرية، ولم نزل نحفظ عمن روي لنا من أصدقاء هذا البيت أن العلامة عبد الله هو البكر، حتي عاودنا قراءة رسالة عنوانها رحلة باريس للمترجم فرأيناه يقول فيها: " وفي اليوم الواقع في 7 أيلول سنة 1866 وأنا داخل في دائرة الثلاثين- يريد من العمر- خرجت من أبواب الشهباء" فصح عندي أنه هو البكر وأنه ولد في سنة 1835 ، إذ كان مولد أخيه عبد الله سنة 1837 كما تقدم، وهنا ننقل ترجمته إلي سن الثلاثين عن رسالته المذكورة بالحرف قال: فلما أدركت رشدي وبلغت أشدي دخلت هذا العالم لأتحسسه وأري كيف يجب اعتباره مني، وعلي أي وجه، وبالنسبة إلي أي مادة ...

في مدح شاعر(تتمة قصيدة في المتن)

لا كنتُ صبّاً صبا للخدّ والخالِ ... إن كنتُ أسمع عذلَ العاذل الخالي

يا من مددتم إلى لوم المحبّ يدًا ... لا تعذلوا فأنا راضٍ بذي الحال

أعطافُها ثملتْ من خمر مقلتها ... فتِهْنَ سُكْرًا ومِلْنَ ميلَ آسال

زادت محاسنَ حتى خلتُها اقتبستْ ... من حسن طلعةِ جبرائيلَ دلاّل

فرعُ الأصائلِ بل أصلُ الفضائلِ مَن ... قد حاز كلَّ مقامٍ زاهرٍ عال

صدرُ المجالسِ نبراسُ الدوامسِ مِظْ ... هارُ النفائسِ نَدْبٌ خيرُ مِفضال

فلم أجد بضاعة أشرف من إنتقاد هذه الحوادث والبحث عن حركات هذا العالم، رغبة بنيل علم المحيطات حولي والمقدر علي التأسي في أسى الدنيا، غير ملتفت إلي ما رأيت من السؤ الذي يلحق بتبعة هذه البضاعة.

فانخرطت في سلك طلبة العلم وأخذت أخوض تلك العباب التي ليس لها قراب وأنا في سن الأربعة عشر، ولم أزل أبخع مع الباضعين حتي بلغت العشرين ، وهنا شرعت أمتحن نفسي- لأري ماذا جنيت من الثمرات، فلم أجد في مخيلتي حينئذ سوي كمية وافرة من ألوف مسائل ومشاكل العلم العربي، ولم أعثر في خزانتي غير علي كتب مطولات مختصرات في النحو والصرف وما يلحقهما. وإذ تأملت الفائدة لم أجدها سوي نظم الشعر، فها أنا شاعر إذا أراد شعراء العصر- ولكني رأيت جملة أضرار تقابل هذه الفائدة وتنازعها الوجود، وهي أولا كساد سوق الشعر ومقت العامة له جهلاً بشرفه وكونه صناعة لا يوجد في عالم الأدب أجمل منها، وميزة أودعها الله في الأنفس التي شاء لها الإنفراد.

فأوحت إليّ كراهتي تلك الفائدة المفتداة بأفخر سني حياتي أن أنعكف إلي طلب العلوم العالية واللغات، فأخذت أتتبع أثرها عند علماء ماهرين ، إن يكن من بني المغرب أو من أولاد المشرق ، وصرت أخلو بنفسي منكباً علي الدراسة ليلاً ونهاراً، ولم ألبس أن أتفق لي أحد مهرة أطباء الإنكليز، فألقيت ثقلتي علي مسايرته وبدأت أدرس عليه العلوم الطبية وأنا في سن الخمسة والعشرين ، ولم أزل أن هضمت أربع سنين كوامل علي مائدة هذه الدراسة حتي صرت طبيباً علي رأي المعلم وجهولاً لدي نغول المدارس.

فشرعت أباشر الأمراض متلاعباً بصناعة أبو قراط، وداومت علي ذلك نحو سنة، ثم أوعز إليّ ضميري أن أرحل إلي مدينة باريس محط عرش الفرنسيس لكي أنضم في سلك مدرستها الشهيرة حيثما يأخذ الدارس حقه ويحصل علي ما لا يوجد خارجاً.

وفي اليوم الواقع في 7 أيلول سنة 1866 وأنا داخل في دائرة الثلثين خرجت من أبواب الشهباء الخ"

وقد أجاد في وصف الطريق التي قطعها بين حلب والإسكندرية غاية الإجادة، وهو كان ولوعاً بالتشبيه والمجاز،ولا عجب فإنه كان ذا فطرة شعرية إلي غاية ليس وراءها غاية قال:

" فما بلغت الإسكندرونة ميناء حلب، إلا وأنا نضو التعب والوصب ، لأن المشقة التي كابدتها في طي هذه الشقة كانت غاية.

أوعار ملقاة في وسط الطريق كأنها أمواج البحر الجامد معدة لتمزيق سفن البر، قفار محرقة لا ينبت فيها سوي شوك القتاد وهوام السموم ، صخور منفردة في العراص الخالية كأن الأيام نخرتها والرياح صقلتها لتكون أوتاداً لمضارب الخراب والكئابة، جبال صلعاء القمم معممة بسحب القتام ولا ميزة لها سوي الشموخ إلي السماء ، فهي كالجاهل المتكبر والأحمق المدعي ، تلال وعرة خشنة وهضاب مجدبة ممحلة منفردة كاللصوص في درب أبناء السبيل لنهب راحتهم وقطع طريقهم وتهشيم حوافر دوابهم، وهي ليست مأهولة سوي بأوكار الأفاعي وأوكار الحشرات، أوديه تدوي بهدير المياه الهابطة من ينابيعها لخطف المارين، وأوهاد فارغة الأفواه لابتلاع السالكين علي شفاهها وهضمهم في ظلمة وظلال الموت ... قناطر مقطعة الأوصال هابطة تحت ثقل الشيخوخة ودوس أقدام الزمان....

وفي أحد مراحل هذا الطريق إنفردت مساءا إلي جهة في تلك البرية الساكتة ، وجلست علي صخرة مضجعة في حضن الوحدة ، وأخذت أتأمل هذه الفلاة الحزينة بينما كانت شمس الغروب تصبغ وجه الطبيعة بصفة المنون والأفق يحيل علي سراج الشفق ثوب الظلام .... وحينئذ أسالت جمرة الفراق جمود قريحتي فهرعت إلي القلم ونقشت أبياتا من الشعر . "

ومن محاسن شعره كانت الأبيات التي أشار إليها وأولها :

هـــــداةُ السرـــــي مهـــــلا فهـــــذي خيامهـــــا

وتلـــــــــــك روابيهـــــــــــا وذاك غمامهـــــــــــا

قفـــوا ســـاعة نشـــتم رائحـــة الحمـــي

هنـــا علقـــت روحـــي وطـــال هيامهـــا

هنـــا لي مـــن الغـــادات مـــن لـــو تبســـمت

لـــدي الـــبرق لـــيلاً لأزهـــاه ابتســـامها

ومنها:

فهـــل ذكـــرت تلـــك المنيعـــة في الخبـــا

شريـــداً طـــماه البـــين وهـــو غلامهـــا

وهـــل علمـــت أســـماء وهـــي عليمـــة

صـــبابة نفـــس قـــد تســـامي مرامهـــا

نســـيم الصـــبا هـــل قـــد عـــثرت بردنهـــا

فمطـــــرت أم لي معـــــك آتِ ســـــلامها

❁ ❁ ❁

تقلبنـــي الـــدنيا عـــلي موقـــد الـــبلا

ولي همـــــة في الصـــــبرعز انصرـــــامها

ويُجـــري عـــليّ الـــدهر جـــيش خطوبـــه

ومـــا أنـــا ذا نفـــس يهـــون اقتحامهـــا

ومـــن عـــرف الـــدنيا وأدرك سرهـــا

تســـاوي لديـــه حربهـــا وســـلامها

علي أنه لم تطل إقامته في باريز إذا أصيب بها بشلل في أعصاب بصره فعاد إلي حلب ثم فقد النظر بتاتاً، وله في رثاء عينيه قصائد غاية في النوح يكاد يتفجر لها الجماد شجناً، وكان يستعين بأصحابه في كتابة ما يؤلفه.

وقد يتحير الناقد البصير، فيما يجده من أغلاط اللغة، وركاكة التعبير، وضعف التركيب في المقدمة التي نقلنا شيئاً منها في هذه الترجمة، ويملكه الاستعجاب لدي تيقنه أنها من قلم المترجم له، علي بعد شهرته في عالم التأليف، وسعة فضله، فلا يتوقف عن البحث الإنتقادي ليعلم السبب، علي أنه إذا راجع اعتراف المترجم به بقوله: " لم أعثر في خزانتي غير علي - يريد إلا على- كتب مطولات ومختصرات في النحو والصرف وما يلحقهما": ثبت لديه أن فاضلنا لم يكن قرأ يومئذ من كتب الفصحاء كأدب الكاتب، والبيان التبيين، والكامل، والعقد الفريد، ومقدمة ابن خلدون، وغيرها ولا عجب في ذلك فإن المطبوع منها في أوروبا ومصر كان بعد ذلك التاريخ، وما طبع منها كان قليلاً وغالي الثمن، أما الخطية منها فكانت أندر من الكبريت الأحمر، ومن المعلوم أنه لا يتوصل إلي صناعة الإنشاء إلا بالإكثار من قراءة كتب البلغاء والفصحاء من الكتاب ، ومما زاد من الطين بله، أن شاعرنا لم ينته من طلب العربية، حتي عكف علي درس الفرنسوية والطليانية، ثم أقبل علي دراسة الطب فأين الفصاحة، وسلامة التركيب، وحسن اللفظ ، وعلي الجملة أين براعة الإنشاء من ذلك. على أنه بعد عودته من باريز وعكوفه علي الكتابه، تبدل أسلوبه فهجر المبتذل وندرت الأغلاط فيه، كما يري من مراجعة كتبه، ولا سيما مشهد الأحوال ، فقد ضمنه من الموضوعات الطبيعية والفلسفية والإجتماعية والحكمة الغزل طائفة وافرة، ونحا فيه نحو المقامات الهمزانية والحريرية واليازجية، وإن كان بينه وبين الفصاحة شأو بعيد ، إلا أن أغراض مشهد الأحوال أغراض عصرية، وفيها من الفائدة والفكاهة قسط جليل، وذهب في التخيلات فيه مذهبه في الشعر، وهو فطريّ فيه ، وإذا تبصرت فيما ألفه في هذه المدة الوجيزة، أي منذ عودته من باريز إلي وفاته، وهي مدة لا تتجاوز ست سنوات سقط منها قسم كبير قضاه في المرض ، أيقنت أن هذا الرجل الكفيف أوتي من حدة الذهن

وسرعة الخاطر وغزارة المادة وجودة القريحة والألمعية، ما كان فيه نسيج وحده، فإنه ألف أكثر ديوانه الكبير المشهور بمرآة الحسناء. وقصيدة تبلغ نحو خمسائة بيت عنوانها الميمونة ضمنها ذكر حادثة مشهورة ، ورواية كبيرة سماها درُّ الصدف في غرائب الصدف (يريد المصادفات) وكتاب أخر سماه غاية الحق. وعرب رواية كبيرة عن الطليانية لم تطبع فيما نعلم، ومشهد الأحوال المذكور، ومقالات في مجلة الجنان، ومساجلات ومبادلات جدلية، وكاتبه شعراء عصره والعلماء والفضلاء من كثير من الأقطار، إلا أنه كان قليل التثبت فيما يكتب فبدرت من قلمه أغلاط في اللغة وألفاظ عامية استدرج إليها كقوله:

صدحت بلابله الأراك صباحاً فأهاجت البلبال والأراحا

والبلبل يجمع علي بلابل، ولم يسمع بجمعه علي بلابلة، وقالوا هاج وهيج ولم يرد لهم أهاج وكقوله:

والهوي بالأشواق يصدع قلبي والنوي بالأتواق يفني عظامي

فالأتواق لم ترد في شعر قديم ولا حديث، جمعاً لتوق، وكأنه قاسها علي أشواق، ومعلوم أن أكثر الجموع رهن النقلة، وأكثرها يؤخذ بالسماع ، والقياس هنا غير جائز، هذا عدا أن التوق هو الشوق بعينه، والتكرار هنا غير مستملح، والذي ساقه إلي ذلك هو التهافت علي الجناس ، ولعله من أول شعره ، ومن العامي الذي استدرج إليه كثيرون بعده قوله:

أحرمتني مرسح طيفك هل تحرمني فكري إذا مثّلك

والمرسح لفظ عامي كما هو معلوم، ولعله مقلوب مسرح من قولهم سرحت طرفي في كذا مجازاً ، وهو من التسريح أي الإرسال ، والمسرح هو المرعي كما في كتب اللغة.

أما وصف شاعريته فذلك غرض بعيد، فقد كان الرجل شاعراً في نثره ومرسله، شاعراً في تخيله إلي الغاية القصوى، لا شاعر أوزان، أو نظام ألفاظ موزونة ككثير ممن

عرفنا، فإن تخيلاته كانت تزاحم ألفاظه بل كانت تعجز عنها ، وإليك شيئاً من حسنات شعره الكثيرة، قال من قصيدة:

فهل ليل يروح ولا اضطراب

وهل صبح يلوح ولا انسجامُ

وصبح ليلهُ أحيا جفوني

بطيف كان يحييه الظلام

أفقت مودعاً وسني وقلبي

به من ذلك الطيف اضرّام

وأحشائي تذوب وكل عضو

به جرح ولم يرهف حسام

هرعت إلي الهضاب ولا رفيق

يؤانس وحدتي إلا الغرام

هناك لوحشتي وادِ أنيس

تظلله الروابي والآكام

تلوح عرائس الأفكار فيه

سوافر لا قناع ولا لثام

ولا تخشي ذبولا من هجير

فمن شجر الأراك لها خيام

هنـــــــا دوح تمـــــــد شراع ظـــــــل

وثيقـــــاً مـــــا لعروتـــــه انفصـــــام

عـــــلي جوزهـــــا وصـــــفا أثـــــيراً

بـــــه الأوهـــــام تســـــبح لا الهـــــوام

هنـــــا النسرـــــين تحـــــت طرنجبيـــــل

يفـــــوح كـــــذا البنفســـــج والخـــــزام

ومنها:

وبينـــــا كنـــــت في ســـــكري صريعـــــاً

بـــــذا الـــــوادي ولا خمـــــر وجـــــامُ

شريـــــداً مـــــا لأفكـــــاري قـــــرارُ

أروم ولســـــت أدري مـــــا المـــــرام

إذا بنـــــت الصـــــباح بـــــدت وحيَّـــــت

عـــــلي الـــــدنيا وحيتهـــــا الأنـــــام

فغـــــار الـــــنجم وانمحـــــت الثريـــــا

وأخفـــــي وجهـــــه البـــــدر الـــــتمام

ولاح مـــــن الظـــــلام الكـــــون يزهـــــو

كزهـــــر عنـــــه تبتســـــم الكـــــمام

وراح الظـــــل يهـــــبط في المهـــــاوي

ويســـــتعلي عـــــلي القمـــــم الغـــــمام

عبـــــيرُ قلـــــت فـــــاح مـــــن المـــــوافي

فـــــما هـــــذا بشـــــامُ أو ثمـــــام

إذا صـــــنم الجـــــمال بـــــدا أمـــــامي

وقـــــال عليـــــك يـــــا عبـــــدي الســـــلام

كلها علي هذا النسق الأنيق.

وله من قصيدة:

عجبـــــاً روض رضـــــاكم مـــــا حـــــلُ

رغـــــم أجفـــــان لـــــه أضـــــحت غمامـــــاً

غَـــــدرُكم علمنـــــي حفـــــظ الوفـــــا

مـــــذ جعلـــــتم يقظـــــة الحـــــب منامـــــا

ومن أخري:

مـــــا علـــــيكم قـــــط منـــــي عتـــــب

بـــــل عـــــلي قلـــــب بكـــــم ضـــــج وهامـــــا

أننـــــي ملكـــــتكم قلبـــــي فلـــــم

تحرســـــوا الملـــــك ولم ترعـــــوا مقامـــــا

ومنها:

كانـــــت الـــــنفس لكـــــم عاشـــــقة

حـــــين كنـــــتم عـــــروة تـــــأبي إنقصـــــاماً

فـــــــــبمن عوضـــــــــتموني يـــــــــاتري

هـــــل اتخـــــذتم عـــــوض النـــــور ظلامـــــاً

يـــــا ربوعـــــاً قـــــد رعـــــي غـــــيري بهـــــا

لا ســـــقاك اللـــــه مـــــن بعـــــدي الغـــــمام

كنـــــــت للآســـــــاد غابـــــــات وهـــــــا

للكـــــــلاب اليـــــــوم أصـــــــبْحت مقامـــــــاً

ومن إحسانه في مشهد الأحوال:

مـــــــا للمليحـــــــة غضـــــــبي لا تكلمنـــــــي

كأنهـــــــــا بي لم تســـــــــمع ولم تـــــــــرني

مـــــــا بـــــــال أعينهـــــــا في الأرض مطرقـــــــة

وكلـــــــما أطرقـــــــت عينـــــــاي ترمقنـــــــي

ونحـــــن في مجلـــــس قـــــد قـــــام مـــــن نخـــــبِ

فمـــــن عـــــذول ومـــــن واش ومـــــن خشـــــن

ليـــــت المليحـــــة تـــــدري أننـــــي كلـــــفُ

بهـــــا إلي غيرهـــــا مـــــا ملـــــت في زمنـــــي

وقال:

عـــــــلى صراط مســـــــتوي مســـــــتقيمّ

ســـــلكتُ والنـــــاس حيـــــاري تهـــــيمْ

يضـــــــج فـــــــوق الأرض ســـــــكانها

شـــبه ذبـــابِ فـــوق شـــئ وخـــيم

كـــذا تـــري الـــدنيا عيـــون الـــورى

كـــما تـــري العقـــرب عـــين الفطـــيم

وقال يمدح صديق صباه الشاعر المشهور جبرائيل الدلال السابق الذكر:

لا كنـــت صـــبًّا صـــبا للخـــد والخـــال

أن كنـــت أســـمع عـــذل العـــاذل الخـــالي

يـــا مـــن مـــددتم إلي لـــوم المحـــب يـــداً

لا تعـــذلوا فأنـــا راض بـــذي الحـــال

ومنها:

أعطافهـــا ثملـــت مـــن خمـــر مقلتهـــا

فـــتهنَ ســـكراً وملـــن ميـــل أســـالِ

زادت محاســـن حتـــي خلتهـــا اقتبســـت

مـــن حســـن طلعـــة جبرائيـــل دلالَ

فـــرع الأصـــائل بـــل أصـــل الفضـــائل مـــن

قـــد حـــاز كـــل مقـــام زاهـــر عـــال

صـــدر المجـــالس نـــبراس الـــدوامس مظهـــار

النفـــائس نـــدبُ خـــير مفضـــال

وقال يجيبه علي قصيدته الدالية:

محـــــاجر صـــــب ســـــافحات ســـــواهدُ

لهـــــن الغـــــوادي والـــــدراري شـــــواهدُ

وقلـــــب هـــــين الســـــير في ســـــبل الـــــولا

ولـــــو حـــــادت الجـــــوزاء مـــــا هـــــو حائـــــد

ومنها:

جفـــــاني أحبـــــابي وأهـــــلي ومعشر-ـــــي

ومـــــا عـــــاد لي مـــــنهم ســـــوي الضرـــــ عائـــــد

وصرت غريبـــــــاً في ديـــــــاري ومعهـــــــدي

ولم يبـــــــق لي بـــــــين الأنـــــــام معاهـــــــد

ومنها:

فهـــــــل أنـــــــت يـــــــا دلال إلا أخ بـــــــه

ظنـــــــوني عـــــــلي فـــــــرش اليقـــــــين رواقـــــــدُ

ومنها:

بمثلـــــك يـــــاراعي الـــــذمام نشـــــائدي

فمثلـــــك مـــــن تعتـــــزُّ فيـــــه الشـــــائد

فأنـــــت عـــــلي بـــــرجيس أربيـــــت مهيعـــــاً

وحـــــطَّ لـــــدى عـــــالي ذكـــــاك عطـــــارد

لبســـــت ثيـــــاب العـــــز والعـــــزم والحجـــــى

فعـــــدت فتـــــي تخشيـــــ لقـــــاك العوائـــــد

وختامها:

وقـــــد زاد كيـــــل البعـــــد بعـــــد امتلائـــــه

ألـــــيس أخـــــا النقصـــــان مـــــا هـــــو زائـــــد

وتعداد إحسانه تضيق عنه هذه الترجمة ، وبهذا القدر من قلائده كفاية .

الشيخ : محمد نور الدين الترمانيني

ولد في ترمانين سنة 1201 وتوفي بحلب سنة 1250 في الثالث من ذي الحجة 1786- 1854.

هو ابن عبد الكريم ابن أحمد بن نعمة الـلـه الترمانيني ، وترمانين إحدى قري حلب الغربيـة وأصل اسم القرية دير رمانين أو رومانين ، حسبما صحح ذلك صديقنا العالم المؤرخ المحقـق الأسـتاذ عيس المعلوف في ترجمة الشيخ المترجم عليه كما أفادنا بإحدى رسـائله الأخوانيـة ، وأنهـم يسـمون بيت الشيخ أحد متقدمي العلماء في القـرن التاسـع عشر- وطليعـة أنـوار الأدب في ظلـمات الجهـل الأغبر، أتم علومه في الأزهر بمصر ثم عاد إلي حلب إذ كان والده قطن بها قبل سفره ، ثم تقلـد بهـا التدريس في الجامع الأموي ، وكانت حلب حينئذ في أشد الحاجة إليه لتقلص أنوار العلم عن ربوعها منذ عهد طويل، ثم سمي بمفتي الشافعية فيها.

وله شرح علي عقود الجمان في المعاني والبيان، وشرح علي المنهج، وشرح علي مـتن الأجروميـة، وكثير غير ذلك من الشروح والحواشي ، وله شعر لم يصل إلينا منـه إلا القليـل، فمـن ذلـك تخمـيس قصيدة للشيخ عبد الغني النابلسي ، قال:

ما هذه الدار للأخيار من دار * إن كنت تدري فماذا الهم ياداري

فاصبر إذا دارت الأيام أو دار * من عادة الدهر صفو بعد أكدار

فلا تكن فيه في هم وأفكار

إياك تغتر بالأوقات تصرفها إلي المعاصي أو الأغيار تعرفها

واغرس ثمار التقي والزهد تقطفها واترك غرورك بالدنيا فزخرفها

غرَّ الفراش فارمي النفس بالنار

من رام تصفو له أيامه غلطـا لا بد لليسر من عسر وإن سخطا

فكن إذا جاءت الأيام منبسطا واصبر إذا ضقت ذرعاً والزمان سطا

لا يحصل اليسر إلا بعد إعسار

وله مقامه في وصف الزلزلة بحلب المشهورة بزلزلة سنة 1237 (1823) في الساعة الثالثة بعد الغروب ، قال:

... وما ذاك إلا دويّ كدرب الصواعق تتدكدك من هوله الشوامخ والشواهق ... ونفضتنا الأرض عن ظهرها حتي قربنا من السماء، وكدنا نغترف من السحاب الماء، ثم هبطنا إلي الحضيض الأسفل وعدنا لما وصلنا إليه خمس مرات متواليات، حتي ظننا أن الأرض اختلطت بالسموات ، .. فبينما نحن في هذا الحال إذ نزلت علينا شهب من السماء تتلامع ، ورآها غالب من ذات العواصم تتابع .... فبعد خمس من الدقائق نظرنا إلي أنفسنا كأننا خرجنا من القبور وعلينا التراب مغط للثياب والشعور، ثم التفتنا إلي القصور والربوع فرأيناها قاعاً صفصفاً كهيئة الجبال يوم النشور، فافتقدنا الأقارب والأباعد فإذا من فقد منهم عشرة آلاف ....

أخوه ..... الشيخ أحمد الترمانيني الشهير

ولد بحلب سنة 1204 وتوفي بها سنة 1293 في ربيع الثاني .

1790- 1876

شيخ العلماء، وأستاذ الفضلاء، وأوحد الصلحاء وقدوة الحكماء كان أمة في الكمالات الإنسانية، وعنوان الزهد والفضائل والأمية، فإذا ذهب في الأسواق لقضاء حاجاته، تسابق الناس إلي لثم راحاته، وهو يدفعهم عنه بالشمال واليمين ويستغفر الله عن المؤمنين وكأنه أذنب إليهم أجمعين.

ولم يكن له ولد ذكر ، فكان يحمل علي كتفه لقن العجين إلي الفرن - وكان قد جاوز الثمانين - فيتزاحم من يراه من الناس لحمله عنه ، فينتهرهم قائلا أألهيكم عن أعمالكم اذهبوا عني إلي مصالحكم، وكان لفرط سذاجته يجهل ما له في قلوب الناس من الحرمة والتوقير، ويطول الكلام عن صلاحه وتقشفه ومكارم أخلاقه ، وما ذكرناه غيض من فيض.

وظل يدرس في الجامع الأموي بحلب دهراً طويلاً، وكانت لوفاته رنة حزن في قلوب سكان حلب علي اختلاف الأديان، كأن كل من عرفه أصيب بأعز الأخوان.

أما مؤلفاته فكثيرة جداً نذكر منها شرح الشمسية في المنطق، وشرح علي منظومة الخانية في المنطق أيضاً، وهداية الأنام في توريث ذوي الأرحام، وكتاب الجامع في الكيمياء، وشرح الشافية، وحاشية علي شرح الفاكهي ، وشرح تائية السبكي في المغازي، وشرح منظومة الصبّان في العروض، وحاشية علي شذور الذهب ، وتلخيص العبارات الرائقة علي البيضاوي، وحاشية على الجلالين، ورسالة في العلم الروحاني، وشرح علي ورد السحر الخ....

الشيخ عبد السلام الترمانيني [1]

(1) عبدالسلام الترمانيني (1238- 1305هـ) (1822-1887م): عبدالسلام بن محمد نور الدين بن عبد الكريم بن أحمد الترمانيني. ولد في مدينة حلب وتوفي بها. عاش في سورية ومصر وفلسطين ولبنان. حفظ القرآن الكريم وأتقنه، ودرس أصول كتب النحو والمتون والتحريرات النحوية التي ألفها والده، ثم انتقل إلى القاهرة (1834م) لتلقي العلوم والفنون في الجامع الأزهر، فدرس النحو والفقه والأصول والحديث والتفسير طوال ست عشرة سنة نال فيها إجازة علمائه، ثم عاد إلى حلب (1850م) عندما طلبه عمه.

عمل بالتدريس في جامع الصروي بحلب، ثم في المدرسة الرحيمية، ثم في تدريس الحديث في الجامع الأموي أمام الحضرة بحلب، وكان له مريدون وطلاب كثر.

- له في كتاب «معالم وأعلام» عدة مقطوعات وقصيدة تهكمية فيمن سرق شعره وادعاه لنفسه، هذا وقد ذكر أنه جمع من نظمه ديوانًا معظمه في المديح النبوي، ولكنه مفقود.

- له في الرسائل: مؤلَّف يجمع مراسلاته مع أحبائه بمصر وغيرها، وبه إجازاته من مشايخه وتلاميذه، والتحريرات المتنوعة، وله كتب في الفقه والحديث، منها: «ذخائر الآثار في تراجم رواة الحديث والآثار»، و«تذكرة الوعاظ لجميل المعاني والألفاظ»، وله رسائل وتقريرات وحواشٍ في الفقه والأصول والنحو.

يميل شعره إلى التشبع بروح الدين، وتغلب عليه الدعوة إلى الفضائل والقيم العليا، ويكثر فيه الغزل العفيف، والحكمة الدينية والدنيوية التي يستخلصها من الحياة وأحداثها، وله في مخاطبة الأصدقاء وخَطْب ودِّهم شعر كثير رقيق اللفظ والمعنى، وينم شعره على عَالِم فقيه نظّام في دقة وعناية. انظر :

1 - أحمد قدامة: معالم وأعلام - القسم الأول، القطر السوري .

3 - محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (جـ 7)

من شعره : وافت إلينا

برأسها ودموعُ العين تنهمل ... فقلت: لا تحزني قالت: ألستَ ترى

تداولتْنيَ في طول المدى الدُّوَل؟ ... حتى وصلتُ لأقوامٍ لهم همَمٌ

تحت الثرى ودواعٍ تحتها زُحَل ... يستقرضون قريضَ الشعر وا عجبًا

ويدَّعيه الفتى منهم وينتحل ... بالنقل لا العقلِ جهلاً حرَّفوا كَلِمي

وأوجبوا كسْرَ قلبي حينما نقلوا ... فقلتُ: باللهِ طيبي النفسَ وانشرحي

وسامرينا ولا تأسَيْ بما فعلوا ... أتعجبين وهذا العصرُ قد كثرْ

فيه اللصوصُ ولكنْ أمرُهم جَلَل ... وكلُّ مَنْ يدَّعي ما ليس يُحسنُه

ولد بحلب سنة 1238 وتوفي بها في الثامن من ربيع الأول سنة 1305

1887 – 1822

هو ابن الشيخ نور الدين السابق الذكر ، إمام من أئمة ذلك البيت الكريم ، وفرع تلك الدوحة التي يشار إليها بالتعظيم، أخذ العلم عن أبيه وعمه ولله ذلك الوالد والعم. وطلع في فلك الشهباء بدراً ومن يشابه آباه فما ظلم، كان آية في محاسن الطباع وعلي غاية بعيدة من اللطف والإتضاع ، حدثنا الصديق الفاضل الأستاذ ميخائيل الصقال قال : زرته وأنا يومئذ فتي أستفيد في معني نظمته ،وكان أحد الأدباء أنكر عليَّ صوابه، فأقبل علي الشيخ رحمه الله بوجه طلق وأكرمني إكراماً يفوق قدر سني وسألني إن كنت أحب التدخين ، فتمنعت فلم يزده تمنعي إلا إصراراً عليّ به ، فقلت يا شيخي إني لا أدخن التبغ ولو كنت أدخن لما فعلت ذلك بحضرتك، قال إذن أنت تشرب النرجيلة ، قلت نعم ولكن لا أسمح لنفسي بذلك في هذه الحضرة، فغاب عني بضع دقائق حسبته ينهي بعض عمل كان بيده ، ثم عاد وبيده نرجيلة معمورة فنهضت إجلالاً له فوضعها بنفسه بين يديّ. فكدت أختنق خجلاً وملح مني ذلك فقال سرَّ عنك خجلك فإن أكرامك فرض عليّ إذ ذرتني ولا سيما وأنت من طلاب العلم

بالقول كذْبهُ في جهلِهِ العمل ... إن الشجاعةَ كلُّ الناس تزعمُها

وفي الحروب يَبينُ الفارسُ البطل

قسمًا بالعيون

قسمًا بالعيونِ ذاتِ المهنَّدْ ... إنّ قلبي عن السرور مجرَّدْ

كيف عيشُ المحبِّ بعدك يحلو ... وصميمُ الفؤادِ منه توقَّدْ؟

حين مسْراك للديار عيوني ... قد كستْها الدموعُ ثوبًا مُوردّ

إن يغبْ شخصكَ البهيُّ غيابًا ... فبقلبي معْناك دومًا مخلّد

أسأل الله أن تُردَّ علينا ... عن قريبٍ وبالمعالي ممجَّد

وأرى هذه الشمائلَ تُدعى ... باسم خيرِ الورى حبيبي محمد

والأدب، وأنت معدود من عصابتنا عصابة خدام العلم ، وما زال يؤنسني ويكرمني حتي خلت أني بفضل العلم ملكت من أكرامه ذلك اليوم أرفع المناصب.

تقلد التدريس في الجامع الأموي بحلب ، وكان ربعة القوام إلي القصر- نحيف البدن صغير الوجه، أسود العينين، صغير الأنف والفم خفيف اللحية ،عرفناه وقد عمه الشيب ، وقوراً ذا طلعة بهية يعصر منها ماء الأنس والوداعة.

أما مؤلفاته فمنها: رفع الخلاف والشقاق في أحكام الطلاق، وبهجة الجلاس في مذاكرة الأنفاس، ورسالة فكاهة الغريب، وتذكرة الوعاظ لجميل المعاني والألفاظ في علم الحديث، ورسالة الغالب والمغلوب، ورسالة في أحكام الخلع ، وحواش علي مختصر السعد في المعاني والبيان، وحواش علي البخاري وغيره، ومجموعة أدبية ، وله شعر فيه كثير من المحاسن فمن ذلك قوله:

أسعد الله بالصباح مليحاً

تفتديه بروحها الأقمارُ

ومنها:

سل سبيلا من الرحيق بفيه

فيه يحلو وحقه الأسكارُ

عل يصحو من الذهول محبُ

حاربته بقوسها الأقمار

وقوله:

كن محسناً مهما استطعت فإن من

فعل الأذى لابد أن يتضررا

فالبـــــاز قصـــــير عمـــــره لمـــــا بغـــــي

والنسر ـــــ مـــــن تـــــرك الأذى قـــــد عمَّـــــرا

وقوله وهو معني مليح:

كـــــن مســـــتقيما في الأمـــــور جميعهـــــا

فـــــإذا اســـــتقمت تـــــكُ المقـــــدم في المـــــلا

أفـــــلا تـــــرى ألـــــف الهجـــــاء تقـــــدمت

لمـــــا اســـــتقامت فهـــــي تكتـــــب أولا

ومن إحسانه:

تملكنـــــي لحـــــظ الحبيـــــب وحاجبـــــه

فـــــأدخلني ظلـــــما بـــــذا الـــــنظم حاجبـــــه

تعشـــــقته عمـــــدا وخالفـــــت مـــــذهبي

وآليـــــــــــت أني لا أزال أصـــــــــــاحبه

لعمـــــرك مـــــا حـــــب الحســـــان محـــــرم

إذا ســـــار في نهـــــج الشرـــــيعة صـــــاحبه

وله قد على أغنية " قميص النوم شكو كني ونهودي بينت منه " قال :

كيـــــف الهـــــوي رمـــــاني وأنـــــا أحـــــذر منـــــه

وإن كتمـــــــــه قلبـــــــــي وشى عـــــــــليّ أنـــــــــه

دور

فـــــما أنـــــا يـــــا صـــــاح مـــــن الهـــــوى بصـــــاح

وكـــــم نهـــــت نصَّـــــاحي ومـــــا انتهيـــــت عنـــــه

دور

كأنـــــــــه شـــــــــمولُ أو جـــــــــؤدرُ بجـــــــــول

ولم أزل أقـــــــــــــــــولُ كأنـــــــــــه كأنـــــــــــه

أما قوله والنسر من ترك الأذي قد عمرا. لعله يريد أحد الكـوكبين المعـروفين " بالنسر- الطـائر والنسر الواقع" إذ النسر هو من جوارح الطير ويقع علي الغنم فيحتمل النعجة بين مخالبه ويسـطو على الأرنب والثيتل - وهو ضرب من بقر الوحش - إلا أن المشهور عنه أنه جبان شره يـألف الأشـلاء والجيف.

❁ ❁ ❁

وقد كانت النية معقودة على متابعة نشر التراجم منسوقة حسـب سـني مواليـد أصـحابها إلا أنهُ قد اعترضنا من العقبات ما لم يكن في الحسبان، ذلك أن آثار كثير من أصحاب التراجم، لم تصـنها فروض البنوة ولا حرصت عليها ذمم الأخوة، ولا رعت لها حرمة رحم الأقرباء ، ولا أقامـت لهـا وزنـاً أطماع الورثاء ، فلعبت بها أيدي الحدثان، وتقاذفتها رياح النسيان، ووطئتها أقدام الخذلان فلا حول ولا ...

أين هذا من عناية الأمم الفرنجية بكتابات أبائهم وذويهم ، وحرصهم علي أثارهم حتي التافه منها، يضن به المرءُ منهم ضنانة البخيل بالكنز الجليل الجزيل، ويوصي الوالد بـالحرص عليـه أولاده، بل يستعهد منهم أن يعاهدوا علي ذلك أحفاده ، ولما كان الشئ بالشئ يـذكر، فقـد خطـرت بالبـال حكاية لا بأس من إيرادها ، ولعل بها فكاهة وعبرة.

وجملتها أنني كنت منذ ست وثلاثين سنة ونيف، تلقيت كتابـاً مـن عمـيّ في مدينـة مرسيليا يخبراني أن واحداً من أحفاد عمها واسمه أدريان ، عزم علي زيارة حلب. - وجـده وجـدي شـقيقان- فلـما قـدمها كـان ضـيفي في مـدة إقامتـه فيهـا، وعلمـت منـه أنـه لم

يترك الغرب ويتحمل مشاق هذا السفر الطويل إلا لزيارة الأرض التي ولد فيها أبوه علي حد قول الشاعر:

بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي وأول أرضِ مسّ جلدي ترابها

إذا كان جده هاجر حلب سنة 1818 واصطحب ابنه أنطوان -وهو والد أدريان - طفلاً ، فلم يكن يعرف من حلب إلا ما كان يقصه عليه والده ، ولكنه كان يحن إلي رؤيتها فلم يقسم له ذلك، وكان ابنه أدريان هذا لا يفهم حرفاً من اللغة العربية، فلما استراح من وعثاء السفر ، قال كم لأسرتنا في هذه الدار قلت أنها دار جدي، قال هل ولد فيها أبي، قلت ذلك ما لا أعلمه، وإنما عندنا شيخ عترتنا وهو ابن عم أبي بطرس المشهور نسأله لعله يعلم ذلك، فلما سألناه قال: أن وجوه النصرانية كانوا يسكنون يومئذ محلة الشرعسوس، وكان عمي ميخائيل (هو جد أدريان) يملك دار سكنه ، ثم لما توطن مرسيليا كتب إلي أخويه في حلب يوقفها علي البر وأنا أعرفها ، قال أدريان هل يتفضل أن العم بدلالتنا عليها لزيارتها ، فأجابه إلي ذلك ولما دخلناها وتفقد حجراتها ، قال سل ابن العم هل يعلم في أي حجرة ولد أبي ، فلما عربت سؤله ضحك بن العم ثم قال: لم أكن ولدت يومئذ، ولكن العادة كانت عندنا أن تلد المرأة في أوسع حجرات الدار وأعزها، ولا ريب في أن والدك قد ولد في هذا البيت الكبير ، وأشار بيده إلي أرحب حجرات الدار، وإذ أعربت له المقال، رقت أسارير وجهه ودخل الحجرة المشار إليها، ثم كشف القلنسوة عن رأسه وركع وصلب وصلي وتخشع، ثم نهض فأطال التفرس في أطراف الحجرة وسقفها وجدارنها وعتبتها ، كأنه يريد أن يطبع صورتها بجميع دقائقها علي لوحة ذهنة ، ولما خرجنا وتوسطنا صحن الدار قال أطلب إليك أن تقول لابن العم الآن طابت نفسي وقد قلدني منة لن أنساها ما حييت، فإني وعدت أمي أن أبذل كل ما في طاقتي لبلوغ هذه الأمنية، وقد نلتها دون مزيد تعب ، وبعد أن مكث أياماً في حلب، سألنا عن طريق حمص فقلنا له أن السفر إلي هذه المدينة من المشقة والأخطار، مالا تذكر بجنبه مشاق طريق الإسكندرونة ومخاطره، فقال أوآتي الشرق وأعود منه دون أن أري المدينة التي ننسب إليها ؟ لابد من زيارتها، ولم يكن يومئذ

عربات في حلب، وكانت الأسفار كلها علي ظهور الدواب، فاكترينا له فرساً وانتظرنا سفر قافلة، وزودناه بكتب إلي بعض أصحابنا هناك ، فوصل حمص وأقام بها خمسة أيام، ثم رحل عنها إلي اللاذقية ومنها عاد إلي مرسيليا مسروراً من زيارته هاتين المدينتين، كأنه فاز بغنيمتين أو نال ثواب حجتين.

نقول والحديث ذو شجون، لقد سنحت للخاطر أحدوثة من هذا الباب لا نطيل بها علي القارئ. كان في حلب قنصل من الإنكليز له هوى بالخزف الصيني، وكانت بيننا مودة. فزرناه يوماً وكان عائداً من لندن ، ولما أخذنا بأطراف الحديث، نهض وأرانا صحنا (شاكاسه) من أدني أنواع الصيني قيمة، ثم قال ما تري فيه، قلت هو من النوع المسمي عندنا بالبقدونسي وهو أقل الصيني قيمة، قال لكنه من أقدمه ، قلت نعم، قال بكم ليرة تقدر ثمن هذا الصحن، قلت بثلاثة أو أربع ليرات، قال أود أنْ أقص عْليك حديثاً لا يخلو من الغرابة ولعل به فائدة فهل أنت متسمع، قلت أن لحديثك منصت، قال إذا كنت علي ظهر السفينة، أدركني شئ من العطش فناديت الخادم أن يأتيني بماء في هذا الصحن، ودللته علي مكانه في غرفتي، وبينما كان عائداً بالماء رآه رجل انكليزي كان علي ظهر السفينة أيضاً، فسأله لمن الصحن ، فدله عليّ ، فقال له سله هل يبيعه، فلما أتاني الخادم بالماء وكنت شاهدت أن الرجل يكلمه قال طلب منه هذا السيد إن كنتم ترغبون في بيع هذا الصحن ، قلت سله بكم يشتريه ، وأردت بذلك أن أعرف تقويمه ، فعاد إليّ وقال أنه يشتريه بعشرين ليرة ، فقلت لا أبيعه ، فذهب ثم عاد وقال هو يشتريه بثلاثين ليرة ، فقلت ألم أقل لك أنني لا أبيعه ، فذهب ثم عاد أيضاً وقال أنه يرغب في شرائه بخمسين ليرة ، فقلت له أنه ليس للبيع ، ولما انتهي من حديثه قلت له وهل تظن أنه يساوي هذه الثمن ، فقال كلا أنا أعلم أنه لا يساوي ربع هذه القيمة ولعل الرجل أحب اقتناءه فبذل ما بذل فيه من الثمن وقد يكون من الأغنياء فلا يري مثل هذا القدر من المال شيئا كثيرا ، غير أنني لا أستطيع بيعه بأي ثمن كان لأنه مما أصابني من تركة والدتي وكان هذا عزيزاً لديها.

هذي هي التربية الإفرنجية وهذه آداب الأكابر منهم والأخيار ، وبها عبرة لذوي الأبصار.

علي أننا أبت علينا العصبية- ولا ننكرها- أن يمر هذا الرهط الجليل ، رهط أدباء حلب في القرن التاسع عشر أمام معاصرينا من قراء العربية ومن يأتي بعدهم دون أن يكون لغير واحد ممن سمعنا بعدهم بين أهل الفضل أثر مذكور واسم خالد مشهور.

بيد أننا لما عرضت لنا في هذا السبيل عقبات تقدم بسط بعضها ، رأينا أن ننصرف الآن إلي تقديم ذكر الأموات الذين تحضر الذهن تراجمهم دون مراعاة التنسيق في سني ميلادهم ، على رجاء الفوز بالمواد التي تعوزنا لصوغ تراجم الأدباء الذين نحفظ أسماءهم ، فإن لم تسعف الأيام بتحقيق هذه الأمنية ، وانتهي ما أعددناه ، أتينا علي تراجم الأحياء ، فسح الله في أجلهم ومتعنا طويلاً بعلمهم وعملهم.

الحاج عطاء اللـه المدرّس[1]

(1) عطاءاللـه المدرس (1256-1332هـ) (1840- 1913م): عطاء اللـه بن عبدالرحمن بن حسن المدرس. ولد في مدينة حلب، وفيها توفي. عاش في سورية. تلقى تعليمه في المدرسة العثمانية حيث أتقن علوم النحو والصرف والحديث والتفسير، كما تعلم اللغة التركية وألف بها. تقلد عددًا من المناصب، منها: مديرية المعارف، ورئاسة مجلس الدعاوى، ورئاسة مجلس التمييز، وعضوية مجلس الإدارة، ورئاسة لجنة الأوقاف، ورئاسة مجلس المعارف، وعضوية محكمة الاستئناف.

- له : قصائد تضمنتها مصادر دراسته، وله ديوان شعر احترق إثر حريق أتى على مكتبته عام 1903م، وله قصائد مخطوطة.

- كتاب الخراج (ترجمه عن التركية، وعلق عليه ووضع له الكثير من الحواشي، وطبع في القسطنطينية بأمر نظارة الأوقاف).

نظم في عدد من أغراض الشعر المألوفة في عصره: الغزل، والوصف، والمديح، وغيرها من المناسبات، وله تشطير لعدد من القصائد المتداولة، في قطعته الغزلية - وهي مقدمة لمدحة نبوية - عذوبة وجرس حسن وتكامل في وصف المشهد الغزلي الرمزي، وتأثر واضح بالموروث الشعري. أنعم عليه السلطان عبدالحميد بالنيشان المجيدي الثالث بعد أن أهداه ترجمة كتاب: «الخراج». انفرد من بين أبناء حلب بحيازة رتبة باية الحرمين الشريفين.انظر :

1 - خير الدين الزركلي: الأعلام .

2 - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين .

4 - محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء

من شعره : من قصيدة: سَلَتْ لحاظًا

سـلّت لحاظًـا أسـودُ الغـاب تخشـاها ... فأرخصـت مهجًـا مـا كـان أغلاهـا

فاحـذرْ سـهامًا بَـدَتْ مـن قـوس حاجبهـا ... فـالرميُ يـا صـاح ضربٌ مـن سـجاياها

يـا قلـبُ صـبرًا لعـل الصـبر يَعْقبـه ... شـهْدُ الوصـال فبعـد العسر يسرًاها

زارت بليـلٍ فخلْـتُ الشـمس قـد طلعـتْ ... أو ليلـة القـدر جـادت لي برؤياهـا

للـه مـن ليلـةٍ مـا كـان أحسـنها! ... إذ لم أفـز بنعـيم الوصـل لولاهـا

لا ذنـب للـدهر عنـدي بعـدها أبـدًا ... يـا قلـب فاشـكر لهـا لا تـنس جـدواها

لقـد ذكـرت ظبـاء القـاع إذ خَطَـرَتْ ... والعِطْـفُ بالميـل للأغصـان قـد بـاهى

فَسَـحَّ مـزنُ دمـوعي عنـدما سـطعت ... طوالـع الحسـن مـن بـاهي محيّاهـا

وافـت وفي العيـد زارتنـي مهنئـةً ... فكـدت مـن فرحـي بـالروح ألقاهـا

قـــــدّمت قلبـــــيَ قربانًـــــا لزورتهـــــا ... فالقلـــب في العيـــد أضـــحى مـــن ضـــحاياها

ســـارت ســـحيرًا، تبعـــتُ الركـــبَ أنشُـــده ... قلبـــي لقـــد ضـــاع منـــي يـــوم مسرـــاها

فـــما احتيـــالي وشـــوقي زادني كمـــدًا ... واهًـــا لقلـــب المعنّـــى بعـــدها واهـــا

يـــا حـــادي العـــيس مهـــلاً وامـــش متّئـــدًا ... وعلّـــل القلـــب يـــا حـــادي بـــذكراها

عَـــلَّ التـــذكُّرَ يبقـــى فيـــه مـــن رمـــقٍ ... فمهجتـــي أخلقـــتْ والحـــب أبلاهـــا

وكـــدت أيـــأس لـــو لم أعتصـــم بعُـــرَا ... خـــير البريـــة أولاهـــا وأخراهـــا

جريدة الفرات

بمناسبة صدور جريدة الفرات التي أنشأها

1867م

لـــوالي ولايـــة الشـــهباء فضـــلٌ ... غنـــيٌّ في الـــورى عـــن بيِّنـــاتِ

رَقَـــى للـــذروة العليـــاء يســـمو ... بجـــودة رأيـــه والمكْرمـــات

وقـــد نشرـــ الحـــديث بلطـــف طبـــعٍ ... فعَـــمَّ بنشرـــه كـــلَّ الجهـــات

إذا مـــا حـــدَّثَ الأقـــوام راوٍ ... حـــديثًا يرتضـــيه عـــن الثقـــات

وبـــاهَى بـــالحوادث في غلـــوٍّ ... وبـــالمعنى البـــديع وبـــالرواة

لنـــا التضـــمين في التـــاريخ يحلـــو ... فكـــل الصَّـــيد في جـــوف الفـــرات

تلازم

وأربعـــةٌ قـــد لازمـــت منـــك أربعًـــا ... فليســـت لعمـــري ســـاعةً عنـــك تنفـــكُّ

جبينـــك والســـنا، وريقـــك والطـــلا ... وشـــعرك والـــدجا، وخالـــك والمســـك

عطر الشمائل

أهـــدت شـــمائلكم للســـمع طيـــبَ ثَنـــا ... مـــن ذكْـــركم عطّـــر الأرجـــا فأحيانـــا

لا غـــرو أنْ عشـــقتْ روحـــي ولم تَـــرَكمْ ... والأذن تعشـــق قبـــل العـــين أحيانـــا

الســـمع أوحـــى لقلبـــي أنـــه قمـــرُ ... فبـــتُّ أرعـــى نجـــوم الليـــل حيرانـــا

لا غـــرو أنْ هـــام ســـمعي قبـــل بـــاصرتي ... والأذن تعشـــق قبـــل العـــين أحيانـــا

يقـــول لمـــا رُزي قلبـــي بـــه كلفًـــا ... متـــى عشـــقت ولم تنظـــر محيَّانـــا

فقلـــت قـــد ســـمعت أذني بوصـــفكم ... والأذن تعشـــق قبـــل العـــين أحيانـــا

ولد بحلب سنة 1256 هجرية وتوفي بها يوم الثلاثاء في 15 صفر سنة 1332مسيحية 1840-1913.

هو عطاء الله بن عبد الرحمن بن حسن المدرس، تقلد أبوه وجده منصب الإفتاء بحلب .

عَلمُ وجاهة ونُبل، وطود حزم وفضل، قرض الشعر فأجاد، واشتغل بالعلم فاستفاد وأفاد،وهو من بيت نسبه إلي التدريس غير جديد، وله من المجد طارف وتليد، وكان طروبا ترنحه الألحان، كما رنحت الشارب بنت الحان، وكانت بيننا وبينه مودة أوثقها الأدب، على تباين في السن وتدان في حب الأدب وهو بعض النسب.

كان حسن المقامة، ممتلئ الجسم، جميل الوجه مستديره ، بهيّ الطلعة دري اللون، أزرق العينين، صغير الأنف ، تلوح علي محياه لوائح الوقار والذكاء ، حسن المحاضرة لطيف المعاصرة، كأنه جبل من معدن الرقة، علي جلاله قدر ونباهه ذكر . أخذ العلم عن الشيخ محمد الترمانيني وابن أخيه الشيخ عبد السلام المتقدمي الذكر.

تقلب في المناصب بحلب ، فتقلد مديرية المعارف ثم رئاسة مجلس الدعاوي، ثم رئاسة مجلس التمييز، ثم عضوية مجلس الإدارة ثم رئاسة لجنة الأوقاف، ثم رئاسة مجلس المعارف، ثم عضوية محكمة الاستئناف.

وكان متمكناً من العلوم الفقهية، عارفاً باللغة التركية يؤلف بها، وقد ترجم إليها كتاب الخراج علي طلب من نظارة الأوقاف بالقسطنطينية وعلق عليه حواشي كثيرة فتحها عليه تبحره في العلوم الفقهية، وطبع في القسطنطينية بأمر نظارة الأوقاف.

أسود في أبيض

أورث قلبي النُقَمْ ... عذاره مذ هجَمْ

أسود كالبؤس في ... أبيضَ مثل النعم

وقد ذهب ديوان شعره ومكتبته وغير ذلك من مؤلفاته في حريق حدث في منزله، فلم يصل إلينا إلا ما نثبته علي علاته رواية عمن رواهُ لنا، قال رحمه الله:

كن ليّناً في الناس وأحذر أن تري

فظ الطبيعة أنه لم يحسن

أفما تري الأكحال وهي حجارة

لانت فصار مقرها في الأعين

وقال:

إن الولاية لا تدوم لواحد

إن كنت تنكرها فأين الأول

فاغرس بصنع الخير غرساً

فإذا عُزلتَ بأنها لا تُعزل

وقال مشطراً :

خلقتَ الجمالَ لنا فتنة

وقلت عبادي ألا فاتقون

وأنت جميلُ تحب الجمال

وخلقك طراً به مغرمون

فإن أنت أحببت خير الورى

فكيف عبادك لا يعشقون

وقال في طريق الحج من قصيدة :

يـــا حـــادي العـــيس مهـــلاً وامـــش متئـــداً

وعلـــــل القلـــــب ياحـــــادي بـــــذكراها

عـــلّ التـــذكر يبقـــي فيـــه مـــن رمـــق

فمهجتـــــي تلفـــــت والحـــــب أبلاهـــــا

وكـــدت أيـــأس لـــو لم أعتصـــم بعـــري

خـــــير البريـــــة أولاهـــــا وأصـــــفاها

وبعث إلينا رحمه الـلـه بهذه الأبيات:

لـــــئن فخـــــر الألي ســـــلفوا علينـــــا

بـــــآداب وأشـــــعار حســـــانِ

فقســـــطاكيٌّ حجتنـــــا علـــــيهم

لعمـــــري مالـــــه فـــــيهم مـــــدان

فتـــيً في كـــل وصـــف قـــد تســـامي

فلـــيس لـــه عَـــلَى التحقيـــق ثـــان

ومهـــما قلـــت فيـــه مـــن مـــديح

فبالتقصـــــير معـــــترف لســـــاني

فأجبناه عليها بأبيات لم نعثر على صورتها بين أوراقنا لتقادم العهد وإنما يبقي في الذكر مطلعها وبيت التخلص أما المطلع فهو:

أتـــــدري ليـــــت شـــــعري مـــــا أعـــــاني

بنـــــــــار غرامهـــــــــا ذات المعـــــــــاني

فمـــــــــن آل المـــــــــدرّس لي فريـــــــــدُ

بـــــــه قـــــــد بـــــــت أبتكـــــــر المعـــــــاني

الست مريانا المراش [1]

(1) ماريانا مراش (1265-1338 هـ) (1848-1919 م): مريانا فتح الـلـه نصرالـلـه بطرس مراش. ولدت في مدينة حلب، وفيها توفيت. عاشت في سورية ولبنان وبعض بلدان أوروبا. التحقت بالمدرسة المارونية في الخامسة من عمرها، ثم أتمت تعليمها الابتدائي في مدرسة مار يوسف بحلب، بعدها انتقلت إلى المدرسة الإنجليزية في بيروت. تلقت علوم الصرف والنحو والعروض على والدها، وتتلمذت أدبيًا على شقيقيها اللذين أشربا قلبها حب الأدب والشعر، فحفظت الكثير من شعر عمر بن الفارض، كما تلقت دروسًا في الموسيقى وأتقنت العزف على القانون والبيانو. كان بيتها ملتقى أدباء وشعراء عصرها ،ومنهم: قسطاكي الحمصي، وجبرائيل الدلال، وكامل الغزي، ورزق الـلـه حسون، وغيرهم. كانت أول سيدة عربية تكتب في الصحف مقالات متنوعة، كما كانت صاحبة أول صالون أدبي تقيمه سيدة عربية. كانت سفرتها إلى أوروبا عميقة الأثر في نفسها إذ عاينت أسرار التقدم وأساليب التمدن في مجتمعاتهم.

- ديوان: بنت فكر - المطبعة الأدبية - بيروت 1893. تنوعت أغراضها الشعرية فوسعت من نطاق اهتماماتها. كان لسفرها إلى أوروبا ومعايشتها طبيعة المجتمع هناك أثره في تشكيل رؤيتها للمرأة العربية، فلم تقف بشاعريتها عند حدود ما يشغل المرأة من عواطف وأحاسيس ذاتية، وإنما جمعت بين المدح والحكمة والرثاء، والغزل وشعر المناسبات والإلهيات والإخوانيات، اقتصر مدحها على بعض رواد صالونها من رجال السلك الدبلوماسي، وعلى عدد من رجال الحكم من عرب وأتراك، ويكاد رثاؤها ينحصر في أهلها وأقاربها، حافظت على العروض الخليلي والقافية الموحدة. انظر :

1- خيرالدين الزركلي: الأعلام

2- سامي الكيالي: الأدب العربي المعاصر في سورية.

3- عائشة الدباغ: الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

4- عيسى فتوح: أديبات عربيات.

5- محمد راغب الطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء .

6- سليمان سليم البواب: موسوعة أعلام سورية في القرن العشرين - (جـ 4).

من شعره : زهور في مدح الخديوي توفيق

زهـــور الـــرّوض تبســـم عـــن ثغـــورٍ ... زهـــت فحكـــت عقـــودًا مـــن جُـــمانِ

نـــداها يُـــبْهج الأرواح رشـــفًا ... بـــه مـــاء الحيـــاة لكـــل دان

إذا هـــبَّ النّســـيم عـــلى رباهـــا ... تعطّـــرتِ المعاهـــدُ والمغـــاني

رعـــاه اللـــه مـــن روضٍ أرانـــا ... مـــن الأغصـــان قامـــات الحســـان

وحـــــورًا إن ســـــفرْنَ ومِلْـــــنَ عُجْبًـــــا ... ســـــلبْنَ عقـــــول أربـــــاب المعـــــاني

وقـــــد قامـــــت طيـــــور الأنـــــس تشـــــدو ... بألحـــــانٍ أرقَّ مـــــن المثـــــاني

هنـــــا جنّـــــات بشْـــــرٍ قـــــد تـــــراءت ... لـــــذى الأبصـــــار في شـــــبه الجنـــــان

بـــــآل الفخـــــر قـــــد ظفـــــرتْ فأضـــــحى ... لهـــــم ذكـــــرٌ يـــــدوم مـــــع الزّمـــــان

وبـــــالتوفيقِ حـــــازت كـــــلّ مجـــــدٍ ... وعـــــزّت فادخلوهـــــا بالأمـــــان

لقـــــد ولاّكَ مولانـــــا بـــــلادًا ... بكوثرهـــــا جَـــــرَى نيـــــلُ الأمـــــاني

نشرتَ بيارقًـــــا للعلـــــم تزهـــــو ... وشـــــيّدْتَ المـــــدارسَ والمبـــــاني

وبـــــات الجهـــــل في ثغـــــرٍ عميـــــقِ ... وخوّلْـــــتَ العلـــــوم أعـــــزّ شـــــان

ظـــــلام الظّلـــــم حـــــين بـــــدوت ولّى ... وشـــــمس العـــــدل لاحـــــت للعيـــــان

وقـــــد مزّقـــــتَ ثـــــوب الـــــزّور لمّـــــا ... كســـــوت الحـــــقّ ثـــــوب الأُرْجـــــوان

ســـــموت إلى العـــــلا شرفًـــــا فأضـــــحت ... تُشـــــير لـــــك الثّريّـــــا بالبنـــــان

لبيـــــبٌ فاضـــــلٌ فَطِـــــنٌ حكـــــيمٌ ... فصـــــيحٌ عاقـــــلٌ عـــــذبُ اللّســـــان

لقـــــد تاهـــــت بـــــك الأقطـــــار عُجْبًـــــا ... وأحجـــــمَ عـــــن ســـــناك النـــــيِّران

من قصيدة: مناقب العلياء في مدح السلطان عبدالحميد الثاني

اللـــــه أكـــــبرُ أنـــــتَ الحـــــيُّ والصـــــمَدُ ... مقصـــــودُ كـــــل البرايـــــا واحـــــدٌ أحَـــــدُ

لا يـــــنعمُ المـــــرءُ في الـــــدنيا بـــــلا أمـــــلٍ ... فالوغْـــــدُ منـــــك وأنـــــتَ الغـــــوثُ والمـــــدَد

إن قـــــلّ رزقٌ فأنـــــت الفضـــــل أوســـــعُهُ ... أو حـــــلّ بـــــؤسٌ فأنـــــت الرفـــــق والعَضُـــــد

وكـــــلُّ مـــــن رام شـــــيئًا مـــــن ســـــواك غـــــوَى ... ولا يقـــــرُّ لـــــه حـــــالٌ ولا سَـــــنَد

إذا مـــــددْتَ يـــــدًا في يـــــوم معركـــــةٍ ... فتخمـــــد النّـــــار والأبطـــــال ترتعـــــد

يـــــا مبـــــدعَ الكـــــون يـــــا مُهْـــــدي الأنـــــام إلى ... صراط حقّـــــك إن ضـــــلّوا فيرتشـــــدوا

يـــــا مـــــن يجيـــــب نـــــداءَ المســـــتغيث بـــــهِ ... يـــــا مـــــن عليـــــهِ جميـــــع النّـــــاس تعتمـــــد

حمـــــدًا وشـــــكرًا فقـــــد أوليتنـــــا مَلكًـــــا ... ذا حكْمـــــةٍ لم ينلْهـــــا قبلـــــهُ أحـــــد

سَـــــمَتْ مناقبـــــهُ فـــــوق السُّـــــها وغـــــدت ... مثـــــل الغزالـــــة في العليـــــاء تتّقـــــد

حـــــارت عقـــــول الـــــورى في وصـــــفهِ بشرًـــــا ... فقلـــــت ذا ملـــــكٌ بالجســـــم متّحـــــد

فالعـــــدل دَيْدَنُـــــه والحِلْـــــم مذهبـــــهُ ... لـــــذاك كـــــل الـــــورى بـــــالأمن قـــــد رقـــــدوا

هي بنت فتح الـلـه وشقيقة عبد الـلـه وفرنسيس المتقدمي الذكر، ولدت بحلـب سـنة 1840 وتوفيت بها سنة 1919.

سليلة بيت العلم، وشعلة الذكاء والفهم، فصيحة الخطاب ألمعية الجواب، تسبي ألباب ذوي النهـي بألطافهـا، ويكـاد يعصرـ الظـرف مـن أعطافهـا، تحـن إلي الألحـان

لله درّك

تهنئة بزفاف

تهنئـــــــــــــــــــة بزفـــــــــــــــــــاف ... زهَـــــــتِ الحيـــــــاةُ ببهجـــــــة الأيّـــــــامِ

وسَـــــطا الضّـــــياء عـــــلى الـــــدّجَى بحســـــامِ ... ورســـــول ســـــامي الحـــــظّ عـــــاد مبشّرًـــــا

بـــــــاليُمْن والإســـــــعاد والإنعـــــــام ... والسَّـــــــعد حَـــــلَّ بأهلـــــهِ متمازجًـــــا

كـــــــــتمازج الأرواح بالأجســـــــــام ... فالجاهـــــــل المقتـــــــال مـــــــن رامَ الأذى

لذويـــــــه عـــــــاد عليـــــــه بالإعـــــــدام ... ولَـــــرُبَّ ســـــهمٍ عـــــاد بعـــــد نفـــــوذهِ

في صـــــدر مرســـــلهِ وطـــــاش الرّامـــــي ... قـــــل للـــــذي رام الشّرّ بســـــعيهِ

تبًّـــــا لـــــهُ مـــــن جاهـــــلٍ متعـــــام ... مـــــن ظـــــلَّ بـــــين هدايـــــةٍ وغوايـــــةٍ

فـــــتراه يخـــــبط في دُجَـــــى الأوهـــــام ... ذو اللـــــبِّ والأدب المثقَّـــــف والحجـــــا

يحمـــــي ذمـــــار قريبِـــــهِ ويحـــــامي ... شـــــأن الرّفيـــــع الشّـــــان مـــــا بـــــين المـــــلا

بالفضـــــل يكتســـــب المقـــــامَ السّـــــامي ... ناديـــــت مـــــن حـــــاز التفـــــرُّدَ هِمَّـــــةً

للّـــــه درّك مـــــن فتَـــــى وهـــــمام ... مـــــن ماثلـــــت ألفاظـــــهُ درزًا فقـــــد

أغنـــــت فصـــــاحته عـــــن الأقـــــلام ... لا زلـــــتَ يـــــا «باصـــــيلُ» تُزْهـــــرُ بالهنـــــا

مـــــا افـــــترّ ثغـــــرُ الزهـــــر بـــــالأكمام ... هـــــذي «الثّريّـــــا» في حـــــماك عروســـــةٌ

فـــــانعم وسُرَّ بهـــــا مـــــدى الأعـــــوام ... خَـــــوْدٌ محاســـــنها محـــــت شـــــمس الضّـــــحَى

وكمالهـــــــا أزرى ببـــــــدر تمـــــــام ... فابشرـــــ وقـــــل إذ قـــــد ظفـــــرْتَ بحســـــنها

الـــــدّهرُ دهـــــري والزّمـــــانُ غُلامـــــي ... هُنِّئْـــــتُما بزفـــــاف أنْـــــسٍ زاهـــــرِ

يـــــا مـــــن بـــــدا بهـــــما ســـــعيد ختـــــامي .

والطرب، حنينها إلي الفضل والأدب، وكانت رخيمة الصوت عليمة بالأنغام، تضرب على القانون فتنطقه انطاقها الأقلام.

دخلت مدرسة راهبات مار يوسف بحلب ودرست الفرنسوية حتي صارت تكتب وتتكلم بها جيداً ، ثم درست مبادئ النحو والصرف على أخيها فرنسيس المشهور.

وكانت مليحة القد، رقيقة الشمائل، عذبة المنطق، فكهة الأخلاق طيبة العشرة، تميل إلي المزاح، حسنة الجملة عصبية المزاج ، وقد تمكن منها الداء العصبي في أخر سني حياتها حتي كانت تتمني الموت في كل ساعة.

أرادها كثيرون علي الزواج في أول صباها فأبت لأنها كانت تنوي أن تظل عزبة ، ثم أقنعها ذويها - إذ ظلت بعد وفاة أمها وحيدة - بلزوم زواجها ، فعقد لها علي المرحوم حبيب الغضبان من بيت كريم ، وكان منزلها مثابة الفضلاء، وملتقي الظرفاء والنبهاء، وكان لنا عندها منزلة ترتد عنها أعين الحساد كليلة، لما كان بيننا وبين شقيقها عبد الله من المودة الجزيلة الطويلة ، فسقياً لأيام الشباب، ومجالس الأدب والأحباب، ومساجلاتنا بالمحفوظ والبديه من الأشعار، ورقصنا علي العود والمزمار، وصوت بلبل ذاك العصر المدعو بالحجار (المرحوم باسيل حجار).

أما شعرها فلم يجمع منه إلا القليل في كراسة عنوانها بنت فكر ، وها نحن نذكر منه بعض ما استحسن.

قالت تهنئ جميل باشا بولاية حلب سنة 1881:

أفديـــــه لا أفـــــدي ســـــواه جمـــــيلاً

أولي المحـــــــب تعطفـــــــاً وجمـــــــيلا

بـــــدر عنـــــت دول الجـــــمال لحســـــنة

فـــــأبي لـــــذا تمثالـــــه التمثـــــيلا

فـــــإذا تحـــــلي فـــــوق عـــــرش كمالـــــه

تجثـــــو لـــــه زهـــــر النجـــــوم مثـــــولاً

وإذا تـــــــواري في حجـــــــاب ســـــــنائه

لا تبلـــــغ الجـــــوزا إليـــــه وصـــــولا

وقالت وقد اقترح عليها في تهنئه:

مـــــن كـــــل غانيـــــة زهـــــت بجمالهـــــا

ودلالهـــــــا كالروضـــــــة الغنـــــــاء

ماســـــت كغصـــــن فوقـــــه بـــــدر لـــــه

مـــــرأى الثريـــــا في بـــــديع بهـــــاء

بحواجـــــب مقرونـــــة قـــــد أوتـــــرت

قوســـــاً تـــــرن بهـــــا ســـــهام فنـــــائي

إن كلمـــــت صـــــباً بنبـــــل لحاظهـــــا

كـــــان الشـــــفاء لـــــه بعـــــذب المـــــاء

حتـــــي تـــــرد إليـــــه ذاهـــــب روحـــــه

فيعـــــود معـــــدوداً مـــــن الأحيـــــاء

وقالت:

مـــــن كـــــان مـــــن أهـــــل الفضـــــائل والنهـــــي

وغـــــــدا أســـــــير شـــــــمائل وعيـــــــون

يهـــوي الجفـــاء مـــن الحبيـــب فـــإن جفـــا

يـــــزدد بـــــه كلفـــــاً وفـــــرط شـــــجون

يشـــــكو لـــــه ويظـــــل يشـــــكر فعلـــــه

أن التعفـــــــف شـــــــيمة المفتـــــــون

وشطرت الأبيات المشهورة الآتية:

للعاشـــــــقين بأحكـــــــام الغـــــــرام رضـــــــا

يمســـــون صرعـــــي بـــــه لم يـــــأنفوا المرضـــــا

لا يســـــــمعون لعـــــــذل العـــــــاذلين لهـــــــم

فـــــلا تكـــــن يـــــا فتـــــي للجهـــــل معترضـــــا

روحـــــــي الفـــــــداء لأحبـــــــابي وإن نقضـــــــوا

ذاك الـــــذمام وقـــــد ظنـــــوا الهـــــوى عرضـــــاً

جـــــاروا ومـــــا عـــــدلوا في الحـــــب إذ تركـــــوا

عهـــــد الـــــوفيّ الـــــذي للعهـــــد مـــــا نقضـــــا

قـــــف وأســـــتمع ســـــيرة الصـــــب الـــــذي قتلـــــوا

وكـــــان يـــــزعم أن المـــــوت قـــــد فرضـــــا

أصـــــابه ســـــهم لحـــــظ لم يبـــــال بـــــه

فـــــمات في حـــــبهم لم يبلـــــغ الغرضـــــا

رأي فحـــــب فـــــرام الوصـــــل فـــــامتنعوا

فـــــما أبتغـــــي بـــــدلا مـــــنهم ولا عوضـــــا

تقطـــــع القلـــــب منـــــه بانتظـــــار عسي

فســـــام صـــــبراً فأعيـــــا نيلـــــه فقضى

وقالت تطالب أحد الرؤساء بإنجاز وعد:

يـــــاذا الوفـــــا والـــــدين أنـــــت وليـــــه

وعـــــلاء فضـــــلك دونـــــه الجـــــوزاءُ

هـــــل تـــــذكر القـــــول الـــــذي ســـــمحت بـــــه

الـــــنفس النفيســـــة واليـــــد البيضـــــاء

فالوعـــــد عنـــــد الحـــــر ديـــــن ثابـــــت

وبوعـــــد مثلـــــك يحســـــن الإيفـــــاء

أنجـــــز بـــــه واقبـــــل ثنـــــاي ودم عـــــلي

طـــــول المـــــدى تخضـــــع لـــــك البلغـــــاء

وبهذا القدر كفاية.

الشيخ إبراهيم الحوراني[1]

(1) إبراهيم الحوراني (1260- 1335هـ) (1844-1916م) : إبراهيم بن يحيى بن يعقوب بن سليمان بن فرح الغساني الحوراني. ولد في مدينة حلب وتوفي في بيروت. تلقى تعليمه في مدينة حمص حيث اتصل بالتراث الشعري العربي، كما درس العلوم الحديثة واللاهوت في مدرسة «عبية» بلبنان لمدة أربع سنوات. استُدعي عام 1870 للتدريس في الجامعة الأمريكية ببيروت، واتصل بالدكتور فانديك فأتاح له خبرة كونية من خلال مرصد الجامعة، كذلك درّس بمدرسة البنات الأمريكية، والمدرسة البطريركية، ومدرسة اللاهوت الإنجيلية. كان عضواً في الجمعية العلمية السورية التي تأسست عام 1868 ، انتخب رئيساً للمجمع العلمي الشرقي ببيروت (الذي أسسه فانديك ويعقوب صروف وفارس نمر).

عمل طول حياته العملية في خدمة علماء الإرسالية الأمريكية في بيروت، إذ ساهم في تصحيح إصداراتهم المؤلفة والمترجمة، كما تولى رياسة تحرير مجلة «النشرة الأسبوعية» التي أصدرتها الإرسالية الأمريكية، لمدة ثلاثين عامًا.

- على ولع إبراهيم الحوراني بنظم الشعر وفنون الزجل فإنه لم يجمع شعره في ديوان، ولم يطبع له ديوان إلى اليوم، وإنما هي مجموعات منتقاة تأتي في سياق دراسات عنه، أو صحف من أهمها: النجاح، ولسان الحال، والمحروسة، والجنان، والمشكاة، والمقتطف، فضلاً عن النشرة الأسبوعية التي كان يرأس تحريرها.

- ألف عددًا من الكتب منها:«مناهج الحكماء في مذهب النشوء والارتقاء»، و«الحق اليقين في الرد على داروين» - بيروت 1886 (د.ن)، و«الآيات البينات في عجائب الأرض والسماوات» - بيروت 1882 (د.ن)، كما كتب رواية بعنوان: أسفار ذات السوار، وله في مجال الترجمة: تفسير التوراة - سكان وادي النيل - الطريق السلطانية. كان جمعه بين الثقافتين: العلمية (الرياضية) واللغوية (الأدبية) طريقاً إلى شعر فصيح العبارة، بعيد عن التكلف والحشو، مع سمو المعاني وحسن الترتيب. يعده محمد كرد علي: «من أعظم دعائم النهضة الشامية، أو العربية، ما كان فيه جمود العلماء ولا تبذُّل الأدباء، عاش يعلم الناس منذ كتب له أن يتعلم..». انظر :

1- أدهم آل جندي: أعلام الأدب والفن (جـ1) .

2 - فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية (جـ2) .

4 - كمال اليازجي: رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث (1800 - 1900)

5 - مارون عبود: رواد النهضة الحديثة .

6 - محمد كرد علي: المعاصرون .

7 - منير الخوري عيسى أسعد: تاريخ حمص (جـ2) .

من شعره : يا أهل حمص

يـــا مـــيُّ لســـت أخـــا الصـــبابة فاســـألي ... عمـــن يهـــيم بغـــير هـــذا المنـــزلِ

مـــا تبتغـــين مـــن الـــذي دفـــن الهـــوى ... كِـــبْرًا وحطّتـــه النـــوازلُ مـــن عـــل

قالـــت أتيتـــك أبتغـــي عِقـــد الطـــلى ... مـــما نظمـــتَ لكـــل ظبـــيٍ أكحـــل

يـــا مـــيُّ كُفّـــي إن ذلـــك لم يكـــن ... إلا أوانَ تـــــــولّهي وتغـــــــزّلي

أيـــام كـــان القـــدُّ غصـــنًا والصـــبا ... منـــي ومنـــك تقـــلّ نشرَ المنـــدل

أوقـــات لهـــوٍ في ظـــلال خمائـــلٍ ... حـــدقت بـــروض أزاهـــرٍ مـــن مخمـــل

فرشـــت لـــوُرق الأنـــس فـــوق أرائـــكٍ ... وردًا يحـــيط بزنبـــقٍ وقرنفِـــل

وُرْقٌ عـــلى العـــاصي شـــدت فأطاعهـــا ... وعصى بطاعتهـــا جميـــعَ العُـــذّل

مـــا أطيـــبَ الـــذكرى لأيـــام الصـــبا ... وزمـــان ســـلمى والحبيـــب الأول

زمـــن ألـــذّ مـــن الحيـــاة وطيبهـــا ... بُـــدلت حلاوتـــه بمُـــرّ الحنظـــل

ومقـــام أنـــسٍ بـــين زُهـــر كواكـــبٍ ... غربـــت لطـــول تَغـــرّبي وتـــنقّلي

واليـــومَ معتـــزلي مغـــارة ناســـكٍ ... يجـــري مـــن الأجفـــان مـــاء الجـــدول

ذهـــب الشـــباب عـــلى جنـــاح نعامـــةٍ ... وأتى المشـــيب عـــلى أغـــرَّ محجَّـــل

قالـــت مشـــيبك عنـــد أربـــاب النهـــى ... لهـــبُ الهـــوى بظبـــاء دارة جلجـــل

تحـــت المشـــيب جـــواهرٌ لـــو قَلّـــدوا ... عنقـــي بهـــا مشـــتِ النجـــوم بمحمـــل

فأجبتهـــا ولقـــد رقصـــت لقولهـــا ... رقـــصَ الغصـــون عـــلى غنـــاء البلبـــل

لم يبـــقَ مـــن تلـــك الجـــواهر غـــيرُ مـــا ... خبّأتـــه لرجـــال هـــذا المحفـــل

أهـــل الحميّـــة والمـــروءة والوفـــا ... ومـــلاذ كـــل فضـــيلةٍ وتفضُّـــل

سُـــحُب النـــدى أحيـــت غيـــوثَ الفهـــم ... ورد الحـــدائق في رمـــاد الهوجـــل

مـــن كـــل صـــاحب بذلـــةٍ مـــن خـــبرةٍ ... تَخِـــذ التأمُّـــلَ لبســـةَ المتفضّـــل

أو كـــل ذي أدبٍ لطيـــب حديثـــه ... في الـــنفس تـــأثيرُ الرحيـــق السلســـل

عشـــق الفضـــائل قبـــل نبـــت عـــذاره ... وجـــرى عـــلى سَـــنن الحكـــيم الأفضـــل

روحـــي الفـــداءُ لمعشـــر الفضـــل الألى ... شـــادوا الإخـــاء عـــلى الصـــفا والجنـــدل

يـــا أهـــلَ حمـــصٍ كلكـــم أهـــلي إذا ... قـــام الـــيراعُ مقـــامَ حـــدّ المنصـــل

إني لأدفـــع عـــن كـــرام عشـــيرتي ... مـــا عشـــت دفـــعَ الفـــارس المستبســـل

لي في ثـــراكم ســـادةٌ ســـلفوا ولي ... فـــيكم عصـــائبُ نســـبةٍ وتسلســـل

كـــبراؤُهم قـــد فصّـــلوا أنســـابهم ... حتـــى محـــا التفضـــيل أثـــر المقصـــل

ولد بحلب في 14 أيلول سنة 1844 وتوفي في 3 شباط سنة 1916 في بيروت.

هو إبراهيم بن عيسي بن يحيي بن يعقوب بن سليمان بن فرح الغتناني الحوراني.

والـــــــدرُّ درٌّ ظـــــــلّ في أصـــــــدافه ... أم حـــــلّ في أجيـــــاد ربّـــــات الحُـــــلي

والبـــــدر بـــــدرٌ عنـــــد شـــــولته أو ال ... إكليـــــل أو هـــــام السّـــــماك الأعـــــزل

دمـــــتم بنـــــي وطنـــــي لكـــــل عظيمـــــةٍ ... يســـــمو بهـــــا شرفُ الزمـــــان المقبـــــل

مـــــدحي لكـــــم في الحـــــال يبقـــــى ذكـــــره ... كالمســـــك بـــــين أكـــــارم المســـــتقبل

تتلـــــوه أجيـــــالٌ وتـــــرب جســـــومنا ... تحـــــت الـــــثرى أو هبـــــوةٌ مـــــن قســـــطل

فلـــــكٌ بلاغتـــــه وشـــــمس بيانـــــه ... رســـــمت عـــــلى الإبهـــــام يـــــا ليـــــلُ انجـــــل

والفضـــــل في هـــــذا لحســـــن صـــــفاتكم ... وبـــــديع مشـــــهدكم ولـــــيس الفضـــــل لي

ذو العلم

ذو العلـــــمِ بـــــين الطّـــــرس والمِـــــرْقَمِ ... كالنبـــــت بـــــين العَضْـــــب واللـــــهذمِ

كلاهـــــما يبغـــــي عـــــلاءً، ولا ... ينالـــــه إلا بســـــفك الـــــدم

فكـــــم جـــــرى ذو العلـــــم في مَجْهـــــلٍ ... حتـــــى جـــــرى ذو الجهـــــل في مَعْلـــــم

وكـــــم رعـــــى في مَهْمـــــهٍ كوكبـــــاً ... حتـــــى اهتـــــدى الســـــارون بـــــالأنجم

يجتـــــاب أرجـــــاءَ العـــــلا رغبـــــةً ... في كشـــــف مـــــا في الأطلـــــس المظلـــــم

وكـــــم سرى في صَحْصَـــــحان الفـــــلا ... يشـــــكو الوَجـــــا في الغاســـــق الأهـــــيَم

يبحـــــث عـــــن آثـــــار عـــــادٍ، ومـــــا ... وارى حجـــــابُ الـــــترْب مـــــن جُـــــرْهُم

وطالمـــــا ارتـــــدَّ بـــــلا طائـــــلٍ ... كـــــالمبتغي شَـــــهْداً مـــــن العلقـــــم

ومـــــا انثنـــــى عـــــن عزمـــــه بـــــل جـــــرى ... فيـــــه يبـــــاري الـــــريحَ في المـــــأزم

لولا المحبة

قَـــــدُمَ الزمـــــان وصـــــبْوتي تتجـــــدّدُ ... فكـــــأنني في كـــــل عصرٍ أولـــــدُ

شـــــيخاً أرى بـــــين الشـــــيوخ وأمـــــرداً ... في المُـــــرْد مـــــما شـــــاب منـــــه الأمـــــرد

قالـــــت غـــــواني الـــــرقْمتَين وقـــــد رأت ... ثلـــــجَ المشـــــيب: أظـــــنُّ نـــــارَكَ تخمـــــد

فأجبتُهـــــا: مـــــا الشـــــيبُ بـــــل لهـــــبُ الهـــــوى ... في الـــــرأس مـــــما في الحشـــــا يتوقَّـــــد

قالـــــت: مشـــــيبك أســـــودٌ في نـــــاظري ... قلـــــتُ: الحقيقـــــةُ أنَّ لحظَـــــك أســـــود

لـــــولا المحبّـــــةُ كـــــان ســـــكانُ الـــــثرى ... حطبـــــاً لـــــه في كـــــل أرضٍ موقـــــد

نبراس العلوم بل شهابها الساطع وعنوان الأدب بل بحره الزاخر الجامع ، ورث العلم كابراً عن كابر، فهو عالم شاعر وحفيد عالم شاعر، ولطالما أرقص أعواد المنابر علي ألحان منظومه ومنثوره، وأنطق ألسنة الأقلام بفصيح مبتكره ومأثورة، وكشف عن مطوي المعاني فضوّع الأقطار بأطايب منشوره.

وهو وإن كان حلبي المولد، فإنه حمصي المحتد، عاد به أبوه بعد ميلاده بسنة إلي وطنه حمص، فقضي بها فتونة* ثم رحل عنها مع أبيه إلي دمشق سنة 1860 وهو في السادسة من العمر، فظل بها إلي سنة 1870 إذ استقدمه رؤساء المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت، ليدرس فيها علوم البلاغة والرياضيات والمنطق، فألقي فيها عصا الترحال، إلي أن دعاه داعي الزوال.

كان يسمي نفسه حلبياً لمولده بحلب ويقول مولدي في دار كذا (ويعينها) بمحارة (بحارة) الزبال من محلة الصليبة، كما روي لي ذلك غير واحدٍ من فضلاء وأعيان حلب عن المترجم نفسه، فلا بدع بعد هذا إذا ما ضممناه إلينا ضم المستهام وترجمناه في رأس شعرائنا وعلمائنا الأعلام، وحرصنا علي ذكره حرص البخيل علي أنفس كنز ، وجعلنا اسمه في عنق هذه الرسالة أكرم ذخيرة وأجل حرز.

ونحن نلخص ترجمته هذه عن ترجمة مطولة نشرت في المجلد الثامن من مجلة المقتبس الغراء بقلم صديقنا العالم المؤرخ الأستاذ عيسي إسكندر المعلوف أحد أعضاء المجمع العلمي بدمشق.

كان طويل القامة، ممتلئ الجبهة، حنطي اللون، روماني الأنف، أجش الصوت وخطه الشيب قليلاً في آخر حياته، وكان حاد الطبع سريع الرضي، كثير الجلد لا يمل البحث والمراجعة، سريع الخاطر واسع الحفظ، دقيق البحث في الوضع واللغة والترتيب واسع الإطلاع، يسير بالقارئ بين حزون المباحث وسهولها، عرَّب وصحيح وألف 25 كتاباً ونيف، فهو بلا ريب من أركان نهضتنا العصرية، وأعيان ناشري آدابنا العربية.

درس في صباه مبادئ الصرف والنحو والحساب في حمص ، ونظم المواليا والزجل في الحادية عشر ، ومن قوله وكان يتغني به في حلب (سبعاوي):

يـــا ســـاكن ألبـــان صـــبري مـــن بعـــادك بـــان

يـــبكي دمـــا كلـــما غنـــي حـــمام البـــان

سرك كتمتـــه ولكـــن مـــن دمـــوعي بـــان

والـــدمع فضـــاح أربـــاب الهـــوى في الصـــبا

يـــاروح عطفـــاً عـــلى العـــاني أســـير الصـــبا

مـــولاي شـــكواي ألطـــف مـــن نســـيم الصـــبا

وإن كان يهتز عطفك يا غصين البان

وفي السابعة عشر من عمره دخل المدرسة الأمريكية في عبيه من لبنان وذلك في 1861 فظل بها إلي السنة 1864 ، ولما فارق المدرسة المذكرة عكف على الدراسة والمطالعة فتلقي الرياضيات والفلك والمنطق على العالم المشهور الأستاذ ميخائيل مشاقة الدمشقي ، والطبيعيات والكيمياء على الأستاذ النطاسي يوسف دمر، ومبادئ الإنكليزية على معلمة إنكليزية، على أنه استفاد من إكبابه علي المطالعة أضعاف ما استفاده من أساتذته كما هو معلوم عند العلماء، وقد أنشأ مقالة بهذا المعني عنوانها أنا معلمي، ولا بدع فالأستاذ يلقن المبادئ كما يلقي الزارع الحب علي الأرض ، فإن لم يتعهد التلميذ ما ألقي في سمعه بأمطار الدراسة والمراجعة ونسيم الذكر والتنقيب والمطالعة، كان تعلمه كالحبة ألقيت على أرض جرداء، أو صخرة صماء، فتقاذفتها رياح النسيان واستأكلتها نمال الهوان.

ثم قدم بيروت كما سبق الكلام وصار يدرّس في المدرسة الكلية الأمريكية وفي مدرسة البنات وفي المدرسة البطريركية، وله اليوم من تلاميذه أبناء العرب المنتشرين في أطراف الأرض طائفة كبيرة فيها الأطباء والعلماء والأدباء المعاصرين، واتصل بالعلامة

الأستاذ كرنيليوس فانديك الطيب الذكر ، ورصد معه الكواكب ثم اتخذ منظاراً وبات يرصد به في بيته.

ثم توليّ إنشاء النشرة الأسبوعية وهي المجلة التي يصدرها المرسلون الأمريكيون الأفاضل في بيروت منذ سنة 1880 فجعلها روضة دانية القطوف بثمار علمه وآثار قلمه، فإنه كان عالما بالجبر والهندسة والمنطق والجغرافية السماوية والإنسان والكيمياء والنبات والحيوان وسائر الآداب العربية، وكان خطيباً بليغاً فكهاً وافر الإطلاع شديد البحث، له طائفة من الأوضاع العلمية والتراكيب الفصيحة العصرية ، وشئ كثير من المعرَّب، وكان كاتباً فصيحاً عصرياً يختار التعبير الواضح باللفظ البليغ والتركيب الفصيح والعبارة الموجزة، ولا سيما في العمليات ، فلا يثقل ذهن المتعلم بأحمال من الكلام تبهظه فيجبن عن التقدم في مسالك الطلب، ولا يسير به في طرق طويلة مستوعرة من التعبيرات فيضل طريق الفهم، وهذا ما لم يوفق إليه كثير من علمائنا فأطالوا في المتون العلمية، ثم طولوا في الشروح والحواشي والمهمل والغريب والنادر وغيره، حتي تشعبت على الطالب وجوه القصد، وتحير في كثرة مذاهب الطلب، واستبعد الوصول إلي الغاية، فتولاه اليأس من بلوغ المرام، فانصرف عن درس مبادئ لغته، وهذا ما دعا أكثر فتيان المدارس عندنا إلي طلب اللغات الأجنبية ولا سيما الفرنسوية، حتي عجز أكثرهم عن كتابة سطرين سالمين من الغلط بهذه اللغة الشريفة ، بل ما أكثر من درس اللغة سنوات وهو يعجز عن تجنب الخطأ في كتابته، وقد كدنا نخرج عن الموضوع.

وألف وعرّب كثيراً من الكتب المفيدة وكتب في كثير من الجرائد والمجلات ، فمن أقدم ذلك : النجاح ولسان الحال والمحروسة ، ومن المجلات: الجنات والمشكاة والمقتطف والصفا والطبيب والنشرة الأسبوعية والمباحث.

أما مؤلفاته فمنها : الشهب الثواقب في الجدل، وجلاء الدياجي في الألغاز والمعميات والأحاجي، ومناهج الحكماء في مذهب النشؤ والارتقاء ، والحق اليقين في الرد علي داروين، والآيات البينات في عجائب الأرض والسماوات، وضوء المشرق في

علم المنطق، والإعراب في نهج الأعراب، وشمس البرهان في علم الميزان، والكوكب المنير في علم التفسير ، وديوان شعر كبير، وأسفار ذات السوار (رواية).

ومن المعربات المواعظ الميلادية، ومواعظ مودي، وتفسير التوراة، وسكان وادي النيل، ورجال التلغراف، وسيرة القديس أغوسطينوس، والطريق السلطانية.

وكان ينزع إلي المجون والإحماض في حديثه، وكان سريع الخاطر مبدهاً ، أما شعره فأكثره كشعر العلماء ، وإليك شيئاً منه.

قال في صغره في بدوية:

بدويـــــةُ لامـــــوا العميـــــد بحبهـــــا

فـــــأجبتهم والـــــدمع أحمـــــر قـــــاني

مـــــا شـــــان فيهـــــا أنهـــــا بدويـــــة

ترمـــــي الســـــهام بمهجـــــة الحـــــوراني

وقال في صباه من قصيدة:

مـــن كـــل غـــرثي وشـــاح مـــا دنـــت ورنـــت

إلا رمـــــت بســـــهام الطـــــرف مضـــــناها

تظـــــل نـــــيران إبـــــراهيم موقـــــدة

منهـــا كلـــيم الحشي في طـــور ســـيناها

هيفـــاء ترفـــل في بـــرد الســـنا وأنـــا

أختـــال في مثـــل مـــا يشـــكوه جفناهـــا

بالوصـــل أبخـــل غـــادات الـــورى خُلقـــت

وعنـــد ســـفك دم العشـــاق أســـخاها

قال في الكهرباء:

كـــــأني في الهـــــوي العـــــذريّ عصـــــف

ولـــــــيلي في المحاســـــــن كهربـــــــاء

دنـــــت منـــــي ومسّـــــتني لهـــــذا

علقـــــت بهـــــا كـــــما حكـــــم القضـــــاء

وقال في الكأس:

في هـــــذا الكـــــأس الهـــــلاك فـــــلا تـــــذق

حَلَـــــب العصـــــير صـــــديد أهـــــل جهـــــنمَ

عكســـــت لظـــــى لألأهـــــا مـــــن نارهـــــا

وحبابهـــــا نفـــــث الحبـــــاب الأرقـــــم

وقال:

هـــــذّب كلامـــــك في نظامـــــك قبـــــل نقـــــد العـــــالم

فالشـــــعر كـــــالمرآة يرســـــمُ فيـــــه عقـــــل النـــــاظم

ومن محاسن شعره قوله في صدر قصيدة:

حمـــــل النســـــيم لنـــــا عبـــــير شـــــذاكا

ظبـــــي الخيـــــام فرحـــــتُ مـــــن أسراكـــــا

ومنها:

مغنـــــي توهمـــــتُ الســـــماء رحابـــــه

لمـــــا رأيـــــت أهيلـــــه أملاكـــــا

وظننـــــــت ســـــــكان المضـــــــارب أنجـــــــما

لمـــــــــا رأيـــــــــت خيامـــــــــه أفلاكـــــــــا

وبهذا القدر كفاية للدلالة علي مقدار فضله.

قاضي القضاة الشيخ بشير الغزّي [1]

(1) بشير الغزي (1274-1340 هـ) (1857-1921م) : محمد بشير الغزي، ابن هلال الألاجاتي. ولد بمدينة حلب وفيها كانت وفاته. قضى حياته في حلب، غير زمن محدود عاشه في الآستانة عضواً بمجلس المبعوثان (التركي) ممثلاً لسورية في العهد العثماني. أخذ العلم عن أخيه الشيخ كامل، وكان مشهوداً له بقوة الحافظة، من ثم تبحّر في اللغة والأدب، كما كان إماماً في علوم الفقه والحديث والمنطق، كما واتاه الشعر لقوة بلاغته. اشتغل بالتدريس في عدة حلقات من جوامع حلب، وحين استقلت سورية عينته الحكومة العربية قاضياً على ولاية حلب (المحكمة الشرعية). اشتغل بالتدريس ورفض تولي الإفتاء. غير أنه أصبح «قاضي القضاة» في ما سمي «دولة حلب» زمن المحتل الفرنسي. كان حسن الصوت يجيد ترتيل القرآن.

- له ديوان «حدائق الرند، ترجمة ترجيع بند» - وهو قصيدة مطولة بالتركية، نظمها ضياء باشا التركي، وعرّبها المترجم له بشكل أرجوزة في عهد السلطان عبدالحميد (ط 2) المطبعة الحلبية - حلب، (1896)، وله مؤلفات ومنظومات في التجويد وأحكام القرآن والمنطق. شاعر ولغوي فصيح اللفظ بليغ العبارة، نقل عن التركية ديواناً فأجاد سبكه وسياقه وكأنما صنعه بلغته بدءاً، وفي هذا ما يدل على الموهبة والقدرة. انظر :

1 - سامي الكيالي: الأدب العربي المعاصر في سورية .

2 - عبدالقادر عياش: معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين (1911 - 1974)

4 - محمد راغب الطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء.

من شعره : من قصيدة: حدائق الرَّنْد (تتمة قصيدة في المتن)

لا تنتهي ذرّاتُ هذي الأرضِ ... وليس يمكنُ انْفكاكُ البعضِ

وجَوْفُها مشتعلٌ بالنارِ ... وقِشْرُها قد شُقَّ بالبحار

وحَجمُها مَعْ قشرِها المشقّقِ ... كقبّةٍ قد فُرشتْ بالوَرَقِ

وذلك القشرُ بكلِّ آنِ ... يسعى ليعطي الرزقَ للحَيْوانِ

وربّما تنفثُ كالثعبانِ ... فزُلزلتْ مَعْ ثورة النيرانِ

وهْي كمصباحٍ بشمعٍ وُقدا ... وفي نواحيها النسيمُ انْعَقدا

مائدةٌ لسائر العوالمِ ... ليُرزقوا منها بوجهٍ دائم

ونقطةٌ منها الجهاتُ تُدركُ ... والعقلُ منها لسواها يَسْلُكُ

فيها لكلّ كائنٍ حياةُ ... وكلُّهم لها بها وفاةُ

قـــد نامـــتِ النفـــوسُ باطمئنـــانِ ... عـــن نارهـــا في قُـــرْشِ الأمـــانِ

ســـبحان مـــن قـــد حـــيَّر العقـــولا ... بصـــنعه وأعجـــزَ الفحـــولا

يـــا ربِّ مـــا بـــالُ اللَّبيـــبِ في الـــزمنْ ... معـــذَّبٌ بعقلـــه ومُمْـــتحنْ

يـــا ربِّ إنـــكَ ابْتليـــتَ العارفـــا ... بِقـــدْرِ مـــا أوليتَـــه مَعارفـــا

مـــن كـــل وجـــهٍ مُبْصِرٌ عنـــاءَ ... و فـــوقَ عقلِـــه يـــرى الأشـــياءَ

هـــل يمكـــنُ التحقيـــقُ والإيقـــانُ ... والعقـــلُ بـــالظنِّ لـــهُ اتّـــزانُ

وكيـــف بـــالعلمِ والاسْـــتيعابِ ... لعـــاجزِ نـــاءٍ عـــن الصـــوابِ

كأنّـــه لم تكفِنـــا الأهـــوالُ ... حتـــى تـــولّى حكمَنـــا الجهّـــالُ

ولســـت أدري هـــل نِظـــامُ العـــالَمِ ... يقضيـــ لـــذي جهـــلٍ بعـــزٍّ دائـــمِ

ولم يـــزلْ مـــن ســـالفِ الأزمـــانِ ... يَســـتعبدُ الأحمـــقُ ذا العِرْفـــانِ

وفي يَفـــاعِ العِـــزِّ يرقَـــى الجاهـــلُ ... وفي حضـــيض الـــذلِّ يُلْقَـــى الفاضـــلُ

بـــالحظِّ قـــد صـــار الجَهـــولُ نـــائلا ... آمالَـــهُ والشَّـــهْمُ أضـــحى ســـائلا

ســـبحان مـــن قـــد حـــيَّر العقـــولا ... بصـــنعه وأعجـــزَ الفحـــولا

أهْـــبطَ آدمٌ مـــن العـــيش الرَّغَـــدْ ... وابـــتُلِيَ الخليـــلُ في ذبْـــحِ الولـــدْ

بـــكَى لفرقـــةِ ابنـــه يعقـــوبُ ... ويوســـفٌ في جُبِّـــهِ مَكْـــروبُ

وأنَّ أيـــوبٌ وذاقَ الضُّـــرا ... وزكريّـــا رأسُـــه قـــد نُشِـــرا

كـــذاك يحيَـــى رأسُـــه قـــد قُطعـــا ... وكـــم بمحنـــةٍ يســـوعُ وَقَعـــا

و خُضِـــبَتْ بالـــدمِ نعـــلُ أحمـــدِ ... وَسِـــنُّهُ انقضَّـــت بيـــومِ أُحُـــدِ

وَ شـــدَّ بطنَـــه الكـــريمَ بـــالحجرْ ... مـــن سَـــغَبٍ وَ لـــذَّةَ الـــدنيا هَجَـــرْ

والصـــاحبُ الصِـــدّيق بالســـمّ ارتحـــلْ ... واستُشـــهد الفـــاروقُ ذو القـــدْر الجَلَـــلْ

وجـــامعُ القـــرآنِ بالـــذَّبْحِ امـــتُحنْ ... والمرتضى ـــ حيـــدرُ بالســـيف طُعـــنْ

ومـــات بالزّعـــاف ظلـــماً الحســـنْ ... وقُتـــل الحســـينُ وهـــو المـــؤتمَنْ

وهكـــذا بقَـــدَرِ القُـــرب إلى ... حضرـــة ذي العـــرش يُشـــدَّدُ الـــبَلا

ســـبحان مـــن قـــد حـــيَّر العقـــولا ... بصـــنعه وأعجـــزَ الفحـــولا

قـــد هجـــر الراحـــةَ قـــومٌ للعـــلا ... والـــبعضُ بالإدبـــارِ أضـــحى مُبـــتلَى

وبعضُـــهم قـــد ذَلَّ مـــعْ كـــلِّ الغِنـــى ... والـــبعضُ مـــن أجـــل الغِنـــى ذاق العَنـــا

وبعضُـــهم لوارثيـــه يجمـــعُ ... و عُمْـــرُ بعـــضٍ في القُنَـــى مُضَـــيَّعُ

ولد بحلب سنة 1274 هجرية وتوفي بها سنة 1339

1857- 1931 مسيحية

هو الشيخ محمد بشير الغزي ابن الشيخ هلال الألاجاتي، أخذ لقب أخيه لأمه الشيخ كامل الغزي لأنه رباه صغيراً.

طود حلم ووقار وقطب أهل العلم في هذه الأقطار ، كان متبحراً في علمي اللغة والأدب، ويحفظ ويروي من نوادرها ما يورث العجب، وكان إماماً في علوم الفقه

بعضٌ يحاولُ الفِلِزَّ الأنْفَسا ... وبعضُهم بالكيمياءِ أفلَسا

و بعضُهم قاتَلَ من أجل السَّمَعْ ... و بذلَ النفوسَ قومٌ للطمَعْ

والبعضُ منقادٌ لِعَيْنٍ من عَشِقْ ... وآخرٌ غُلَّ بشَعرٍ من عَلِقْ

و بعضُ قومٍ هائمٌ بالرَّنْدِ ... وبعضُهم مُولَّعٌ بالوردِ

وبالرقيِّ بعضُهم قدِ ارتقَى ... وبعضُ قومٍ للتمائمِ انتَمَى

والبعضُ بالرِّاح خليعٌ سادرُ ... وبعضُهم بمالِه يُقامرُ

فكلُّ حُرٍّ صارَ عبداً للأمَلْ ... و كلُّهم بباطلٍ قدِ اشتَغَلْ

سبحان من قد حيَّرَ العقولا ... بصنعه وأعجزَ الفحولا

يا عجباً لظالمٍ ختَّالِ ... لا يخطرُ الإثمُ له ببالِ

وسارقٍ يأنفُ إن قيلَ سرقْ ... وقاتلٍ لا يَخْشَيَنَّ من خَلقْ

وكلُّ من تسألُه عن حالِهِ ... يريك وجهَ الحق في أفعالِهِ

يُضلبُ قاطعُ الطريقِ في بلدْ ... و سيّداً في بلْدَةٍ أخرى يُعَدْ

تَبرُّجُ النساءِ عيبٌ ظاهرُ ... وفيهِ عندَ معشرٍ تَفاخُرُ

بعضٌ يرى الحُرْمَةَ وهْو يشربُ ... والبعضُ يستحلُّ ما يَنتهِبُ

إن شئتَ عاشرْ كاملاً مهذَّبا ... معلومةً أطوارُهُ مجرَّبا

تُبصرُ بعدَ البحثِ عن شُؤونهِ ... دلائلاً تُنْبيكَ عن جُنونهِ

فِكْرُ الفتى يظهرُ في الأفعالِ ... وليس يرضَى نسبةَ الضلالِ

ما لِبَيانِ الحقِّ والبُطلانِ ... والعقلِ والجنونِ من ميزانِ

سبحان من قد حيّر العقولا ... بصنعه وأعجز الفحولا

والحديث والمنطق ، أخذ العلم في حداثته عن أخيه صديقنا العالم الشاعر الشيخ كامل - الآتي الذكر - وكان يأخذه العجب من سرعة فهمه وشدة ذكائه ، وكان منذ حداثته آية في الحفظ ، حدثني أخوه الصديق المشار إليه قال كنت ألقي عليه الدرس من مطولات الدروس فأغيب عنه ساعة ثم أعود فيؤدّيه لي عن ظهر قلبه كأنما هو يتلو في لوح مسطور، وقد حفظ ألفيه ابن مالك في نحو خمسة عشر يوماً ومثلها أمالي القالي ومثلها الكامل للمبرد وغير ذلك من كتب العلم واللغة والأدب.

وكان بيننا وبينه صداقة أكيده ومعاشرة طويلة العهد وطيدة، فخبرنا منه فاضلاً زهيد العين، عزوفاً عن الدنيا، حصين الضمير، غضيض الطرف، صادق العهد، مهذَّب اللسان، وكان من المغرمين بإنشاء حجة العصر الشيخ إبراهيم اليازجي ومن المعجبين بفرط تبحره في فنون اللغة وآدابها، وكان يقول لنا هذا صاحب هذا القرن السعيد ومجدد عهد ابن العميد ، ولا عجب فالفضل يدركه ذووه.

كان طويل القامة ممتلئ البدن مستدير الوجه، حنطي اللون خفيف شعر الوجه "أنيس الطلعة" دمث الطبع، لين الجناح، وقور النفس، بعيد غور الحلم، جميل النية نقي الصدر، فصيح العبارة بليغها، رخيم الصوت، يرتّل القرآن ترتيلاً ترتفع له حجب الأسماع.

له الشمسية في المنطق وقد طبقت شهرتها الآفاق الهندية تبلغ مائتي بيت ونيّف ، وله رسالة في التجويد، وله رسالة سماها حدائق الرند ترجمة ترجيع بند عرّبها عن التركية فجاءت منظومة كأنها عربية الأصل، وكل من عاني التعريب يعلم صعوبة السبك والنقل إلي القوالب العربية نثراً فكيف به نظماً ، وإليك شيئاً من عبيرها:

كم في السماء من كُرَاتِ جلّتِ

والأرض عنها كبعض ذرّةِ

وكم من الشموس والأقمار

بها وكم من ثابت وجاري

وكـــــــل شـــــــمسٍ معهـــــــا توابـــــــعُ
وكـــــــل تـــــــابع لـــــــه متـــــــابعُ

ومنها:

لا تنتهـــــــــــي ذرّاتُ هـــــــــــذه الأرضِ
ولـــــــيس يمكـــــــن إنفكـــــــاكُ الـــــــبعضِ
وجوفهـــــــــا مشـــــــــتعل بالنـــــــــار
وقشرـــــــها قـــــــد شـــــــقّ بالبخـــــــار

ومنها:

للضـــــعف صـــــار الظبـــــيُ لقمـــــة الأســـــد
والـــــذئب أضـــــحي طعمـــــه لـــــه النُقـــــدْ

ومنها:

لـــــــدرّه قـــــــد صُـــــــدع المحـــــــارُ
لصـــــــوتهِ قـــــــد حُـــــــبسَ الهـــــــزارُ

ومنها:

ظلـــــمُ القـــــويّ للضـــــعيف جـــــاري
في الأرض والهـــــــــــواء والبحـــــــــــارِ

وكلها على هذا النمط الأنيق.

تولي التدريس في عدة حلقات من جوامع حلب ، أنتُخب عضواً لمجلس المبعوثان التركي. ولما أتاح اللـه الاستقلال لسورية عينته الحكومة العربية يومئذ قاضياً على ولاية

حلب ، ثم سمّي - بعد دخول العساكر الفرنسوية إليها وتسميتها دولة حلب - قاضي القضاة ، وهو أول من لقّب بذلك منذ دخول الترك هذه البلاد.

فيكتور خياط

هو فيكتور بن فتح الـلـه بن سمعان الخياط ، والدته شقيقة كاتب هذه الرسالة ، ولد بحلب سنة 1878 وتوفي في ديار بكر سنة 1910.

طلع غصناً نضيراً في رياض الأدب، بل كوكباً منيراً في سماء حلب، تنقاد شتي المعاني لألفاظه طائعة، وتبرز من منسجم نظمه في حلل رائعة، وكان يرجي أن يُري له فضل جزيل، لو أنصفه الدهر وأين الإنصاف من لئيم بخيل.

كان ممتلئ الجسم، مليح القوام، يميل إلي الطول، جميل المحيا، أسود الشعر أبيض اللون مشرباً بحمرة ، كبير الرأس، لطيف اليدين، حسن الطلعة بادي البشر، واسع الجبين، جميل الأنف.

وكان يتكلم ويكتب بالفرنسوية والطليانية والتركية أيضاً، سريع الحفظ، جيد الذاكرة، غزير الأدب، سديد النقد، حسن الإختيار، دقيق الوصف، مستعذب النظم، حلو الحديث، رخيم الصوت، عارفاً بفنون الغناء، طيب النفس، شريف الخلق، كأنه صيغ من معدن اللطافة، وجبل بماء الرقة.

نظم الشعر فتّياً ، وشعره كخلقه على حدّ قولهم كتابة المرء مرآة نفسه ، فهو يكاد يسيل رقةً وانسجاماً ، وإليك من ذلك قوله في جزيرة الأمراء احدى جزر القسطنطينية المسماة بالتركية بيوك أطه:

سـارَ فُلْـك الصـفا بنـا في المسـاءِ
داحـراً حملـة الـدُجي والمـاءِ
راح ينسـلّ يمنـةً ويسـاراً
بـين داعـي الهنـا ووقـع الغنـاّء
وصـغير يحـكي العويـل صـداه
وضـجيج يفضي إلي الجـوزاء

ومنها في وصف السفينة المعروفة هناك بالبواخر الخيرية:

فـــــاعتلي المركـــــب الصـــــغير كمنطـــــاد

يـــــــروم المســـــــير فـــــــوق المـــــــاء

تـــــــارةً ينثنـــــــي وطـــــــوراً تـــــــراهُ

ينتنـــــــــي كالحيـــــــــة الرقطـــــــــاء

موجـــــةً بعـــــد موجـــــة بعـــــد أخـــــرى

كجبـــــــــال يَمـــــــــدِن في البيـــــــــداء

زمجـــــرَ الـــــريح فوقهـــــا ثـــــم أرغـــــى

زَبـــــــد البحـــــــر منـــــــذراً بقضـــــــاء

وعـــــلا مـــــن منافـــــذ الفلـــــك صـــــوت

كـــــــــزئير مـــــــــروّعٍ وعـــــــــواء

ودخـــــــــانُ يثـــــــــور فيـــــــــه شرارُ

صـــــاعداً كـــــالغمام نحـــــو الفضـــــاء

وصراخُ فجهشـــــــــــــةُ فبكـــــــــــــاء

فـــــــــودا ع الآبـــــــــاء للأبنـــــــــاء

ومنها:

وتـــــراءت لنـــــا عـــــلى البعـــــد أرضُ

خالهـــــا الـــــبعض شـــــعلةً مـــــن ذكـــــاء

وفريـــــق قضـــــوا عجابـــــاً وقـــــالوا

نيـــزكٌ قـــد هـــوي مـــن الخضرـــاء

حملتـــــه البحـــــار فأعجـــــب لنـــــارٍ

لم تصـــــبها الميـــــاه بالإطفـــــاء

❁ ❁ ❁

كلـــــما ســـــارت الســـــفينة بانـــــت

تلكُـــــــم الأرضُ فتنـــــــة للـــــــرائي

قـــــد أحاطـــــت بهـــــا الجزائـــــر

والأعـــــلام والرابيـــــات كـــــالخفراء

ومـــــروج نضـــــيرة وغيـــــاض

ومريـــــعُ الحـــــدائق الغنّـــــاء

وهي طويلة وكلها علي هذا النمط الأنيق.

وكتب إلينا يقرظ كتابنا منهل الورّاد، وكان يرانا بعين ملؤها البرّ والوداد:

رفعـــــت لـــــك الآداب خـــــيرَ بنـــــودِ

وســـــما بمـــــدح عـــــلاك بيـــــت قصـــــيدي

ولقـــــد زهـــــا روض الفنـــــون وأينعـــــت

أفنانـــــه بفعالـــــك المحمـــــودِ

أسســـــت للنقـــــد المبـــــين قواعـــــداً

في أقـــــوم التوطيـــــد والتحديـــــدِ

ومنها:

فغـــــدا الكتـــــاب قـــــلادة الحســـــناء في

جيـــــد الزمـــــان بـــــدره المنضـــــود

وخزانـــــة الأدب الصـــــحيح وروضـــــة

الفضـــــل الـــــرجيح وقنيـــــة لمريـــــد

فـــإذا كتبـــت فأنـــت أفضـــل كاتـــب

وإذا نظمـــــت فأنـــــت خـــــير مجيـــــد

وإذا نطقـــــت فســـــاجعات حمائـــــم

وإذا خطبـــــت فمطربـــــات العـــــود

لـــك في حمـــى الشـــهباء صـــيت طـــائر

وبمصر ذكـــــر وافـــــر التحميـــــد

فالفضـــل يـــذكر عنـــد أربـــاب النهـــى

والعـــرف يعـــرف باشـــتعال العـــود

لا بـــــدع إن موضـــــوعه أرّخ ســـــما

في النقـــــد نعـــــرف قيمـــــة المنقـــــود

1907

وكان لازال مذكوراً بأكرم الشيم والخلال ، عضواً في محكمة الحقوق البدائية ، ثُم سمّي عضواً لمحكمة الاستئناف الحقوقية في ديار بكر فذهب إليها ولم يلبث بها بعض أشهر حتي أصيب بحمي لم ترحم شبابه الرطيب ، فقضي وذكره باقٍ في أفواه عارفيه كالطيب.

الحاج مصطفي الأنطاكي الحلبي[1]

(1) مصطفى الأنطاكي (-1309هـ) (-1891م): مصطفى بن عبدالوهاب بن مصطفى الأنطاكي. ولد في مدينة حلب، وتوفي فيها. عاش في سورية والعراق وتركيا. تلقى العلوم العربية والأدبية عن علماء مدينة حلب في عصره، ورحل إلى بغداد في شبابه بقصد التجارة، وأفاد من علمائها. عمل في شبابه بالتجارة، وفي بغداد افتتح حانوتًا (دكانًا) كان ملتقى الأدباء والفضلاء، وبعد زمن طويل ذهبت تجارته، فرحل إلى الآستانة، واتصل بأبي الهدى الصيادي (رئيس طائفة المولوية الدراويش) ومدحه، وعظمت منزلته عند السلطان عبدالحميد الثاني، وبقي في كنفه حتى أدركته المنية.

- له قصائد في كتاب: «شعراء حلب ذوو الأثر»، وله قصائد في كتاب: «أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء». شاعر سريع الخاطر، كما وصفته مصادر دراسته، أكثر في شعره من المديح والغزل والنسيب والوصف، والأغاني المعروفة بالقدود، وله عليها أدوار عديدة. يقترب في غزلياته من النموذج الأندلسي في رقته، وانتقاء ألفاظه، وتراكيبه، ومعانيه. يميل إلى التقريظ، والتشطير، والتخميس، والإلغاز، والمداعبة، والتأريخ الشعري. انظر: محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (جـ7)

من شعره : من قصيدة: الفارس المفضال

أتى زائـــرًا والليـــل شـــابت ذوائبُـــهْ ... عـــلى غـــير وعـــد خـــوف واشٍ يراقبُـــهْ

فلـــو لم تـــوارِ الجيـــدَ منـــه ضـــفائرٌ ... لنمّـــت علينـــا وافضـــحتنا كواكبـــه

ردينـــيّ قـــدٌّ إن تنـــاهض قائمًـــا ... فتقعـــده أردافـــه أو تجاذبـــه

يكـــاد إذا مـــا مـــاس مـــن لـــين قـــدّه ... نســـيم الصّـــبا تحـــت الـــبرود يلاعبـــه

فيـــا خصرَـــهُ مـــا أنـــت جســـمي فـــما الـــذي ... دعـــاك نحـــيلاً مثلـــه أو تقاربـــه؟

ويـــا قلبـــيَ الخفّـــاق مـــا أنـــت بنـــده ... ولا قرطـــه الحـــالي ففـــيم تناســـبه؟

بروحـــيَ مـــن لـــو لم تصُـــنْ كنـــز حســـنه ... ظُبـــا مقلتيـــه لا تـــزال تناهبـــه

عـــلى صـــفحةِ اليـــاقوت دبَّ عـــذاره ... وبالمبســـم الـــدريِّ قـــد خـــط شـــاربه

وكـــم بـــدر تِـــمٍّ تحـــت فـــاحم جعْـــده ... جلَتْـــه لنـــا فـــوق الجبـــين غياهبـــه

وكـــم شـــمس حســـنٍ في محيّـــاه أشرقـــت ... لقـــد أســـفرت عنهـــا لـــدينا ذوائبـــه

مليـــكُ زمـــام الحســـن في ظـــلّ وصْـــله ... رعـــى اللـــه عيشًـــا قـــد تقضّـــت أطايبـــه

بأيـــام أنـــسٍ لـــو علمـــتُ نهبْتُهـــا ... كـــما أشـــتهي والعـــيش خضرٌ جوانبـــه

فيـــا عـــذّلاً قـــد بـــالغوا في ملامهـــم ... دعـــوني فـــداعي الوجـــد للقلـــب غاصـــبه

ولا تزعمـــوا أن المَـــلام يروعنـــي ... وهيهـــات مـــثلي أن يُـــروَّع جانبـــه

لم نقف علي سنة مولده ولم تحققت لدينا سنة وفاته ، ويظن أنها كانت سنة 1891 مسيحية في القسطنطينية.

شاعر سريع الخاطر ، له من القريض الخربُ والعامر، رأيناه في حداثتنا مرة واحدة ينظم بديها، ويجيد وصفا وتشبيها، ثم وقفنا في هذه الأيام علي قصيدة بخطه نظمها سنة 1286 هجرية بحلب ليست من جيد شعره ، علي أنه كان ذا حظ موفور في نظم الأغاني المعروفة بالقدود ،وستري مثالا من الشعرين.

وكان ربعة إلي القصر، مليح الوجه، أسود الشعر والعينين، صغير الرأس أبيض اللون، صغير الأنف والفم، رقيق الشفتين لطيف الصوت.

تقلبت به الأحوال فقصد بغداد وتعرف إلي أحد تجارها واشتغل مضاربة بالعادات مدة من الزمن، وقد أخبرنا ثقة رآه هناك وعاتبه علي بعده عن وطنه وإهماله الشعر ، فقال له أنها بضاعة كاسدة ، وهذا الرجل- يريد التاجر البغدادي- يثق بي ويمدني بالمال للمتاجرة بالعاديات، ثم أنه قصد القسطنطينية ولعل ذلك بغية بيع ما كان لديه من العاديات، ثم توفي بها وقيل أن شعره الكثير ظل بين أوراق السيد أبي الهدي الصيادي واختلط بها ، والله أعلم.

وهاك القصيدة التي أشرنا إليها أعلاه :

أقلوا ملامي وأنصفوا واضح العذر

ورقوا له وارثوا لميت الهوى العذري

أمَا والقوام السمهريّ ولينهُ ... ولحْظ كحيل يثّمّثنيْ حواجبه

وجيدٍ عليه جوهر القرط قد زها ... وصدغ على الريحان دبّت عقاربه

فما العشق إلا مغنطيس أولي النهى ... يروم فؤادًا كالحديد يجاذبه

وليس له في الوغد أدنى تأثرٍ ... ومن أين للأوغاد تصفو مشاربه؟

فصرِّخ أخا الأشجان بالوجد معلنًا ... وبُحْ باسم من تهواه أو من تحابه

وقـــــد جزتمـــــوا في اللـــــوم حـــــداً وجـــــرتمُ

فجـــرتم ومـــا حـــزتم ســـوي الإثـــم والـــوزر

خلعـــــت عـــــذاري في العـــــذاري ولم أخـــــف

ملامـــــــاً بربـــــــات الأســـــــاور واليـــــــزر

وملكـــــــت رقـــــــي للهـــــــوي فاســـــــترقني

ولم يخطـــــر الســـــلوان يومـــــاً عـــــلي فكـــــري

أعلـــــــل نفسي ـــــــ بالتواصـــــــل واللقـــــــا

وإن كـــــان مـــــن أهـــــوي مصرـــــاً عـــــلي الهجـــــر

جـــــرت عـــــادة العشـــــاق قـــــبلي بـــــأنهم

يبـــــاتون طـــــاوين القلـــــوب عـــــلي الجمـــــر

هنيئـــــاً لمـــــن يعـــــرف الوجـــــد والهـــــوى

ولم يـــــدر طعـــــم الحـــــب يومـــــاً مـــــدي الـــــدهر

إلي كـــــم أقـــــاسي جـــــور أحـــــور فـــــاتن

أغـــــنّ ربيـــــب فاتـــــك ناحـــــل الخصر ـــــ

نفـــــور بـــــدا تحـــــت الغلائـــــل يتثنـــــي

كريحانـــــة تهتـــــز مـــــن نشـــــأة الســـــكر

طليـــــق المحيـــــا يـــــزدري الشـــــمس نحـــــره

ومـــــن فرقـــــه الوضـــــاح ياخجلـــــة البـــــدر

وعـــــن جيـــــده مـــــذ راح يرفـــــع شـــــعره

فزحـــــزح ذيـــــل الليـــــل عـــــن غـــــرة الفجـــــر

تـــــري المـــــوت مقرونـــــا بمقلتـــــه التـــــي

لهـــــاروت أوصـــــت بالكهانـــــة والســـــحر

متـــــى حركـــــت بـــــالغمض جفنـــــاً تســـــابقت

ســـــهام المنايـــــا للقلـــــوب عـــــلي الفـــــور

ومنها:

لعمـــــري أن تبغـــــي بقـــــاء مـــــودتي

فـــــلا تمـــــدحن غـــــيري بـــــنظم ولا نـــــثر

سوي الشهم

❁ ❁ ❁

فقوله اليزر هكذا وجدت بخط يده وهو لا شك يريد الأزر جمع أزار واليزر لغة عامية بحلب ، وقوله وعن جيده مذ راح الخ لا محل لهذه الواو العاطفة إلا أن يقال أنه أراد وقد راح يرفع شعره عن جيده وحينئذ لا محل للفاء من زحزح اللهم إلا يقال تزحزح بجعل زحزح لازماً. وقوله تري الموت مقرونا بمقلته إلخ هو من أقبح التراكيب كما يظهر بأدني تأمل ، وقد أعاد هذا المعني بنفسه في البيت التالي ولكنه أخف علي الأذن مما قبله، وعلي الجملة فيلس هذا من الشعر الرصين.

وقال رحمه الله :

حـــــاز الجـــــمال بخـــــده المتـــــورد

وبـــــدا يصـــــول بـــــرمح قـــــدّ أمـــــردِ

سـلْت لحفـظ الـدر في كنـز اللمـي

لحظـاهُ سـيفي مرهـف ومهنَّـدِ

فعسـت أناملـه بمـورد ثغـره

ياقوتـه نظمـت بسـلك منضـدِ (كـذا)

نسـجت أيـادي الحسـن أبهـي حلـة

ضـمت غلائلهـا قـوم محمـدِ

وله:

كفـي بقلبـي غرامـاً حـين ذكـراكِ

يـذوب شـوقاً إلي بـاهي محيـاكِ

يادميـة الحسـن يـامن في الهـوي حكمـت

عـلي المحبـين في التعـذيب عينـاكِ

تملكتنـي صـبا بـات الهـوي فأنـا

وحـدي بكـل الـذي ياهنـد يهـواك

لم يبـقِ وجهـك في شـمس ولا قمـر

حسـناً وللـبرق نـوراً مـن ثنايـاكِ

نسـيم زهـر الـرُبي مـا لـذّ مـورده

لـولا يبلـغ للمشـتاق ريـاكِ

يسرّ قلبـي الهـوي والـدمع يظهـره

يـا مـن لطـرف شـجيّ لم يـزل بـاكي

نّمـــــتْ عـــــليّ دمـــــوعي في الهـــــوي فأنـــــا

أمـــــوت وحيـــــداً واحيـــــا عنـــــد رؤيـــــاكِ

قوله في البيت الأخير رؤياك يريد رؤيتك.

ومن إحسانه:

علي ياقوت وجنته تبدي * زمرد عارض بالنبت أخضر

علي تلك المحاسن إذ توفت * يُكررّ أربعاً الـلـه أكبر

ومن قدوده المشهورة :

مذ أقبلوا أخجلوا الأغصان بالقد المائلْ *

*** وكم قتيل بكحيلْ أجفانْ حلو الشمائل**

ومن لمي ثغره الألمي أهنا مشروبي * وجيد المحبوب أفتنًا بالحيل والميلْ قد ذبت بالميل

دور

علي الوترْ ورخيم العودْ طافت بالكاس * أخت القمر فتنة الوجود منية الناس

وقد ظهر بالشعر المعقود ضوء الألماس

يروي الخبرْ عن عقد البنودْ تحت الغلائلْ

ومن قدّ علي لحن يامحنّي يدين العصفوره

عليٌّ قدر بالحسنِ * عن كل وصف مستغني

عليه لم أزل أثني * أن جار أو لن يجورا

دور

وزان خديهِ أحسنْ * في نقطة الخدّ الأيمن

إذا وقلبي مسترهَنُ * في قبضتيه مأسورا

نصر الـلـه الدلال

هو نصر الـلـه بن عبد الـلـه الدلال خال كاتب هذه الرسالة الثاني ، وشقيق جبرائيل المشـهور المتقدم الذكر ، ولد بحلب في الثالث عشر من تموز سنة 1841 وتوفي في بيروت في الخامس عشر من نيسان سنه 1883.

عَلَم فضل وجمال، وطودُ حزم وكمال، جمع بين الرقة والمهابة، وأصالة الرأي والنجابة.

كان يحسن التكلم بالتركية والفرنسوية والطليانية ويكتب بها كلها، وكان ذا وقوف عـلي أكـثر العلوم العصرية ، ولا سيما الطب والطبيعيات والفلسفة والأدبيات، لكنه مني منذ الثلاثين من عمره بعلة في المعدة حالت دون ما كان ينويه من مصاحبة القلم وملازمته، حتـي قضي- في بـيروت فجـأة بتلك العلة.

وكان ربعة القوام ممتلئ الجسم في أول شبابه كما يعلم من رسم لـه في ذلـك العهـد ، أبـيض اللون مشرَّباً بلون وردي، أزرق العينين، أشقر الشعر، جميل المحيا، بهي الطلعة، تلـوح عـلي محيـاه أنوار الوقار والذكاء، رزيناً فصيح العبارة نقي اللفظ، يخوض في سـائر المعـارف، ولـه رسـالة عنوانهـا منهاج العلم طبعت في حلب سنة 1865 في أقسام المعارف ومراتبهـا وفوائـدها. ولـه كتـاب عنوانـه أثمار التـدقيق في أصـول التحقيـق طبـع في بـيروت سـنة 1881 وموضـوعه ضرورة قيـام الأحكـام في المجتمع البشري لدوام عمرانه قياساً علي أحوال المماليك الـثلاث في الكـون، وهـي الجـماد والنبـات والحيوان، ولعله نظم شيئاً من الشعر ولم يصـل إلينـا، إذ كـان منزلـه مثابـة شـعراء وقتـه وفضـلائه كفرنسيس المراش وأنطوان الصقال وأبي بكر زبيده وغيرها ، وقد مدحـه الشـاعران المتقـدمان، كـما سبق ذكره في ترجمة أحدهما.

لم نقف علي سني ولادته ووفاته، ولا علي غير ذلك من علمه وسائر حالاته، وإنما وصل إلينا من شعرهِ ما نثبته بالحرف، وهو كما تري علي غاية من التكلف والضعف.

مهفهـــــفُ قـــــد زهـــــت خـــــداه بـــــالخفرِ

وقـــــــد أتى لحظـــــــهُ في آيـــــــة الحـــــــورِ

يـــــا لائمـــــي فيـــــه لـــــو شـــــاهدت صـــــورته

أمســـــيت مـــــثلي حليـــــف الوجـــــد والقـــــدر

خطَّـــــــارُ قامتـــــــه عسّـــــــال ريقتـــــــهُ

أنـــــوار طلعتـــــه غشـــــت ســـــني قمـــــر

إن الكواكـــــــــب أن لاحـــــــــت محاســـــــــنهُ

تســـــهو لديـــــه حيـــــاءَ ســـــهو معتـــــذر

يـــــروي لنـــــا وجهـــــهُ نـــــور الصـــــباح كـــــما

روي لنـــــا ثغـــــره عـــــن نشرهـــــه العطـــــر

للـــــــه درَّ جفـــــــون في القلـــــــوب لهـــــــا

هتـــــك وفتـــــك فلـــــم تبـــــقِ ولم تـــــذرِ

صـــــبح الجبـــــين بـــــدا مـــــن ليـــــل طرتـــــه

لـــــولاه طـــــال عـــــليّ في النـــــوى ســـــهري

قوامـــــه غصـــــن بـــــان والجـــــمال لـــــه

في كـــــل جارحـــــة نـــــوع مـــــن الثمـــــر

أفديـــــه ظبيـــــاً نفـــــوراً مـــــن تلفتـــــهِ
أرام نجـــــد غـــــدت في التيـــــه والحـــــيرَ

الشيخ محمد الوراق[1]

(1) محمد الوراق (1247-1317هـ) (1831-1899م): محمد بن أحمد بن محمد صادق المعروف بالوراق. ولد في مدينة حلب وتوفي فيها. تلقى العلوم العربية والأدبية والشرعية عن أحمد الكواكبي، والنحو والصرف والفقه والحديث عن عبدالقادر الحبال، وعلم الحديث عن عبدالسلام الترمانيني، والفقه الحنفي عن أحمد الزويتيني، وبعدما أتم معارفه اعتنى بنظم الشعر والقدود وصار يلحنها ويلقيها أثناء الذكر، بعد أن تتلمذ على الحاج مصطفى البشنك، الذي كان إمامًا للمنشدين. عمل بالعطارة، فكان يتعايش منها ومن الراتب القليل مقابل الإنشاد، ثم عُيّن قارئًا بالجامع الكبير، وفي أواخر عمره ترك الإنشاد وظل يؤم الناس بمحراب الحنفية في الجامع الكبير حتى وفاته.

- له قصائد وردت في بعض المصادر منها: «إعلام النبلاء» و«معجم المؤلفين» و«أعلام الأدب والفن»، وذكر صاحب إعلام النبلاء أن له قصيدة منشورة في جريدة الفرات الرسمية، يمتدح فيها الوالي جميل باشا - العدد 696 - الرابع من ذي القعدة 1299هـ/1881م، وله ديوان مخطوط بحوزة ابنه بشير - كان يقيم بمصر. ارتبط شعره بمناسبات «الإنشاد» المختلفة من أذكار وأعراس وإحياء للمناسبات الدينية، فعُني بموسيقاه وأوزانه وقوافيه وجدّد في ذلك وارتجل وفقًا للمناسبات التي ترد في حينها، كما نظم الموشحات وخمّس القصائد، واقتبس من كبار شعراء العربية، وشطّر قصائدهم وجاراهم في لغتهم، غلبت عليه النزعة الدينية والصوفية، فجلُّ شعره في مديح الرسول صلى الـلـه عليه وسلم وآل بيته، متوسلاً في ذلك بالمقدمات الغزلية حيث ترق لغته وتشف معانيه وتزدهي صوره وتأتي تراكيبه سلسة مراعيًا أصول النغم فيطرب سامعيه ويشجيهم بطرائف شعره. انظر:

1- أدهم آل جندي: أعلام الأدب والفن (جـ1).

2- خيرالدين الزركلي: الأعلام .

3- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين .

5- محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء

6- كامل الغزي: الموسيقى والموسيقيون في حلب «الشيخ محمد الوراق» مجلة المجمع العلمي العربي (جـ10).

7- ممدوح الجابري: الموسيقى في حلب - مجلة العمران - دمشق.

من شعره : إليها اشتياقي

إليهـــا اشـــتياقي دائمًـــا يسْـــتطيرُني ... ومِـــن فيْضـــها الهطّـــال كـــم ذا تُعـــيرُني

ومـــن صـــدُّها يـــا قـــومُ مَـــنْ ذا يُجـــيرُني ... وقـــد كـــان منهـــا الطيّـــف قِـــدْمًا يـــزورُني

ولمّـــا يـــزُرْ مـــا بالُـــه يتعـــذَّرُ ... وقـــد لـــذَّ لي ذلّي لعـــزِّ جمالهـــا

وطـــاب افتضـــاحي في الهـــوى لـــدلالها ... فـــما بالُهـــا عنِّـــي اختفَـــتْ بجلالِهـــا

فهـــل بخلَـــتْ حتـــى بطيـــف خيالهـــا؟ أم اعتـــلَّ حتـــى لا يصـــحَّ التصـــوُّرُ؟

شِـــفائي لِقاهـــا والتباعـــدُ مُمْـــرضي وعمْـــرُ اصـــطباري في الهـــوى غـــيرِ مُـــنْقَضِ

فكيـــف إلى الأغْيـــار أصـــبو وأرْتضي ومِـــنْ وجـــهِ لـــيلى طلعـــةُ الشـــمس تَسْـــتضي

وفي الشـــمس أبْصـــارُ الـــورى تتحـــيَّرُ فحَمْـــدي لهـــا أني مقـــيمٌ ببابِهـــا

ألـــوذُ وأســـتجْدي لذيـــذَ خطابِهـــا وقـــد شـــملتني عطفـــةٌ مـــن جنابهـــا

ومـــا احتجبَـــتْ إلا برفْـــعِ حجابِهـــا ومـــن عجـــبٍ أن الظُّهـــورَ تســـتُرُ

لله درُّ همامٍ

طـــاب الصَّـــبوحُ فـــأيقظْ راقـــدَ السَّـــمرِ والفجـــرُ لاح وغنَّـــى بلبـــل السَّـــحَرِ

وألسُـــنُ الشـــكر تتلـــو الحمـــدَ معلِنـــةً بمـــدحِ تـــاج الملـــوكِ السّـــادةِ الغُـــرَر

«عبدِالحميـــد» الـــذي قامـــتْ بدولتِـــهِ شـــعائرُ الـــدين في بـــدوٍ وفي حَضَر

فإنـــه قـــد حبانـــا مـــن مكارمـــه بخـــيرِ والٍ جميـــلِ الـــوِردْ والصَّـــدَر

فالـلـــه يجزيـــه عنـــا كـــلَّ آونـــةٍ نصْرًا وحفظًـــا لـــه مـــن حـــادث الغِـــيَر

يـــا كعبـــةَ المجـــدِ يـــا ذا الحمـــدِ يـــا حـــرم الْ لاجِـــي إليـــه وأمْـــنَ الخـــائف الحَـــذِر

يـــا شـــاملَ الجمـــع مـــن جـــودٍ ومـــن كَـــرَمٍ وجـــامع الشـــمْلِ بـــين الـــنصر والظفـــر

ويـــا جميـــلَ المســـاعي دامَ عـــزكمُ روضُ الســـماح لـــديكم يـــانعُ الثمـــر

للهِ درُّ هُـــمامٍ بالجميـــل لقـــد ســـماكُمُ فســـموتم كُمَّـــل الـــبشر

إن الملـــوك حســـامٌ أنـــت جـــوهرُه والســـيفُ مـــن غـــير مـــاءٍ غـــيرُ مشـــتهر

لـــولا وجـــودكمُ يـــا ســـادتي قســـمًا لكـــان فجْـــرُ المعـــالي غـــيرَ مُنفجِـــر

إن جُـــزتُمُ بمحـــلِّ المحْـــلِ صـــار بكـــم خصْـــبَ المراعـــي ويجـــري المـــاءُ في الحجـــر

وهـــذه دولـــةٌ كالجســـمِ أنـــتَ لهـــا روحٌ وكـــالعَيْنِ فيهـــا أنـــت كـــالحَوَر

فـــإن زهَـــتْ كســـماءٍ كنـــتَ كوْكبَهـــا وإن زكـــتْ كريـــاضٍ كنـــت كـــالمطر

لـــو بعـــضُ نـــورِكمُ للشـــمسِ مـــا احتجبَـــتْ أو للبُـــدورِ بَـــدَتْ في أكمـــل الصُّـــور

يفنَـــى الزمـــان ولا تفنـــى مـــآثرُكُم فـــلا مَحـــا اللـــه مـــنكم طيِّـــبَ الأثـــر

تبدَّت

تذليل على أبيات ابن إسحق الزاهي

تـــذليل عـــلى أبيـــات ابـــن إســـحق الزاهـــي تبـــدَّتْ فهـــذا البـــدرُ مـــن كلَـــفٍ بهـــا

وحقِّـــكَ مـــثلي في دجـــى الليـــل حـــائرُ وماسَـــتْ فشـــقَّ الغصـــنُ غيظًـــا جُيوبَـــه

ولد بحلب سنة 1245 وتوفي بها سنة 1308

1829 -1890

كان عالماً فقيها، وفي علمي اللغة والحديث نبيها، وهو آخر عالم فقدته البلاد السورية، في فني الموسيقي والألحان العربية، إذ فيما نظن أن وفاة الأستاذ ميخائيل مشاقة الشامي هي قبل هذا التاريخ.

ويُروي أن لهُ عدة مجاميع ضمنها من الطرائف والظرائف طائفة كبيرة مما له ولغيره، فهل في الحمي أديب عالم بمكانها، فينتضيها انتضاء السيوف من أجفانها، ويبرزها إبراز النفائس من صوانها.

وكان أوصي أن لا يحنَّط ، وظن بعضهم أن ذلك لفرط شحه، فإن كان ما دفعه إلي ذلك ما ظنوه ، فهو من الغرابة بمكان.

وكان يقرض الشعر ولم يصل إلينا إلا ما نثبته هنا، قال مخمساً :

بانت سعاد وحبل والودّ قد صرمت

وأودعت في الحشا ناراً ومارمت

ألستَ ترى أوراقَه تتناثر ... وفاحتْ فألقى العُودُ في النار نفسَه

كذا نقَلتْ عنه الحديثَ المجامِر ... وقالتْ فغارَ الدُّرُّ واصْفرَّ لونُه

كذلك ما زالت تغار الضَّرائر ... وغنَّتْ فماج الكونُ وجْدًا كأنما

يُغنِّيك في رَبْعِ المسرَّة طاهر

بانت سعاد

بانتْ سعادُ وحَبْلَ الودُّ قد صَرَمتْ ... وأودعت في الحشا نارًا وما رحِمَت

باللهِ إن بعدَتْ عن ناظري ونَأَت ... خُذني بعيسِكَ يا حادي فإن ظمِئَتْ

رِدهْا دموعيَ لا تأمَنْ من الغَرقِ ... لعلَّ في القُرب أن أحظى ولو نفسا

فإنني في النوى قد ذقتُ كلَّ أسَى ... ويا حُويْدي أنِخْ بي إن أتيتَ مَسا

وحسْبُك النارُ من أحشايَ مقتبِسا ... واحذرْ تُدانِي مكانَ القلبِ تحترقِ

باللـــــــه إن بعـــــدت عـــــن نـــــاظري ونـــــأت

خـــــذني بعيســـــك ياحـــــادي فـــــإن ظمئـــــت

ردها دموعي ولا تأمن من الغرقِ

لعـــــل في القـــــرب أن أحظـــــي ولـــــو نفســـــا

فـــــإنني في النـــــور قـــــد ذقـــــت كـــــل أسي

ويـــــا حويـــــدي أنـــــخ بي أن أتيـــــتَ مـــــا

وحســـــبك النـــــار مـــــن أحشـــــاي مقتَبســـــا

واحذر تداني مكان القلب تحترقِ

وله في بيع الأرض المعروفة بأرض المشنقة بحلب:

ياجـــــاهلاً مـــــا أحمقَـــــهْ وافـــــق أهـــــل الزندقَـــــةْ

يقـــــول لي مـــــن رافقـــــه وافـــــق شـــــن طبقـــــه

بكبـــــــــةِ مشـــــــــوّيةِ قـــــد بـــــاع أرض المشـــــنقةْ

ولما وقف علي هذه القصيدة صديقنا رأس الظرفاء الشيخ كامل الغزي قال : قد أراد الشاعر أن يحطَ من قدر البائع والحقيقة أنَهُ:

بكبـــــــــةِ مشـــــــــويةٍ وخمـــــــــرةٍ معتقـــــــــة

ووجنـــــــــةِ ناعمـــــــــةٍ قـــــد بـــــاع أرض المشـــــنقَّةْ

وللورّاق شعر كثير لم نقف عليه.

القس أُوغسطين عازار[1]

لم نقف علي مولده ، ولد بحلب وتوفي بها في 29 شباط سنة 1888.

شاعر ذو قريحةٍ فياضة، وسليقةٍ في بحار الشعر خوّاصه، يتصرف بالكلام تصّرف العاجن بالمعجون، فإذا هو طوع براعته منظوم موزون، لاحاهُ الدهر فبدل صفو أيامه

---

(1) أغسطين عازار (- 1307 هـ) (- 1889 م) : أغوسطينوس عازار الحلبي الماروني. ولد في مدينة حلب، وإليها ينتسب، وإلى ثراها كان المنقلب. عاش في حلب، وبيروت. تلقّى تعليمه في المدرسة الإكليريكية في لبنان. تفوق في اللغة العربية، فنظم الشعر، ونقل إليها عن اللغات الأخرى. اشتغل مدرساً في حلب للعلوم الدينية واللغة العربية. كان عضوًا في الهيئات والمؤسسات الدينية للطائفة المارونية في حلب.

- له ديوان شعر (مفقود) - والمتيسر من شعره تضمنته مصادر هذه الدراسة.

- له كتابان في الفلسفة: خلاصة المعرفة في أخصّ قضايا الفلسفة - المطبعة العمومية الكاثوليكية في بيروت: 1886، ووحدة النفس البشرية. (أشارت إليه المصادر). يقول لويس شيخو عن شعره: «ومع أن شعره كثير، فقد لعبت به أيدي الشتات، فلم نعثر منه إلاّ على غيض من فيض»، وهذا «الغيض» ينطوي على شعور ديني جارف، يبدو في مدائحه كما يبدو في مراثيه، وفيه نزعة روحية إنسانية تكاد تكون رومانسية قبل سطوع الرومانسية في الشعر العربي، كما في رثائه لفتاة في مقتبل الصبا. قد يشار في المصادر إلى تراكيب ضعيفة في بعض شعره، وإن كان تقبلها تأذن به الرمزية التي لم يعتمدها الذين كتبوا عن شعره. انظر :

1- لويس شيخو: تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين (جـ2) .

2- يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة .

من شعره : لا فرق عند الموت

من أين يرجو المرءُ خُلداً إذْ يَرى ... كلاً يزول مع الزمان ويُدفعُ

إن الحياة لدى الحقيقة عهدُها ... يمضي كلمع البرق أو هو أسرع

كلٌّ له يومٌ يودّع أهلَه ... فيه وداعاً مطلقاً ويودِّع

لا فرقَ عند الموت بين أكابرٍ ... وأصاغرٍ حين القضاءُ يلعلع

ما هذه الدنيا لدى عيني سوى ... سَفْرٍ إلى أبدية لا ترجع

إن رمتَ يا صاحِ السعادة والبقا ... فاسلكْ سبيلَ الله صدقاً تنجعُ

بالكدُر والألم، وأذاقه من الشقاء والنكد ما يحلو في جنبه العلقم، فقضي في شرخ الشباب، شهيد الفاقة والأوصاب.

كان قصير القامة، ضعيف البنية، عصبي المزاج، أسمر اللون، أسود العينين، حالك الشعر، أسبل اللحية، صغير الأنف والفم، مخروط الوجه، رقيق الشفتين، طيب الخلق، حلو العشرة، فصيح العبارة، جيد الحفظ، مليح المزاج.

وقد عرفناه أيام فتوتنا معرفة لها منا أطيب ذكر، وصحبنها صحبةً أصفي من ماء الغمام أو هي الخمر، ومرَّت لنا وفتية من محبي الشعر، إجتماعات به كانت مواسم العمر، وليال ساهرات كانت غرر الدهر.

ومع أن شعره كثير ، فقد لعبت به أيدي الشتات فلم نعثر منه إلا علي غيض من فيض .

قال يهنئ البابا لاون الثالث عشر سنة 1888.

نـــادى المنـــادي بـــوحي اللـــه مـــا كُتبـــا

في أيـــة النصر أن الليـــث قـــد غلبـــا

ليـــث مـــن الأنـــس تخشي الأرض ســـطوته

في الغـــرب والشرـــق إن عجَـــماً وإن عربـــا

ومنها:

لـــذا السياســـة في الـــدنيا لـــه اعترفـــت

بـــه اســـتعانت ســـلاطين العقـــول عـــلي

بالفضـــل واتخذتـــه ســـيداً وأبـــا

تعزيـــز مـــا هـــان أو تـــذليل مـــا صـــعبا

وقال يهنئ القس بولس الحكيم بارتقائه أسقفية حلب علي الطائفة المارونية 1885 وقد ضمن التاريخ آية.

قـــــد قـــــام في الشـــــهباء بـــــولس عصرهـــــه

يرعـــــــي نفـــــــوس المـــــــؤمنين ويحـــــــرسُ

ناديـــــت مـــــا قـــــد أرّخـــــت شـــــمس الثنـــــا

أنـــــت الأنـــــاة المصـــــطفي يـــــا بـــــولس

ومن شعره ونظمه في رثاء العالم أنطوان الصقال المتقدم ذكره :

هـــــوي طـــــود بيـــــت العلـــــم وأنهـــــد ركنـــــه

وبيـــــــت الحجا سُلَّتْ دعامته الكبرى

لـــــــذاك عـــــــلي تأبينـــــــه العلـــــــم والحجـــــــا

قـــــد اتفقـــــا مـــــا الـــــدهرُ أبقـــــي لـــــه ذكـــــرى

وكان هنأنا بقصيدة لم نعثر عليها بين أوراقنا ولا نذكر منها إلا بيتين أو ثلاثة قال في مطلعها:

ســـــــبت الغزالـــــــة بالملاحـــــــة والحـــــــوَرْ

أنســـــــيته زُفـــــــت إلي ظبـــــــيَ أغـــــــرّ

ومنها:

خلقـــــت كـــــما شـــــاءت فـــــدونك آيـــــةُ

مـــــن أبـــــدع الآيـــــات في خلـــــق الصـــــورَ

وختامها:

لا زلـــــت قســـــطنطين عصرِـــــك ناهيـــــاً

متـــــأمِّراً فبفضـــــلك الـــــدهرُ افتخـــــرْ

وقال يرثي فتاة في مقتبل الصبا:

شموســـــا قـــــد عـــــدمنا أم بـــــدوراً

فأرخـــــتْ ظلمـــــة الليـــــل الســـــتورا

تُـــــري مـــــاذا جـــــري في الكـــــون حتـــــي

تـــــوارت نـــــيرات الأفـــــق نـــــورا

وأي النائبـــــــــات الســـــــــود دارت

فقـــــد أبـــــت الـــــدوائر أن تـــــدورا

وأيـــــة دميـــــة قـــــد غادرتنـــــا

فعطلـــــت الـــــدمى منهـــــا النحـــــورا

ومنها:

توســـــدت الفـــــلاة فتـــــاة حـــــيّ

رحيـــــب الصـــــدر كـــــان بهـــــا جـــــديراً

وقد وقع له في شعره تراكيب ضعيفة وجملُ بقي معناها في ضميره، والبعض منها مختل المعاني كقوله توارت نيرات الأفق نورا ، ليت شعري ما يُفهم من ذلك؟ ولعله يريد توارت أنوار الكواكب في نواحي السماء، فلم يوفق لسبك هذا المعني بما يناسبه من اللفظ فنظمه مظلماً كما تري. وكقوله فقد أبت الدوائر أن تدورا، ما الذي يفهم منه بعدما صدّره بقوله وأي النائبات السود دارت، أما قوله رحيب الصدر كان بها جديرا

في رثاء فتاةٍ، فهو من نقص الذوق بمكان، ولم يوقعه بذلك كله رحمة الـلـه، إلا سرعة الـنظم ونقـص التثبت، ولا ريب أنه لو فُسح له في الأجل، وأعاد نظره فيما تقدم وأمثاله من شـعره، لمـا غـادر فيـه لناقد سبيلاً.

وله كتاب خلاصة المعرفة في أخص قضايا الفلسفة ، وكتاب آخر عنوانه وحدة النفس البشرية ، والكتابان مطبوعان.

عبد الـلـه أفندي الجابري[1]

ولد بحلب وتوفي بها نحو سنة 1220 مسيحية 1805

---

(1) عبد الـلـه الجابري (1169-1220هـ) (1755-1805م): عبدالـلـه بن مصطفى بن أحمد بن موسى الجابري. ولد في مدينة حلب وفيها توفي. عاش في سورية. قرأ القرآن الكريم، وأخذ علومه عن عدد من علماء حلب، وأجازه عدد منهم، كما أتقن ثلاث لغات: العربية، والتركية، والفارسية، وأجاد الخط العربي بأنواعه. عمل مع والده في تحرير الوثائق الشرعية والصكوك لدى قاضي قضاة حلب، وتولى رئاسة كتاب العدول بالمحكمة الكبرى بحلب خلفا لوالده. قصد الحجاز حاجًا ومر بدمشق للمرة الثانية (1194هـ-1780م) ونزل في دار بني المرادي عند خليل أفندى صاحب التاريخ. تولى منصب الإفتاء في حلب (1785).

- له قصائد نشرت في مصادر دراسته، وفي مقدمتها كتاب «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء».شاعر مقل، نظم فيما ألفه شعراء عصره من أغراض كالرثاء والوصف، وله الكثير من التشطيرات والتخميسات والتضمنيات في مقطوعات وقصائد قصيرة، اتسمت عبارته بالقوة، وأسلوبه بالإحكام، ودقة التصوير. انظر:

1- عبد الرزاق البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (جـ2).

2- محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء .

من شعره : ملكت قلبي

مَلَكْـــــــتَ قلبـــــــيَ قهـــــــرا ... وحُـــــــزْتَ أسرِيَ قَسْـــــــرا

أنـــــــت الشِّـــــــفا وحيـــــــاتي ... لم أســـــــتطع عنـــــــك صَـــــــبْرا

يـــــــا مـــــــالكي وأمـــــــيري ... حاشـــــــاي أعصـــــــيك أمـــــــرا

ارحـــــــم خضـــــــوعي ترفُّـــــــقْ ... الرفـــــــق واللـــــــه أحـــــــرى

بحـــــــال صـــــــبٍّ كئيـــــــبٍ ... دمـــــــوعُ عينيـــــــه تـــــــترى

فإنمـــــــا العـــــــزُّ مِضي ... أيـــــــن الملـــــــوكُ وكِسْـــــــرى؟

وأيـــــــن مـــــــن قـــــــال زورًا ... ألـــــــيس لي مُلْـــــــك مصرـــــــا؟

فيض الفضائل

وَرَدَ الـــــورى سلســـــالَ جـــــودك فـــــارتَوْوا ... بـــــزلالِ فـــــيضِ فضـــــائلٍ ومَـــــراحِمِ

فقصـــــدتُ مقصِـــــدَهُمْ وجئتُـــــك راجيًـــــا ... ووقفـــــتُ خلـــــف الـــــوِرد وقفـــــةَ حـــــائم

حـــــيران أطلـــــب غفلـــــةً مـــــن وارِدٍ ... ولهـــــان أرجـــــو نجـــــدةً مـــــن راحـــــم

فأقمـــــتُ منتظـــــرًا ببابـــــك واقفًـــــا ... والـــــوِرْدُ لا يـــــزداد غـــــيرَ تـــــزاحم

قالوا صبرت

قـــــالوا صَـــــبَرْتَ وقـــــد أوذيـــــتَ قلـــــت لهـــــم ... رَدُّ الأمـــــور إلى الـــــرَّحمن إصـــــلاحُ

إني تـــــبرَّأتُ مـــــن حـــــولي ومـــــن حِـــــيَلي ... ففـــــي التوكـــــل إمـــــدادٌ وإنجـــــاح

من أسرة لها في المجد أعراق، وفي طلب العلم وقرض الشعر أنجاد وأعراق، أما السيد عبد الله المترجم فلم نتوصل إلي الوقوف علي سنة ميلاده ولا غير ذلك من شؤونه التي كنا نود أن نشبع ترجمته بها ، وقد علمنا أنه تقلد منصب الإفتاء بحلب سنة 1200 هجرية أي سنة 1785 مسيحية، ووقفنا له علي شعر قليل، ينبىء عن جاه في القريض عريض طويل، وياحبذا لو زادنا منه الصديق عبد الحميد أفندي الآتي الذكر، فبمثل هذا النظم يُقال شعرُ أغني عن خمر.

قال رحمه الله وأجاد:

سأغمض أجفاني علي مضض القذي

وإن حسب الجهَّال أني جاهلُ

إلي أن يتيح الله للناس دولةٌ

تكون سوي الأرذال فيها الوسائل

وقال:

ولما صفي وقتي مع الحب ساعةٌ

حنانيَك لو شاهدتني وخضوعي

وأدركنا لا كان صاح رقيبنا

رجعتُ بحال لا رجعتَ رجوعي

وقال مضمناً:

إذا كنت مرتاحاً إلي الراح دائماً

تري عيبهُ حسناً وترضاه مشربا

فصـــــــبراً عـــــــلي خـــــــير الخـــــــمار وضرَّه

بمـــــا قلـــــت أهـــــلاً للكـــــؤوس ومرحبـــــاً

محمد أسعد الجابري[1]

(1) محمد أسعد الجابري (1198 - 1258هـ) (1783- 1842م): محمد أسعد بن الحاج عبدالقادر الجابري. ولد في مدينة حلب (سورية)، وفيها توفي. عاش حياته في سورية. تلقى علوم العربية والفقه الحنفي على يد عدد من علماء عصره بمدينة حلب، ممّا أهلّه لتولي منصب الإفتاء فيها. عمل مفتيًا في مدينة حلب منذ عام 1856م، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته. كان ذا هيبة ووقار.

أورد له كتاب «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» بعضًا من هذه الأشعار. شاعر وجداني غزل، مزج في تغزله بين العفة والمصارحة على عادة أسلافه من العذريين. وله تخميس شعري ينعى فيه حال الدنيا، وما آل إليه من اختلال، فقد ذهب السمير مع الخليل، وأصبح الخفاش ناطقًا على حد قوله. يميل إلى استثمار طاقات التجنيس اللغوي، وله شعر في الخمر ومجالسها. لغته رقراقة عذبة، وخياله طليق.

انظر :

محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (جـ7)

من شعره : مدح خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وسلم)

للـــه مَـــنْ بـــالهوى بالصـــدِّ أفتاهـــا؟ ... ومَـــنْ عـــلى الصَّـــبِّ بـــالهجرانِ جَرّاهـــا؟

فَهَـــلْ تُـــرَى علمـــتْ أنِّي أبـــرُّ بهـــا؟ ... أقســـمتُ أنَّ فـــؤادي لـــيس ينســـاها

أو هـــل تـــرى تـــدري مـــا بالقلـــب مـــن شَـــجَنٍ؟ ... كـــما دَرَتْ مقلتـــي مِـــن لَـــوْعتي ماهـــا

وأنـــتَ يـــا طَرْفَهـــا لا تُبـــقِ لي رمَقًـــا ... لا خـــيرَ في مُهجـــةٍ ألحـــبُّ أبقاهـــا

تنهـــدَّتْ رحمـــةً لمـــا رأتَ ســـقَمي ... خوفًـــا لـــئلاّ أُرَى مـــا بـــين قَتْلاهـــا

لا عيـــب فيهـــا ســـوى مَعْســـولِ ريقَتِهـــا ... مثـــل النَّبـــات فـــما قـــد كـــان أحلاهـــا

واصـــلتُ في شَـــعْرِها ليـــلَ الوصـــال فلـــم ... أخـــشَ صـــباحًا ســـوى ضـــاحي محيّاهـــا

بتنـــا جميعًـــا بـــأثواب العفـــافِ إلى ... أن قـــام داعـــي صـــلاةِ الفجـــر حيّاهـــا

ضـــمَّتْ إلى صـــدرها صـــدري تـــودُّعني ... ثـــم انثنـــت عـــن ضـــلوع ثـــم مثواهـــا

فقـــام يُنشِـــدُها في الـــروض بلبلـــه ... مـــذ غـــردت بـــرخيم الصـــوت ضـــاهاها

قالـــت: أتخلَـــص مـــن حبـــي؟ فقلـــت لهـــا ... بمـــدْح خـــاتمِ كـــلِّ الأنبيـــا طاهـــا

لا تســـتطيع الـــورى تُحصي مدائحَـــه ... لـــو كـــان كـــل شـــعور النـــاس أفواهـــا

صـــلى عليـــه إلـــه العـــرش مـــا صـــدحت ... قمريَّـــةٌ إلْفُهـــا بـــالبين أبكاهـــا

والآل والصـــحب والأتبـــاع مـــا نشـــدَتْ ... لِلـــه مَـــنْ بـــالهوى بالصَّـــدِّ أفتاهـــا

لم نقف علي سني مولده ولا وفاته

هو ابن أخي عبد الـلـه المتقدم الذكر ، تولي الإفتاء بحلب بعد ابن عمه أحمد أفندي ، الـذي تولاه أيضاً بعد عمه عبد الـلـه المذكور ، ولا نعلم من أمره غير هذا ، علي أن النموذج القليل الـذي لدينا من شعره يدل علي أنه كان من رواض القوافي، وفرسان القريض لا فرسان الفيافي.

قال وأحسن:

يقولـــــون تـــــب والكـــــأس في يـــــد أغيـــــدِ

وصـــــــوت المثـــــــاني والمثالـــــــث عـــــــالِ

فقلـــــت لهـــــم لـــــو كنـــــت أضـــــمرت توبـــــة

وعاينـــــــتُ هـــــــذا في المنـــــــام بـــــــدالي

قوله بدالي من باب الاكتفاء يريد بدالي بداءُ، أي تغَّير رأيي علي ما كان عليه.

وقال مخمساً الأبيات المشهورة:

لم يبـــــــــق في الـــــــــدنيا مـــــــــواخْ

زمـــــــــنُ الرجـــــــــا ولّى وشـــــــــاح

يـــــــــا ناعيـــــــــاً زد بالصرـــــــــاخ

خَلَـــــــتِ الرقـــــــاع مـــــــن الرخـــــــاخ

وتفرزنـــــت فيه البيـــــادق

هـــــــي جيفـــــــة حـــــــظ الكـــــــلاب

فـــــــتري الكـــــــرام بهـــــــا تُصـــــــاب

ولئامُهـــــــــا تُعطـــــــــي النصـــــــاب

وســـــــطا الغـــــــراب عـــــــلي العقـــــــاب

واصـــطـــاد فـــرخ اليـــوم بـــاشـــق

حكـــــــم الإلـــــــهُ فـــــــلا اعـــــــتراض

لرفيعهـــــــــــــا بالإنخفـــــــــــــاض

فـــــــــــــانظر إلي ذا الإعتيـــــــــــــاض

ســـــــــكتت بلابلـــــــــة الريـــــــــاض

مـــــذ أصبـــح الخفـــاش نـــاطـــق

ذهـــــــب الخليـــــــل مـــــــع الســـــــمير

وُضـــــــع العـــــــليُّ عـــــــلى الحقـــــــير

واحسرـــــــــــتا أيـــــــــــن المُجـــــــــــير

وتســـــــــــابقت عُـــــــــــرُجُ الحمـــــــــــير

فـــــقـــلـــت مـــــن عـــــدم الســـوابـــقْ

عبد الحميد الجابري

ولد في حلب سنة 1208 وتوفي بها سنة 1274

1793- 1856

قال:

كـــــن في أمـــــور الـــــدين صـــــاح متابعـــــا

للنقـــــل وأجتنـــــب الهـــــوي والوسوســـــه

واتـــــرك لمـــــا في العقـــــل يخطـــــر إنمـــــا

علـــــم الشرـــــيعة لـــــيس علـــــم الهندســـــة

وقال:

وليلـــــــــــة قامـــــــــــت براغيثهـــــــــــا

تـــــــرقص مـــــــذ غنـــــــي لهـــــــا البـــــــقْ

فكـــــــدت مـــــــن غيظـــــــي لأفراحهـــــــا

أنشـــــــقْ لـــــــولا الصـــــــبح ينشـــــــقّ

هذا كل ما وصل إلينا من ترجمة هذا الشاعر ، علي أن البيتين الأخيرين فيما نظن ليسا من شعره ، وقد يكون رآهما كما رأيناهما في بعض كتب الأدب ، فأثبتهما في أوراقه بغية تشطيرهما أو لسبب آخر والله أعلم.

الحاج صديق الجابري

ولد بحلب سنة 1241 وتوفي بها سنة 1320

1825 مسيحية 1902

هو ابن عبد الحميد المتقدم الذكر ، كان من أعيان حلب المشار إليهم بالبنان ، مشهوراً برجاحة العقل وحسن البيان، رزيناً متوفّر الفهم، كامل الحلم.

وكان حسن القامة إلي الطول، نحيف الجسم، أبيض اللون، مليح الملامح متوقد النظر خفيف اللحية، تلوح علي وجهه لوائح الذكاء والفطنة.

قال وهو معني حسن:

أيـــا مـــن يـــدعي حبـــاً لشـــخصِ

إذا حققـــت مـــا المحبـــوب غـــيرٌ

تميـــل إلي الـــذي تهـــواه منـــه

ومـــا تهـــوي ســـوي مـــا فيـــه خـــيرك

وقال يصف مدينة بيروت حين زارها:

صـــحراء بـــيروت زهـــت نضرـــتها

لا ســـيما أشـــجار روض الحـــرش

قـــد بســـطت أكفهـــا تـــدعوا لمـــن

يزورهـــا بنيـــل طيـــب العـــيش

محمد نصوح الجابري[1]

(1) محمد نصوح الجابري (1257-1305هـ) (1841-1887م) : محمد نصوح بن صديق الجابري. ولد في مدينة حلب وفيها توفي. عاش في سورية وفلسطين. تلقى علومه الأولى من فقه وأدب بين أسرته، ثم قصد عكا (حوالي 1886م) فأخذ الطريقة اليشرطية (الصوفية) وعاد لينشرها في مدينته، وكان مولعًا بالاطلاع على كتب التصوف.

- له قصائد ومقطوعات نشرت في مصادر دراسته، ومنها: و«إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء». شاعر نظم في عدد قليل من أغراض الشعر كالحكمة والوعظ والإرشاد، غلب على قصائده الميل إلى الزهد والإعراض عن متاع الدنيا، تجلت تجربته الشعرية في قصيدته الميمية التي حاكى فيها ميمية البوصيري، قسمها إلى عدة فصول حسب موضوعاتها. انظر: محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء .

من شعره: بان الخفاء (تتمة قصيدة في المتن)

بـــان الخفـــاءُ وبانـــتْ بانـــةُ العلـــمِ ... ترمـــي بلحـــظٍ تـــروم الفتـــك في العلـــمِ

فـــاكظم رجـــاءك في أرجـــاء كاظمـــةٍ ... واســـلمْ فـــديتك لا تطمـــعْ بـــذي سَـــلَم

واقصرْ هـــوًى طالمـــا فيـــه هويْـــتُ إلى ... وَهْـــدِ الهـــوان وهـــذا الـــذلُّ والســـقم

هـــل يجهـــدُ الحـــرُّ في تمليـــك مهجتِـــه ... لمـــن يـــرى ســـلْبَها مـــن واجـــب الـــذمم؟

هـــي الغـــواني لـــديها خـــيرُ مَكْرمـــةٍ ... إغْـــوا الكـــريم وقطْـــعُ الوصـــل والكـــرم

كـــم مـــن فقيـــدٍ بمغناهـــا بـــلا قَـــوَدٍ ... للغُـــنْمِ وافى وإنَّ الغُـــنْم بـــالغنم!

مـــاذا التجلُّـــدُ للواشـــين تظهـــره ... دومًـــا وذا دمعـــك الهتّـــان كالـــدِّيَم

أمـــا الـــذي قـــد جـــرى مـــن مقلتيـــك دمًـــا ... هـــو الفـــؤاد فعـــشْ جســـمًا بغـــير دم

لـــئن شرائعُهـــم طِبْـــقَ العصـــور أتـــت ... فكلهـــا انطبقَـــت في عصر خَـــتْمِهم

وكـــلُّ مســـتكملٍ ســـيْرًا لأولـــه ... يعـــود يـــا حبّـــذا بـــدءٌ بمختـــتم

لـــذاك قلـــت اســـتدار الوقـــت هيئتُـــه ... كيـــوم فِطْرَتـــه في ســـالف القِـــدم

أعظِـــم بعصرٍ جديـــدٍ مـــبرزٍ عجبًـــا ... مـــن كـــل شـــأنِ بـــديع الحســـن منـــتظم

كـــلُّ اخـــتراعٍ وكشـــفٍ كـــان عـــن أثـــرٍ ... مـــن بعثِـــه رحمـــةً للعُـــرْب والعجـــم

فمـــن قـــرا ســـيرة الماضـــين في ســـلف ... درى تفـــرُّدَ هـــذا العصر في الشـــمم

هـــذي الظـــواهر والآثـــار قـــد نطقَـــتْ ... ناهيـــكَ عـــن جـــوهر الأسرار ذي القـــيم

ســـلِ الغزالـــةَ والأشـــجارَ كيـــف ســـعَتْ ... والجِـــذْعُ أنَّ أنـــينَ الجـــازعِ الـــوَجِم

حيـــــث المواليـــــدُ جاءتـــــه ثلاثتُهـــــا ... مســـــخَّراتٍ بـــــأمرِ الواحـــــد الحَكَـــــم

منهـــــا الحصى ـــــ أثبتَـــــتْ في بطـــــن راحتـــــه ... إلى قلـــــوبِ العِـــــدا الإفـــــراطَ بالصَّـــــمم

مـــــا جَحْـــــدُهم صـــــممًا بـــــل كـــــان عـــــن حســـــدٍ ... إن الحســـــودَ لنشرِ ـــــ الفضـــــل كالخَـــــدَم

بُشرِ ـــــى مُصـــــدِّقِه طـــــوبى لقســـــمتِه ... يـــــا فـــــوزَ صـــــاحبِ ذاك الحـــــظِّ في القســـــم

يـــــا نعـــــم صَـــــحْبًا رضـــــاءُ الحـــــق صـــــاحبُهم ... عـــــنهم رضِيْ ورضـــــوا عنـــــه بسَـــــيْرِهم

هـــــم أمـــــةٌ أخرجـــــتْ للنـــــاس خـــــيرَهم ... في الصـــــدق والعُـــــرف والمعـــــروف والـــــذمم

مـــــن معشرٍ ـــــ جُـــــودةُ الأخـــــلاق فطـــــرتُهم ... كخـــــامِ جـــــوهرةِ الأصـــــدافِ في الخـــــيم

في الجاهليـــــة كانـــــت فـــــيهمُ شـــــيمٌ ... عنهـــــا عَـــــري كـــــلُّ ذي علـــــمٍ بغـــــيرهم

مـــــا ضرَّ ســـــاذج أطبـــــاعٍ تَجـــــرُّده ... مـــــن الفنـــــون مـــــع الإحســـــان في الشـــــيم

حتـــــى أتـــــت درَّةُ الأكـــــوان مـــــبْرزةً ... فـــــأبرزتهم مـــــن الأصـــــداف والأجـــــم

فزيَّنـــــوا عِقْـــــدَ جيـــــدِ الـــــدهر مـــــن نعـــــمٍ ... وليَّنـــــوا عُنُـــــق وحـــــش الكفـــــر كـــــالنعم

حتـــــى غـــــدت ملَّـــــةُ الإســـــلام ســـــالمةً ... وصـــــار كـــــل مُصِرٍّ ـــــ ملقـــــيَ الســـــلَم

في مُـــــدةٍ ربـــــعُ قـــــرن مـــــا تُجـــــاوِزُه ... مـــــا تلـــــك قـــــوةُ ذي القَـــــرْنين أو إرم

هـــــذا افتتـــــاحٌ كبـــــدْءِ الخلـــــق ثانيـــــةً ... هَـــــدْيُ النفـــــوس كإحياهـــــا مـــــن العـــــدم

أحيَـــــوا ومـــــدُّوا لطـــــير الأمـــــن أجنحـــــةً ... في الشرـــــق والغـــــرب مـــــن رايـــــات عـــــدلِهم

فأوشـــــجوا الأرضَ ســـــلكَ النـــــور وابتـــــدروا ... فـــــتْحَ القلـــــوب قُبيـــــل البيـــــد والأطـــــم

هـــــم الملـــــوكُ اقتـــــدارًا هِمَّـــــةً وحِجًـــــا ... هـــــم المســـــاكين مـــــن لـــــينٍ ومـــــن رحـــــم

رهبـــــانُ ليـــــلٍ وأبطـــــال النهـــــار فَهُـــــم ... في حـــــبِّ مـــــولاهم مُســـــتغرِقو الخـــــدم

كُـــــلاً تـــــراه حكـــــيمًا شـــــاعرًا بطـــــلاً ... شـــــهمًا وديعًـــــا أخـــــا رفـــــقٍ وذا همـــــم

مـــــدحُ الرســـــول شـــــفاءُ المســـــتجير بـــــه ... وعصـــــمةٌ لمحـــــبٍّ فيـــــه معتصـــــم

إن الصـــــلاة عليـــــه خـــــيرُ فاتحـــــةٍ ... إلى الهدايـــــة في بـــــدْءٍ ومختَـــــتم

صـــــلى عليـــــه إلـــــه العـــــرش مـــــا ســـــطعت ... آلاؤه زاهـــــراتٍ في عروشـــــهم

والآل والصَّـــــحب تقـــــديمًا لصـــــاحبه ... في الغـــــار صِـــــدِّيقه المختـــــارِ بالقـــــدم

والنـــــاشر الـــــدين والسّـــــامي الحِجـــــا «عُمـــــرٍ» ... وكافـــــل الجـــــيش «عـــــثمانِ» أخـــــي الكـــــرم

وخـــــاتم الخلفـــــا الأركـــــان «حيـــــدرةٍ» ... في الآل والصـــــحب ذي الســـــهمين في القســـــم

ولد بحلب سنة 1277 وتوفي سنة 1334

1860 مسيحية 1906

هو ابن الحاج صديق المتقدم الذكر ، كان معتدل القوام حسن الوجه أبيض اللون أسود الشعر مليح الجملة ، فصيح العبارة يميل إلي العزلة شاعر ألمعيّا وأكثر شعرهِ في الزهد.

قال رحمه الله من قصيدة طويلة:

كل اللذائذ والآمال زائلة

وبعد عين يعود الكل في خبرِ

فليت شعري ما الدنيا وزينتها

وما التفاخر بالأموال والدرر

وما التصدّر للعليا بمدّ يدِ

للثم ثم امتداد في ثرى الحفر

والسابقين وتالي الحزب ما تَلَتِ ال ... حمائمُ العزْب آيَ النوح بالنغم

تبكي ابتسامَ ليالٍ بالحمى سلفت ... من بعدها مرت الأيام كالظُلَم

رقَّ النصوح لشكواها فناشدَها ... ومن يَهِمْ صادقًا نُصَاحه تَهِم

حالي كحالِكِ إن فتَّشتِ عن خبري ... لا تحسبي دمَكِ المسفوحَ غير دمي

تُبديه جهرًا وأخفي والخفا لِمَتَى؟ ... بان الخفاءُ، وبانت بانةُ العلم

صلاة ربِّيَ والأملاكِ والأمم ... على الحبيب الوحيد الجامع الشُّيَم

تعدادُ أسطُرِها برءٌ لسامعها ... فابري السقامَ بها يا بارِئَ النسم

وقال من قصيدة أخرى طويلة:

لي في ذري الحـــــي أحبـــــابُ قـــــد امتنعـــــوا

بهيئـــــة الحســـــن عـــــن تجـــــويز وصـــــلهم

ظلمـــــت نفسي ـــــ في دعـــــوى محبـــــتهم

وعـــــن غرامـــــي ســـــموا كالشـــــمس في الظلـــــم

فـــــاكظم رجـــــاءك في أرجـــــاء كاظمـــــة

واســـــلم فـــــديتك لا تطمـــــع بـــــذي ســـــلم

واقصر ـــــ هـــــوى طالمـــــا فيـــــه هويـــــت إلى

وهـــــد الهـــــوان وهـــــذا الـــــذل والســـــقم

هـــــل يجهـــــد الحـــــر في تمليـــــك مهجتـــــه

لمـــــن يـــــرى ســـــلبها مـــــن واجـــــب الـــــذمم

هو حطيئة عصره، وابن حجاج قطره، لم يعرف له شعر خال من الهجاء ، ولا اشتهر له نظمٌ تنزه عن البذاء، وكان يتحاشي لسانه الأكابر، ويخاف قذعَه العامة والأصاغر، وقد تحرش بأكثر شعراء وقته، فكان مجلياً علي حلبة بهته، ووقع له في عرض مجونه وتلك السخافات ملوحات استهجنها منه القوم وفكاهات ونكات، ولا سيما في موشحه الذي اشتهر به، وسارت الركبان في طلبه، لما تضمنه من الكنايات والمعاريض، وهي المعروفة بإصطلاح عامة حلب بالتلخين[1] والتعريض، ولما كان أكثر شعره بل كله من هذا الضرب، ورأينا أن موشحه المذكور خال من القذِيع والسب، وأنه هزل لا ذم، كما ذكر في عرض النظم، ولم يكن لنا مندوحة عن ذكر شئ من شعره، وقد ألح علينا بعض الأدباء بنشر شئ من هذره، ولا سيما وأن من سبقنا من أفاضل المؤرخين والمترجمين، كصاحب اليتيمة وابن خلكان وغيرهما من المتقدمين، لم يتحرجوا من نشر فاحش القذع وقبيح السباب، إلي غير ذلك من رفث المجون وهجر الخطاب، لإعتقادهم أنهم ينقلون ما قيل، وأن ليس علي الناقل سبيل، علي أن الكثير من ذلك الخطل أجدر بالستر، كما أن كتم قليله نقص بتاريخ العصر، وأخلال بغرض الترجمة وبيان أخلاق القطر، ولما كان في الموشح المذكور ذكر لكثير من قري حلب وضواحيها، محرفة من الناظم عمداً للوصول إلي ظواهر الممازحة وخوافيها، رأينا أن نثبتها كما أثبتها الشاعر ونضبطها في الشرح تحرياً للفائدة وإتماما للفكاهة ، ثم لا بد من التنبيهُ علي أن فيكِ وفيها وسائر الضمائر المؤنثة تعود علي لحية المخاطب في إصلاح أهل اللخن و(التلخين) وفيكم وفيهم وسائر ضمائر الجمع المذكر عائدة علي شارب المخاطَب.

وكان المترجم عارفاً بفن الغناء وله ألفة وصحبه مع جماعة المغنين المشهورين في حلب لعهده بأرباب الفن ، وما أدراك من هم ، وفيهم ابن عبده والحاج إسماعيل الشيخ والدالي والدرويش صالح وابن عقيل وأحمد سالم ، وغيرهم ممن ملكوا ناصية فن الغناء والموسيقي العربية ، وما فيهم إلا كل ذي صوت يسحر البلابل ويهزم

---

(1) قال في الأساس وشتمه ولخنه قال له يا ابن اللخناء.(المؤلف)

الأشجان والبلابل ، ولهم في الدعابة والظرف نوادر وآيات، وفي سرعة الجواب وإصابة المعني كلمات مستحسنات، وكانوا في خفة الروح غاية الغايات، فدخل عليهم عبد الكريم يوماً وهم في فرح عند بعض الأعيان ، فما وقعت أعينهم عليه حتي استقبلواه بأغنية (أكُرُك) يا ياسمين بالجنائن علي لحاك، وهو من باب التلخين الذي ذكرناه ، فصبر عليهم، وهمّ والقوم يقهقهون وهو يكاد يتمزق غيظاً حتي أتوا علي آخره ، فقال لهم أن رزالتكم تمرّ مرّ السحاب ، وأما شعري فخالد فيكم يا كلاب ، اكتبوا:

ورب شـــــــدةٍ كـــــــالحمير نواهـــــــقِ

بمختلـــف الأصـــوات مـــن غـــير ضـــابطِ

مزاهـــرهم دلـــت عـــلي حســـن صـــنعهم

كـــما دلْـــت الأريـــاح عـــن إســـتِ ضـــارط

وقال في مطلع قصيدة هجا بها الشاعر الهلالي الحموي المشهور:

أذكرتنـــــــــي تنحنحـــــــــي وســـــــــعالي

وُضراطـــــــــي في الليـــــــل ذات الـــــــدلالِ

فأجابه الهلالي بقصيدة قال منها:

ولي فيقفـــــا عبـــــد الكـــــريم علامـــــة

تخـــــبرني عنـــــه وفي وجهـــــه أخـــــري

ولما بلغ القلم إلي الموشح عصا في كتابته ، بالرغم مما سردناه من البراهين ، وبهذا القدر كفاية.

الشيخ عبد الـلـه سلطان[1]

(1) عبدالـلـه سلطان (1264 - 1328 هـ) (1847- 1910 م) : عبدالـلـه بن عبدالقادر بن محمد بن صالح الشهير بسلطان. ولد في مدينة حلب وتوفي بها. عاش في سورية ومصر. التحق بالمدرسة الإسماعيلية، فتعلم قراءة القرآن الكريم والكتابة، وتلقى علوم وفنون عصره، على يد والده (مفتي حلب) وعلى علماء آخرين، ثم انتقل إلى مصر (1864م) وجاور بالأزهر متعلمًا زهاء عشر سنوات، وأجازه بعض علماء الأزهر آنذاك، ثم عاد إلى حلب (1873م) فتعلم التركية وقليلاً من الفرنسية. عمل مدرسًا في مدرسة آبائه، ومحدثًا في الجامع الأموي بحلب في قاعة بني العشائر، ثم عين أستاذًا للغة العربية في المكتب السلطاني بحلب (1890م). كان عضوًا في مجلس المعارف، وعضوًا في محكمة الحقوق والجزاء (نحو عشرين عامًا).

- له قصائد في كتاب: «إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء»، و له ديوان مخطوط في حوزة أحد تلامذته، (وهو مفقود).

- له أعمال عدة في الفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والعروض والحواشي والرسائل، جميعها مخطوط، منها: «رسائل في الفروض العينية»، و«المباحات»، و«المكروهات»، و«السنن المؤكدة والمستحبة»، وغيرها، وحاشية على «متن التهذيب» في المنطق، وحاشيتان كبرى وصغرى على «إيساغوجي في المنطق».

شعره قليل، أكثره في النسيب، يميل فيه إلى التشطير والتخميس، وله كثير من القصائد في هذا الباب، ودع فيها رفقاءه في الأزهر عند عودته إلى حلب، وله موشح على طريقة أهل الأندلس تتنوع فيه الأوزان والقوافي تبعًا للأدوار والتزامًا بالمطالع والأقفال. أنعمت عليه الدولة العثمانية برتبة إزمير المجردة، ثم برتبة الموالي، ورشح مرات عدة لمنصب الإفتاء. انظر : محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء

من شعره : (تتمة قيدة في المتن)

شـــــنَّفَ الســـــمعَ بـــــأطراف الكـــــلامْ ... مـــــن ورا حُجْـــــبٍ فـــــذا قلبـــــي كلـــــيمْ

واصـــــطفاني بإشـــــارات المـــــرام ... فغـــــدوت عبـــــدَ رقٍّ مســـــتقيم

وانجـــــلى لي ثـــــم حيّـــــا بـــــالظلام ... فأفـــــاض الحـــــبَّ في قلـــــب الســـــليم

قـــــرَّبَ الوصـــــلَ ولمـــــا اســـــتحكما ... حـــــاكمُ الحـــــبّ بقلبـــــي الهجِـــــسِ

أســـــبل الســـــترَ وأخفـــــى الحَكَـــــما ... فأنـــــا في تِيـــــه وادي الهَـــــوَس

بـــــأبي أفديـــــه مـــــن ظبـــــيٍ كحيـــــلْ ... قـــــام يســـــعى في بُنـــــودٍ وبُـــــرودْ

وأتى يختـــــالُ في الخَصْر النحيـــــل ... مثـــــلَ غصـــــنٍ لاح في وادي زَرود

غَـــــزلي في نقطـــــة الخـــــدُ الأســـــيل ... ومـــــديحي جـــــاء في بـــــدر الســـــعود

مَـــــنْ إلى المجـــــد انتمـــــى أصـــــلاً كـــــما ... طـــــاب فرعًـــــا فخـــــلا عـــــن دَنَـــــسِ

ولد بحلب سنة 1264 وتوفي بها سنة 1329

1847 مسيحية 1910

أحد علماء حلب وأدبائها، ومدرسي إحدى مدارسها وألبّائها، قرض الشعر فأحسن في أكثر منظومه، ورد أعجازه علي صدوره وقرن بين بليغه ومفهومه، ولم يكن مكثراً وإن كان سريع الخاطر، وكانت بيننا وبينه مودَّه لها منا الذكر العاطر، وكانت صلة الأدب تجمعنا به كثيراً في أيام الشباب، ومرّت لنا معه مجامع أنس هي من حسنات الدهر، ومواسم العمر، ومنها أننا كنا وعصبة من أهل الأدب والظرف قضينا يوماً رمدت عنه أعين الزمان، في إحدى جنائن باب الجنان، حتي إذا قاربت الشمس الغروب، والماء يترقرق في النهر كالتبر المذوب، ومغنّينا يسحر الألباب بإنشاده ويسكر القلوب، هاجمتنا جيوش من البعوض الرميض، وله في تلك البقعة سلطان عريض، وإذ نهضنا لننتقي مكاناً آخر قال الشيخ على البديهة:

وعسكر البقّ مذ جاءت تحاربنا عند اللقا هزّمت جنداً من البشرِ

ثم إلتفت إليّ وقال أجزه ، فقلت وكيف أجيزه والواو في أوله عاصفة بلا معصوف ، فإن أذنتم جعلتُ بيتكم ردفاً ولكم فضل المتقدم.

وقال ذاك إليكم فقلت:

جاءه نظْمي كدُرٍّ نُظما وسْطَ ثغرٍ ضاء مثلَ القبس

الخال في وجهه

والخالُ في وجهه يبدو لأعيننا كأنه كَلَفٌ في صفحة القمرِ
وإن تعاكسَ في مرآة وجنته حكاه تمثاله في أبدع الصور
ولا تظنهما خالين من شَعَرٍ بل إنما الطرفُ أهدى حبتي بصري

حديث الحبّ

إن كنتَ تروي حديث الحبّ عن دَنِفٍ في غامض القول مكنيٍّ ومرموزِ
فالحسنُ يروي أحاديث الجمال لنا موضّحًا عن عليٍّ القدر «نيروز»

تحـــــت الغصـــــون وبـــــين والمـــــاء والـــــوترِ

كـــــم جـــــيش هـــــم كسرنـــا كسرنـــا مقتـــدِرِ

وعســـــكر البـــــق مـــــذ جـــــاءت تحاربنـــــا

عنـــــد اللقـــــا هزّمـــــت جنـــــداً مـــــن البشرنـــــا

فاستحسن كل الإستحسان .

وكان رحمه الـله مدحنا بقصيدة منـذ عهـد بعيـد وأجبنـاه عليهـا بقصـيدة أيضـاً ، ولم نعـثر عليهما بين جموع أوراقنا، ولكن بقي في محفوظنا مطلعها ، فمطلع قصيدته كان:

طلعـــــت لـــــديك بطـــــالع ميمـــــونِ

عـــــــذراء ذات محاســـــــن وفنـــــــونِ

ومطلع جوابنا:

أعلمـــــــــت أن البـــــــــدرَ لا يحاكيـــــــــكِ

والـــــدرَّ مـــــن بعـــــض الـــــذي في فيـــــكِ

كان طويل القامة، حنطي اللون، حالك الشعر، أسود العينـين، مخـروط الوجـه، ملـيح الأنـف، عصبي المزاج، فصيح اللسان، جيد البيـان، مقبـول النـادرة، طيـب الحـديث، رحـب البـال، محمـود المغيب، شديد الأوصال ، أنتخب عضواً لمحكمة الحقوق في حلب فكان فيها مثـال الاسـتقامة، وهـو من بيت علم مشهور، وكان أبوه تقلد منصب الإفتاء في حلب ، قال مضمناً:

زار الحبيـــــب الـــــذي قـــــد كنـــــت أعشـــــقه

عـــــــلي الســـــــماع فحيانـــــــا وأحيانـــــــا

وقـــــد سرى العشـــــق مـــــن ســـــمعي إلى بصرـــــي

والأذن تعشـــــــــق قبـــــــل العـــــــين أحيانـــــــا

ولهُ الموشح الآتي:

يـــــــاغزال الحـــــــي مـــــــن واد الحمـــــــي

صـــــــاد بالألحـــــــاظ أســـــــدَ الحَـــــــرَسِ

وجـــــــلا مـــــــن وجهـــــــهِ البـــــــدر كـــــــما

شـــــــقّ صـــــــبح الجبـــــــدِ ليـــــــل الفَلَـــــــسَ

دور

رقـــــم الحســـــن عـــــلى غصـــــن الـــــدلال

بيـــــد التصـــــوير في الوجـــــه الجميـــــل

آيـــــة النمـــــل عـــــلي خـــــد الجـــــمال

يـــــالعمري جـــــلّ هـــــذا عـــــن مثيـــــل

والعيـــــون النجـــــل بالســـــحر الحـــــلال

قصّرـــــت للعمـــــر بالهـــــدب الطويـــــل

ونـــــــديّ الـــــــورد بالخـــــــد نمـــــــا

حـــــول سوســـــان بـــــأبهى ملَـــــبسِ

وبـــــــهِ صـــــــارم لحـــــــظِ حرَّمـــــــا

نظـــــرة الوجـــــه عـــــلي المقتـــــبسِ

يـــــانبي الحســـــن منـــــك المعجـــــزات

قـــــد أزاحـــــت ظلمـــــة الشـــــك المريـــــب

فصـــــباح الوجـــــه فيـــــه البينـــــات

أطلـــــع الشـــــمس عـــــلي غصـــــن رطيـــــب

وســـــماء الخـــــد أنـــــدى البركـــــات

وبـــــهِ الخـــــال يـــــرى قطبـــــاً عجيـــــب

وســـــناء الثغـــــر نجـــــم رجـــــما

مـــــارد العـــــذل بشـــــهب القـــــبسَ

ونـــــذير الطـــــرف داعِ حكـــــما

أن ديـــــن الحـــــب قتـــــل الأنفـــــسِ

ومنه :

يانـــــديم الأنـــــس إن الشرـــــب طـــــاب

زمـــــزم الكـــــأس فـــــذا وقـــــت الربيـــــع

فعقيـــــق الثغـــــر بالكاســـــات ذاب

وجـــــرى الطـــــل عـــــلي الـــــروض الينيـــــع

فأجلهـــــا صرفـــــاً فـــــما أحـــــلى الشرـــــاب

بـــــين ورد صـــــنع مولانـــــا البـــــديع

فـــــــأدار الكـــــــأس لمـــــــا زمزمـــــــا

طيـــــــب الـــــــراح بطيـــــــب الـــــــنفسَ

وفـــــــم الإبريـــــــق لمـــــــا ابتســـــــما

بكـــــــت الســـــــحب بـــــــروض الـــــــنرجسَ

وكتب إلينا:

كلامـــــــك التـــــــبر قســـــــطنطين منســـــــبكُ

كالعقـــــــد في جيـــــــد هـــــــذا الـــــــدهر منظـــــــومُ

وغـــــــيرهُ خَـــــــزَفُ والغـــــــشُّ داخلُـــــــهُ

ولـــــــو يموّهُـــــــهُ الحسَـــــــادُ مشـــــــئومُ

الشيخ محمد أبو الوفاء الرفاعي الحلبي[1]

(1) محمد أبوالوفا الرفاعي (1179-1264هـ) (1765-1847م): محمد بن محمد بن عمر بن شاهين الرفاعي. ولد في مدينة حلب وتوفي فيها، ودفن في تربة الصالحين. عاش في سورية والعراق.

تعلم في المدرسة العثمانية، فدرس العلوم الدينية: التوحيد والفقه والتفسير، وعلوم العربية من نحو وصرفٍ ومعانٍ، كما درس علوم الأنغام والأوزان في الزاوية الرفاعية بحلب. رحل إلى بغداد وعاش في ضيافة واليها (علي رضا باشا) إثر قيام الحرب بين العثمانيين ومحمد علي والي مصر، وهناك في بغداد أمن على حياته وعيشه فبقي فيها، ولم يعد إلى حلب إلا وقد جاوز السبعين. كان منتسبًا إلى بعض الطرق الصوفية، مثل: الرفاعية والقادرية والشاذلية.

الإنتاج الشعري :

- له منظومة شعرية مؤلفة من 756 بيتًا، وردت في كتاب وثائق تاريخية عن حلب (أولياء حلب في منظومة الشيخ أبوالوفا) مع ترجمة لحياته، وله قصائد وردت ضمن كتاب: «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء»، وله ديوان مخطوط - مفقود.

- له عدد من الرسائل منها: رسالة فقهية في أركان الدين، ورسالة في بحث سجود القلب، ورسالة في بيان الجوامع والمساجد والتكايا والمدارس في حلب، ورسالة في الأولياء والصحابة وتراجمهم.

يمتاز شعره بالتنوع، فله مطولات ومقطعات، كما نظم الموشحات والقدود التي تُلحّن وتغنّى في مجالس الصوفية، ويميل للتأريخ، فأرّخ للوقائع والأحداث: كتأريخه لزلزال حلب ولحادثة جامع الأطروش وما صاحبها من فتن وشغب، وما أصابه من فاجعة فقدان ولده بفعل جنود الإنكشارية العثمانيين، وتأريخه لحياة وممات أولياء الله الصالحين ووصف قبورهم، عارض كبار شعراء العربية وتأثر بهم، من ذلك محاكاته «بردة البوصيري» في توسله إلى الله ورسوله للشفاء من المرض، ويعكس شعره نفسًا شفافة تتطلع إلى الملأ الأعلى في خشوع لا يخلو من نزعة صوفية، ويظهر فيه أثر علمه بالموسيقى والأوزان. انظر:

1 - فرديناند توتل اليسوعي: وثائق تاريخية عن حلب/ أولياء حلب في منظومة الشيخ أبوالوفا

2- محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (جـ7) .

3- عبدالفتاح قلعجي: جريدة الأسبوع الأدبي عدد (69)

من شعره : من قصيدة: غدر الدهر

لا يـــــــأمنَنَّ صروفَ الـــــــدهرِ إنســـــــانُ ... ولا نوائبَـــــــه فالـــــــدهرُ خـــــــوّانُ

فكـــــم أبـــــادَ مـــــن الماضـــــين مـــــن ملـــــكٍ ... لـــــه بســـــطوته عـــــزٌّ وســـــلطان

أيـــــن الملـــــوكُ التـــــي ذلّـــــتْ لعـــــزّتهم ... كـــــلُّ الرقـــــابِ ومـــــن خـــــوفٍ لهـــــم دانـــــوا؟

أيـــــن الجبـــــابرةُ العـــــادون أيـــــن أولـــــو ال ... أخـــــدودِ أم أيـــــن كســـــرى أيـــــن ساســـــان؟

دُعـــــوا أجـــــابوا فصـــــاروا عِـــــبرةً وخلَـــــتْ ... مـــــنهم ديـــــارٌ وأحيـــــاءٌ وأوطـــــان

ولد بحلب سنة 1179 هجرية وتوفي بها سنة 1264

1765 مسيحية 1847

فأصـــــبحوا لا تُـــــرى إلا مســـــاكنُهم ... فليعتـــبرْ مـــن لـــه للحـــقّ إذعـــان

وهكـــذا الـــدهرُ لم تُـــؤمَن عواقبُـــه ... لـــه إلينـــا إســـاءاتٌ وإحســـان

تبـــاركَ اللـــه مـــا الأســـواءُ دائمـــةٌ ... وكلّـــما قـــد مضى آنٌ أتى آن

كـــلُّ المصـــائبِ قـــد تُسْـــلَى نوائبُهـــا ... إلا التـــي ليس عنـــها الدهرَ ســـلوان

موشح: يا مجيبًا

يـــا مُجيبًـــا دعـــاءَ ذي النـــونِ ... في قـــرار البحـــارْ

اســـتجبْ دعـــوةَ المحـــزونِ ... قـــد دعـــا باضـــطرارْ

يـــا إلهـــي طالمـــا أدعـــو ... مُوقنًـــا بالنجـــاهْ

ولحـــالي وقصّـــتي رَفْـــعُ ... لـــكَ يـــا سـيّداه

أنـــتَ منـــكَ العطـــاءُ والمنـــعُ ... أنـــتَ أنـــتَ الإلـــه

لـــكَ أمـــرٌ بالكـــاف والنـــونِ ... ولـــكَ الاقتـــدارْ

أنـــتَ مـــن ظُلمتـــي تُنجينـــي ... فالبَـــدارَ البـــدار

ملجـــأَ البحـــرِ منـــكَ بالقُـــدره ... أنـــتَ نعـــمَ العتـــادْ

ألجـــمِ الضـــدَّ واكفِنـــي شرَّهْ ... واقـــضِ لي بـــالمراد

ربِّ واجعـــلْ هلاكَـــه عِـــبْره ... لجميـــع العبـــاد

وأذقْـــه العـــذابَ بـــالهُونِ ... وارمِـــه بالـــدمارْ

رُبَّ بـــاغٍ في النـــاس مفتـــونِ ... في خـــراب الـــديار

ربِّ بـــدِّلْ عُسرـــي بتيســـيرِ ... وأنلنـــي القَبـــولْ

بجزيـــلٍ مـــن حُســـن ميســـورِ ... مـــا إليـــه وصـــول

رَبِّ وافـــتحْ أبـــوابَ تـــدبيري ... واقـــضِ لي بالـــدّخول

وعـــلى مـــا أروم كـــنْ عـــوني ... واكســـني بالوقـــارْ

بمنـــائي أقـــرّ لي عينـــي ... أنـــتَ بالعبـــد بـــار

الشهير بالشيخ وفا ابن الشيخ محمد ابن السيد عمر الشهير بالرفاعي ، عَلَمُ أعلام مصره، وأسبق شعراء عصره، نظام القلائد والنفائس ، وموشي الفرائد والعرائس، رب القريحة الفيَّاضة، وفارس البديهة المرتاضة، كأنما شعرهُ كله من السهل الممتنع، بلغ الغاية من حسن المطلع والمقطع.

كان عالماً بعلوم التوحيد والتفسير والفقه والنحو والصرف والمعاني، قرأ على أئمة وقته وهم أبوه الشيخ محمد الرفاعي ، والشيخ إسماعيل المواهبي وكان مدرساً في الجامع الأموي بحلب ، وقد أجازه بالعلوم المذكورة والإجازة محفوظة إلي اليوم في بيته، والشيخ قاسم بن علي بدير ابن محمد المغربي الأندلسي الغرناطي، والشيخ الإمام محمد الكزبري الدمشقي ، وغيرهم من علماء وقته.

وكان ربعةً ممتلئ الجسم، أبيض اللون صحيح الوجه أسود العينين مليح الأنف والفم ، علي غاية من الجمال، وورث حسن الصوت عن أبيه وجده ، وكان يُلقَّب بالزينة كجدّه لما اجتمع لهُ في صوته من الحسن والجهارة، وكان كلما رتل في الجامع أو في زاويته، يجتمع الناس من كل حَدَب، وتصعد النساء إلي السطوح لشغفهم باستماع صوته، وكان يقيم الأذكار الشاذلية مع أبيه في الزاوية المعروفة بمسجد خير الله في محلة الأكراد بحلب ، وهي المشهورة بالزاوية الرفاعية، وهي زاويتهم الأصلية، ولهُ غيرها أربع تكايا، ولما أدرك العجز والده، انتقلت إليه مشيخة الطريقة.

ووقعت منازعة بينه وبين بعض مشائخ حلب علي إحدى التكايا التي كانت تحت توليته، فقصد القسطنطينية ولقي من حفاوة وزرائها وكبرائها به ما يقصر عنه الوصف، ومدحوه ومدحهم بالمنثور والمنظوم ، ولاسيما شيخ الإسلام عارف حكمت ، وهو القائل عن نفسه:

ألم تعلم بأن سماء فكري

تلوح بأفقها شمس المعارفْ

تفـــــــــرَّس والـــــــــدي فيّ المزايـــــــــا

فحـــــــين ولـــــــدت لقَّبنـــــــي بعـــــــارفْ

ثم عاد المترجم إلي حلب وقد زوّدوه بـبراءة سـلطانية تمنـع كـل حـاكم فيهـا مـن اسـتماع أي دعوي عليه في التكية المذكورة.

وتولي حلب الوزير رضا باشا نحو سنة 1240 هجرية ، فكانت بينه وبين الشيخ صحبه طويلـة ومودة جزيلة ، وتتلمذ لهُ وأخذ الطريقة عنهُ وحبس أوقافا كثيرة علي إحدي تكايا الشيخ المعروفـة بالتكية الترابية ، نسبةً إلي الشيخ الكبير المشهور بأبي تراب شيخ وأستاذ المترجَم، ثـم عُـين رضـا باشـا المذكور بعد ذلك والياً علي بغداد ، فكتب إليه أن يوافيه إليهـا، فقصـدها سـنة 1253 وبلغهـا بعـد سفر طويل مجهد كما يُستدل من قوله عند إطلاعه عليها:

هـــــــــذه بغـــــــــداد أم ذا حُلـــــــــم

خـــــــــبروني أن حـــــــــالي عَـــــــــدَمُ

هـــــــل وصـــــــلنا للحمـــــــى وانكشـــــــفت

ببلـــــــوغ القصـــــــد عنـــــــا غمَـــــــمُ

شـــــــمت برقـــــــاً لاح لي مـــــــن بُعُـــــــدَ

ففـــــــؤادي حـــــــرّه يضـــــــطرمُ

وهي قصيدة طويلة.

ومدح مقدمَه إلي بغداد السيد عبد الحليم العمري الشاعر بقصيدة نروي منهـا مـا يـأتي كـما وصل إلينا ، وهو لا يخلو من أغلاط نظنها من النساخ، وفيها مدح صوته المشهور قال:

قـــــد درَّ ثـــــدي الكـــــمال مـــــن حلـــــب

فـــــــــأنجزت بالوفـــــــــا وبـــــــــالأدبِ

منَّـــــت عـــــلي الـــــزوراء في رجـــــلِ (كـــــذا)

قدومـــــــــــه فرصـــــــــــة لمرتقـــــــــــبِ

وفيـــــــه دار الســـــــلام قـــــــد ســـــــلمت

بشرـــــى لهـــــا مـــــن طـــــوارق النـــــوبِ

ومنها:

روي حـــــــــديث العُـــــــــلى وأســـــــــندهَ

عـــــــن والـــــــدِ منجـــــــب وخـــــــير أب

قـــــرت (كـــــذا) لـــــه بـــــالعلوم قاطبـــــة

عجـــــم اللغـــــى وجهابـــــذ العـــــرب

قـــــسّ أيـــــاد أعيـــــت فصـــــاحتهُ

إذ أســـــمع الصـــــمَّ أبلـــــغ الخطـــــب

يكـــــاد صـــــلب الصـــــفا لخطبتـــــهِ

يلـــــين مـــــن حســـــن صـــــوته الرطـــــبِ

وفي البيت الثالث أشارة إلى حادثة وقفنا على حكايتها فيما طالعناه من الأوراق المتعلقة بالمترجم، وجملتها أن أحد المشعوذين في بغداد كان تكهَّن بحدوث زلزال عظيم يقع في بغداد يومئذ ، وكان دخول الشيخ إليها في اليوم الذي عينه المشعوذ، وإذ لم يحدث شئٌ فقد شمل الفرح سكان بغداد جميعهم، وعدُّوا قدوم المترجم بركة أو نعمة، دفعت تلك النقمة.

وقد ترجم المترجم عليه أحد شعراء عصره الشيخ عبد الله الشهير بالعطائي في رسالة جمع بها تراجم شعراء وقته الحلبيين ، وقد اقترح عليهم تضمين الآية:

"أليس لي ملك مصرا" وذلك سنة 1204 هجرية ولم نقف من هذه الرسالة إلا علي هذه الترجمة .

قال ومنهم: السيد محمد أبو الوفا الرفاعي غبوقي وصبوحي، لا بل خليلي وشقيق روحي، من نظمني وإياه سلك الرواية ،وأنعمني برورياه (كذا) كمال الصحبة والرعاية، متع الله به والده الأغر يحيي ذكر جده عمر، فينوفه بحسن التلاوة والأداء، ويروقة بالزينة علي طول المدى ، ولا برح قرة عين لجده أبي العلمين، مؤيداً بفتوحات محمدية وإمدادات أحمدية، ومواهب شاذلية ومشارب قادرية،إذ هو شاب نشأ في خدمة العلم والطريق، وشرب من الكأسين أهنى رحيق، فقهُهُ منوه بإعتقاد، وعلمه منزه عن انتقاد، وسلوكه لا يشوبه رياء ولاخطل، ولا يعيبه إزدراء ولا ملل، فهمه كالسيف حدّة وكالنار شدّة، وكالماء في الصفاء، وكالسيل في توارد الأنوار، مع بديهة أطوع له من ظلة، وأسرع إليه من أدارة قوله، ومن نظر في أبياته بعين وامقة سيرى مقالتي إن صادقة أو غير صادقة، وهذه هي:

لـــــك المحاســـــن طـــــراً	وأنـــــت عنـــــه المـــــوزّى
وأنـــــت في كـــــل شـــــئ	ظهـــــرت سراً وجهـــــراً
قـــد لـــذّ لي فيـــك ســـلبي	ولـــو تهتكّـــتُ ســـترا
وكـــل مـــا اخـــترت عنـــدي	عـــذبُ ولـــو كـــان مـــراّ
مـــا شـــئت فأفعـــل بصـــبّ	بحالـــــه أنـــــت أدرى
الملـــــك ملكُـــــكَ حقـــــاً	ومدعيـــــه تجـــــرّا
حيـــث اســـتخف ونـــادى	ألـــيس لي ملـــك مصر

انتهي ما قاله العطائي.

وقال يمدح الوزير علي رضا باشا المتقدم الذكر:

أنـــــــار الحوالـــــــك لمـــــــا بـــــــدا

هـــــلالُ لـــــهُ الـــــروح منـــــي فـــــدا

يطـــــــوف علينـــــــا بكـــــــأس الصـــــــفا

فيحلـــــــو لنـــــــا وردُهـــــــا مـــــــوردا

يـــــــروحُ بهـــــــا قمـــــــراً نـــــــاضراً

ويغـــــــدوا بهـــــــا غُصُـــــــناً أملـــــــدا

فنصـــــــبح منهـــــــا نشـــــــاوى بهـــــــا

نميـــــــل لهـــــــا ركعـــــــاً سُـــــــجّدا

هـــــي الخمـــــر مـــــا ملَّهـــــا شـــــاربُ

ولا صـــــــاح منهـــــــا ولا عربـــــــدا

بـــــل اعتادهـــــا القـــــوم أهـــــل الوفـــــا

قـــــالوا الوصـــــول لـــــنهج الهـــــدى

وقـــــد ظفـــــروا بالأمـــــاني بهـــــا

وقـــــد أحـــــرزوا مجـــــدها الأتلـــــدا

ألا فاســـــــــقنيها وعلـــــــــل بهـــــــــا

فـــــؤادي مـــــن الهـــــم واجـــــلُ الصـــــدا

مـــــع الأمجـــــد الشـــــهم ســـــامي الـــــذُرى

عميـــــد المعـــــالي عـــــلي كتخُـــــدا

أمـــــــيرُ لـــــــهُ رتبـــــــة شـــــــاؤها

يـــــــزاحم في الســـــــؤدد الفرقـــــــدا

حميـــــــد الصـــــــفاةِ وكـــــــافي الكفـــــــاة

وحـــــــامي الحُـــــــماة وبحـــــــر النـــــــدا

وطـــــــودُ أشـــــــمٌّ وبحـــــــر خضـــــــمٌّ

وبـــــــدر أتـــــــمٌّ إذا مـــــــا بـــــــدا

حليـــــــف المكـــــــارم ألـــــــف التقـــــــى

لـــــــهُ حـــــــبرات المعـــــــالي ردا

تســـــــنم أعـــــــلى ســـــــنام السُـــــــهي

وأعطـــــــي الجزيـــــــل وأســـــــدى الجـــــــدا

ومنها:

وســـــــارع للخـــــــير واعتـــــــادهُ

وطـــــــرق المكـــــــارم قـــــــد مهّـــــــدا

وجـــــــدد مـــــــا قـــــــد وهـــــــى مـــــــن بنـــــــا

تكيـــــــة قطـــــــب كـــــــمال الهـــــــدى

وبيت التاريخ:

وقـــــــد جـــــــاء تاريخهـــــــا صـــــــادق

بحســـــــن الخلـــــــوص بنـــــــى مســـــــجداً

وله من أرجوزة في الأولياء المدفونين في حلب:

وانـــــــزل مغربـــــــا لقـــــــبر المصرـــــــي

الشـــــــافعي أحمـــــــد فـــــــرد العصرـــــــ

ضريحـــــــــــهُ في تربـــــــــــةِ ممتـــــــــــازة

ملحقـــــــــــة بتربـــــــــــة الهـــــــــــزّازةْ

غربيـــــــة ضريـــــــح جـــــــدي عمـــــــرا

بزينـــــــة الـــــــدنيا غـــــــدا مشـــــــتهراً

في عصرـــــــهِ وكـــــــان شـــــــيخ القُـــــــرا

بالاتفـــــــــــاق وجـــــــــــمال الأقـــــــــــرا

منفـــــــــــرداً بصـــــــــــوتهِ الـــــــــــداؤدي

إذا تـــــــــلا القـــــــــرآن بالتجويـــــــــدِ

إذا رقـــــــي المنـــــــبر يصـــــــغي الســـــــمعُ

أو قـــــام في المحـــــراب فـــــاض الـــــدمعُ

قـــــرا عـــــلي المصرـــــي البصـــــير عمـــــرا

وكـــــــان في القـــــــرآن قـــــــد تمهّـــــــرا

وله في باب الغزل أو التصوف شعر كثير، روي لنا منه غيباً أحد أحفاده صديقنا الأديب الشيخ رضا الرفاعي حصة حسنة، إلا أنه ضنّ علينا بساعة طلبناها منه لإكمال هذه الترجمة، ثم أعترضت حوادث ضاقت عن الجمع بيننا وبينهُ، ثم سألنا عنه فعلمنا أنهُ ترك الوطن واستقر في عينتاب فبعثنا ، إليه بكتاب منذ عهد طويل ولم نأخذ منه جواباً إلي هذه الساعة.

ومما نحفظ من غزله ، قطعة من موشح رويناها في كتابنا منهل الورّاد ، قال:

يـــــا مهـــــاة البـــــان يـــــاذات الـــــدلال

جـــــل مـــــن أبـــــدع ذا الوجـــــه الجميـــــل

غلـــــب الوجـــــد وليـــــل الهجـــــر طـــــال

وأنـــــا المغـــــرم بـــــالفرع الطويـــــل

قـــــدَّكِ الميّـــــاس لـــــولا الأزر ســـــال

فاكشـــــفي عنـــــه وجنـــــة الخـــــد الأســـــيل

لأري نقشـــــــاً عليـــــــه رســـــــما

نـــــاعم الـــــوشي طـــــري الملمـــــسِ

ولهُ:

رفـــــع الحجـــــب عـــــن بـــــدور الكـــــمال

مرحبـــــاً مرحبـــــاً بأهـــــل الجـــــمال

ســـــادتي ســـــادتي بحقـــــي علـــــيكم

إننـــــي عنـــــدكم عزيـــــز وغـــــال

لم يعـــــد لي حبيـــــب قلـــــب ســـــواكم

زال رســـــمي وحـــــالَ حـــــال خيـــــالي

ومنها:

ملكـــــوني بلطفهـــــم ورضـــــوا بي

عبـــــد رقّ فســـــدت بـــــين الرجـــــالِ

ومنها:

وإذا مـــــا الصـــــدود أفنـــــى وجـــــودي

رحمـــــــــوني وأنعمـــــــــوا بالوصـــــــــالِ

وأوصي أن يكتب علي ضريحه قبل موته:

بعـــــــين العنايـــــــة والاصـــــــطفا

حبـــــاني إلهـــــي وعنـــــي عفـــــا

وشـــــاهدت مـــــن فـــــيض إحســـــانهِ

نعـــــيماً كبـــــيراً وكأســـــاً صـــــفا

وقـــــال عبيـــــدي وفـــــا أرخـــــوا

بحســـــن ختـــــام الـــــورود وفـــــا

سنة 1264

وأوصي أن يكتب علي جانبي الضريح:

إذا مـــــا تـــــوفي اللـــــه نفـــــس وليـــــهِ

تهـــــون عليـــــه ســـــكرة المـــــوت بـــــالحقِ

ومـــــا هـــــي إلا دعـــــوة وإجابـــــة

ويخلـــــص مـــــن رق الكثافـــــة بـــــالعتقِ

أما مؤلفاته فهي كثيرة ، فمنها الأرجوزة المتقدم ذكرها في أسماء الأولياء المدفونين في حلب وهي نحو خمس مائة بيت، ورسالة خطب نكاح، ورسالة في صيغ الصلوات علي النبي، وديوان خطب خطبها في الجامع الأموي بحلب ، ورسائل عديدة مبعثرة في علوم شتي ، وديوان شعر كبير ، وغير ذلك من الأخوانيات ورسائل الأكابر.

السيد مصطفي ابن السيد يوسف

الشهير بالصائغ الحلبي

لم نقف علي سنة مولده ولا سنة وفاته ، ولكنه من أهل هذا القرن كما يستدلُ من مدحه الشيخ وفا المتقدم الذكر ، ولم نقف لهُ علي غير هذه القصيدة.

قال يرثي الشيخ علي أبي تراب أستاذ الشيخ وفا ، ويمدح الشيخ وفاء.

ننشر هذه القصيدة كما وصلتنا ، ونظن فيها شئ من أغلاط الناسخ أيضاً.

كيف أسلو من به عقلي سُبي

ملك القلب بحسن الأدبِ

كامل الأوصاف ذاتاً سيدُ

هو شيخي مرشدي في مذهبي

زاهد عما سواه قلبهُ

كان للزهد كأم وأبِ

موقن بالله عند موتهِ

مستجير بالتهامي العربي

أسمه الشيخ الترابي نسبة

لعلي كان قصد المطلب

أذن بأسرار الكمال لأبنهِ

أبي الوفا ابن الرفاعي الأنجب (كذا)

ذو فخار وكمال وتقى

طاهر الجدين ذاكي النسب

منبـــــــــع الأسرار عـــــــــين الفضـــــــــلا

طيـــــــب الأعـــــــراق عـــــــالي المنصـــــــب

ســـــــاد في أرشـــــــاده بـــــــين الـــــــوري

بطريـــــق الحـــــق حـــــق الواجـــــب (كـــــذا)

في طريـــــــــق أشرقـــــــــت أنـــــــــواره

خلـــــوتي أخـــــلاصي نـــــوري ذهبـــــي (كـــــذا)

وكـــــــذا نقشي ـــــــ وبخشي ـــــــ شـــــــاذلي

ورفـــــــــاعي قـــــــــادري المشر ـــــــــبِ

وســـــــــطوحي عيـــــــــدروسي بـــــــــدوي

ودســـــــــوقي أدهمـــــــــي الموكـــــــــب

رب فـــــــــامنحني بسرّ ـــــــــ مـــــــــنهمُ

وعـــــــــلي الإخـــــــــلاص فاحســـــــــن أدبي

هو من معاصري الشيخ وفا الرفاعي السابق الذكر، لم نعثر علي ترجمة لهُ ولا علي شئ آخر من نظمه ، ولعل بذكر اسمه في هذه الرسالة تنبيه لمن يعلم عنه شيئاً من محبي الفضل لإثباته في آخرها، قال يمدح الشيخ وفا:

يـــــــامن غـــــــدا شـــــــيخ الأدب

يشـــــــهد ذا مـــــــن في حلـــــــب

أهـــــــدي لنـــــــا مـــــــن نظمـــــــهِ

عقـــــــداً بـــــــديعاً منتخـــــــب

قـــــــد صـــــــاغه الشـــــــهم الـــــــذي

جمـــــع الفضـــــائل والنســـــب (كـــــذا)

ذاك الوفـــــــا خـــــــدن العُـــــــلا

مـــــــن الرفـــــــاعي انتســـــــب

أنعـــــــم بـــــــه مـــــــن فاضـــــــل

حـــــــاز المحامـــــــد والحســـــــب

حـــــــبرُ لقـــــــد مـــــــلأ الـــــــدلا

أدبـــــــاً إلي عقـــــــد الكـــــــرب

وإذا عـــــــلا خيـــــــل القـــــــريض

حـــــــوي الســـــــباق بـــــــلا نصـــــــب

فهاكهـــــــا (كـــــــذا) ميريـــــــة

زفـــــــت لأفضـــــــل مـــــــن خطـــــــب

لا تبتغـــــــــي مهـــــــــراً لـــــــــديك

ســـــــــوي القبـــــــــول المضـــــــــطلب

وأســـــــــلم ودم طـــــــــول المـــــــــدى

تبـــــــــــــدي البـــــــــــــدائع في الأدب

هذا ما وقفنا عليه لهذا الشاعر.

جرجي بن ميخائيل العبديني الحلبي [1]

ولد سنة 1867 وتوفي بحلب سنة 1903

قرض الشعر وحام حول بحوره، وطاف بكؤوسه وشم شيئاً من خموره.

كان ربعة إلي القصر، نحيف الجسم، أبيض اللون، متناسب أعضاء الوجه، في عينه حَوَلٌ.

تلقي علومه في مدرسة الأباء رهبان مار فرنسيس بحلب وكان عارفاً بالفرنسوية والتركية، دمث الأخلاق لطيفاً ذكياً، قال من قصيدة:

أسلوت أم ثارت بك الأشواقُ

ياقلب سل ما هكذا العشاقُ

ياقلب مالك ساكن متبلبلُ

طوراً تجدُّ وتارة تشتاقُ

ما عدت أعهد في الهوي لك حالةً

مذ خلفتك أسيرها الأحداقُ

فإذا عجزت ولم تعد تقوى علي

حمل الهوى سل أهلهُ ما لاقوا

---

(1) جرجي ميخائيل العبديني (1284-1321هـ) (1867-1903م): جرجي بن ميخائيل العبديني. ولد في مدينة حلب وفيها توفي. عاش في سورية ولبنان ومصر وتركيا. تلقى علومه في مدرسة رهبان مار فرنسيس بحلب، وأجاد من اللغات الفرنسية والتركية. عمل في مجال التجارة. كان عضوًا في الجمعيات الثقافية والاجتماعية زمانه.

- ونشرت له صحف عصره العديد من القصائد. يدور ما أتيح من شعره - وهو قليل (مقتطعات من قصائد) - حول همومه الذاتية الوجدانية. يشكو البعاد، ويحلم بالوصال، يتميز برقته، ودفء مشاعره، اتسمت لغته بالتدفق واليسر، وخياله نشيط. التزم الوزن والقافية فيما أتيح له من الشعر.انظر : .

حملـــــــــوا عـــــــــلي أعنـــــــــاقهم أثقالـــــــــهُ

حتـــــــي التـــــــوت مـــــــن حملـــــــهِ الأعنـــــــاقُ

وردوا الـــــردى رغـــــم العـــــدى وتخطفـــــوا (كـــــذا)

بالصـــــبر حتـــــي كـــــاد لـــــيس (كـــــذا) نطـــــاقُ

رغمـــــوا أنـــــوف العـــــاذلين ومـــــا انثنـــــوا

عـــــن خمـــــرة مـــــن ســـــكرها مـــــا فـــــاقوا

هانـــــت نفوســـــهم فـــــما ضـــــنوا بهـــــا

وســـــعوا فصـــــادف جـــــدَّهم إخفـــــاقُ

وقال:

كيـــــف التـــــداني والمـــــزار بعيـــــد

ولم التـــــذلل والقلـــــوب حديـــــدُ

ولم التعلـــــل بالأمـــــاني والمُنـــــي

ألذيـــــذ وصـــــل الغانيـــــات يعـــــودُ

وتعـــــود أفـــــراح نـــــوت بنـــــواهمُ

مـــــن حَيِّنـــــا ويعـــــودُ ذاك العيـــــدُ

أشـــــتيت شـــــمل الصـــــحب يجمـــــع شـــــمله

بحبيبـــــهِ واللـــــه ذاك شـــــديدُ

ويـــــروق صـــــفو العـــــيش بعـــــد إســـــاءة

ويعـــــود عهـــــد الســـــلم وهـــــو فقيـــــدُ

وقال في مطلع قصيدة:

خـــــــذها أرق شـــــــذا مـــــــن الصـــــــهباء

وألـــــــــــذّ ورداً مـــــــــــن زلال المـــــــــــاء

ولا يخلو هذا الشعر من أغلاط لغوية وضعف في التركيب ، كقولهِ ما عدتُ أعهد في الهوي لك حالة الخ ، يريد ما عدتُ أعرفُ. لأن ليس هنا موضع العهد وإن كانت فيه المعرفة كما يظهر بأدنى تأمل، وجملة البيت تركيب علمي، أما قوله وردوا الردى رغـم العـدى وتخطفـوا الـخ ، فـما موضـع التخطف هنا، وهذا الفعل لا يتعدي بالباء، ولسنا نـدري مـاذا أراد بالنطـاق ، ثـم أن كـاد لا تقـترن بليس في حال من الأحوال كما هو معلوم ، وبهذا القدر كفاية.

حبيب العبديني الحلبي

ولد بحلب سنة 1840 وتوفي بها سنة 1911

هو حبيب بن جرجي العبديني عم المترجم السابق من أسرة قدمت حلب منذ قرنين ونيف.

كان ربعة إلي القصر، حنطي اللون، مخروط الوجه قليلاً، عصبي المـزاج ، نحيفـا وارد الأونيـة، ساكن الريح، طيب العشرة، صادق الود.

صاحب الشاعر المشهور فرنسيس المراش دهراً، وكان كثير الملازمة لهُ بعدما كفّ بصره، يكتب لهُ دون عوض.

وكان يعرف بالألحان، ويضرب علي الأوتار، ويحسن الصفير بالناي، قـرض الشـعر قلـيلاً، وكـان يهذب لهُ ما ينظم بعض أصدقائهِ من أدباء وقته، وكانت لهُ فتوحات في التواريخ قال مؤرخا مولده:

أنـــــا في شـــــهر آذار ولـــــدت أيـــــا ذوي العليـــــا

علمـــــتم أي تـــــأريخ دخلـــــت هـــــذه الـــــدنيا

سنة 1840

وقال مقرظا امرأة الحسناء: (كذا)

أني لأعلـــــم صـــــاحب الـــــديوان ذا

المـــــراش لم يهـــــوي إلي الإطـــــراء

مـــــن رام يـــــدرك قـــــدره ينظـــــر إلى

مـــــا قـــــال في مرآتـــــه الحســـــناء

فهنـــــاك يحكـــــم بعـــــدما يلقـــــاه في

تأريخـــــه ذا أشـــــعر الشـــــعراء

سنة 1874

وقال:

مـــــــــدحتك للتهـــــــــاني لا لرفـــــــــدِ

ورحـــــــت مؤرخـــــاً ذكـــــراً لـــــذكري

سنة 1881

وقال لينقش فوق عين ماء أجراه إلي بلد الإسكندرونة أحمد مختار باشا والي حلب يومئذ ، وهو من أبدع التواريخ:

اشرب هنيئـــــــــاً داعيـــــــــاً لمليكنـــــــــا

عبـــــد العزيـــــز بطـــــول جانبـــــه العـــــريض

ولأحمـــــــــد المختـــــــار والينـــــــا الـــــــذي

جعـــــل الميـــــاه لكـــــلّ تـــــأريخ تفـــــيض

سنة 1290 هجرية.

الشيخ أحمد المكانسي الملقب بالمحجوب

ولد بحلب نحو سنة 1250 وتوفي بها 1307

مسيحية 1834 – 1889

لقب بالمحجوب لفقده بصره صغيراً بعلة الجدريّ المشهورة.

كان حافظاً أريبا كامل الظرف، يميل إلي المزاح والألحان والعزف، خفيف المعاشرة، لطيف النكتة والنادرة، عارفا بأصوات الغناء، يهتز لها اهتزاز الغصن في الهواء، يتسامح مع أصحابه في مجالس الأنس والطرب، حتي ليشغلهم بفكاهته عن الراح والضرب ، وكان يتردد إلينا تردد نسيم الربيع، ولنا معه مجالس عصبة يتنحي لها الأصمعي والبديع، وكان يلقب بيننا بأبي العلاء، لضرارته وتسامحه وما هو عليه من الذكاء.

وكان متوسط القامة، عصبي المزاج معروقاً، مخروط الوجه مشوهاً بالجدري كل التشويه، حنطي اللون، كبير الأنف، غليظ الألواح، يميل برأسه عند المخاطبة يمنةً ويسرة، كثير البشاشة، ولم نقف إلا على القليل من شعره ،ولم يكن مكثراً، قال:

حمي الله من تلك المحاسن أربعاً

بأربعةٍ يبقينَ ما بقيَ الدهرُ

قوامك والقنا وشعرك والدجا

ولفظك والصهبا ولحظك والسحرُ

وقال مقرظا امرأة الحسناء:

أبدر تم بدا من بعد إخفاء

أم غصن بانِ زها في ثوب هيفاء

أم التـــــآليف تـــــروي عـــــن مؤلفهـــــا

كأنـــــه في الـــــورى كـــــالنقط للبـــــاء

ذاك ابـــــن مـــــراش ذو الآداب مـــــن شـــــهدت

لـــــهُ تصـــــانيفهُ في حســـــن إنشـــــاء

ديوانـــــــــــــه لأولي الآداب دونـــــــــــــه

فـــــلا تكـــــن يـــــا أديبـــــا عنـــــهُ بالنـــــاء

ســـــحراً حـــــلالاً غـــــدا يحلـــــو لســـــامعهِ

بشرـــــــي لقارئـــــــه والحـــــــظ للـــــــرائي

فـــــــتره الطـــــــرف في روضـــــــاته عجبـــــــاً

تغنيـــــك أبكـــــارهُ عـــــن كـــــل عـــــذراء

أبياتـــــه الـــــراح تشـــــتاق النفـــــوس لهـــــا

تغنـــــي المعـــــاني بهـــــا عـــــن كـــــأس صـــــهباء

ونورهـــــا مذبـــــدا طبعـــــاً مورخهـــــا

يهـــــدي بـــــه فزهـــــت مـــــرآة حســـــناء

سنة 1288 هجرية

ولهُ مزدوجة طارت شهرتها في حينها، حتي لم يبق متأدب أو قارئ في هـذه الأقطـار إلا رواهـا أو كتبها، ولم يبق أديب في حلب لم يزد عليها دوراً أو بيتـاً، وكلهـا انتقـاد وطعـن في رجـال حكومـة حلب وبعض أعيانها ، وهذا أولها:

آها وواهاً لانقلاب الدهرِ وكثرة الفجور في ذا العصرِ

قد أصبحت بلدتنا في أسرِ من معشرِ تضلَّعوا بالكفرِ

فلعنةُ الـلـه عليهم تجري

قد أظلمت ديارنا بالوالي ذاك الشقيُّ السيئ الأفعال

منتجع الوبال والنكال مدّمدم الأفعال والأقوال

منجس في البر ثم البحرِ

ومنها في مجلس التجارة:

وأبعد بنا عن مجلس التجارِ وعصبة الأشرارِ والفجّار

فصيحهم ينهقُ كالحمار رئيسهم يصلح للمدار

ياليت يدري أنه لا يدري

ومنها في الشرطة وكان أسم رئيسها أشرف بك!

وإن تجد يوماً عجوزاً ضارطة فاخبر بها البوليس ثم الضابطة

فأشرف يأتي لها كالماشطه مؤملاً منها ببذل الواسطة

وقائلا من بعدها لا تخ .... ..

"بهذا القدر كفاية"

جرجي الكندرجي الحلبي [1]

(1) جرجي الكندرجي (1288-1337هـ) (1871-1918م): جرجي الكندرجي الحلبي. ولد بمدينة حلب وتوفي في مدينة «أركاثون» بفرنسا. عاش في سورية، ودرس في الآستانة، وقضى بعض عمره في باريس. تلقى دروسه في مدرسة رهبان مار فرنسيس بحلب، ثم قصد الآستانة ودخل المكتب السلطاني ثلاث سنوات يتلقى العلوم واللغات. وعاد إلى حلب بعد أن أجاد التركية والفرنسية والإيطالية، بعد العربية. في حلب وظف في المصرف العثماني، ثم ترك العمل بعد عامين، وبعد مدة قصد باريس، فاشتغل رئيسًا لحسابات محل تجاري كبير، لما يتمتع به من ذكاء وأمانة. توالت في حياته أحزان خاصة، لفقده شقيقته، ثم زوجته، مما جعل حياته من بعدهما كئيبة.

- جمع شقيقه منتخبات من شعره، نشرها بعد موته، سماها: «الزهيرات»- طبعة خاصة من مائة نسخة أهديت لأصدقاء الشاعر بوصية منه، وتضمنت «مصادر الدراسة» قصائد وقطعًا من شعره. يقوم الحنين إلى الوطن (سورية) بدور المحرك والموجّه لموهبة الشاعر، وتظل صور الطبيعة في الوطن، كما في فرنسا ذات هيمنة على الشعور بالمكان، كما تدل لغته وإيقاعاته على ثقافة وخبرة بالمعجم تؤكدها قوافيه الطوال. لقد عاصر حركة الحداثة (الرمزية) في فرنسا، ولكن الحنين «الرومانسي» كان أكثر قربًا إلى روحه وفكره، وتعبيراً عن الشعور بالغربة، رغم مضي السنين. انظر:

- لويس شيخو: تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين

من شعره : في ساحة الأهرام

إني وقفتُ بساحة الأهرامِ ... والبدر يسطع في الفضاءِ السامي

وأجَلْتُ طرفي حولها متنقِّباً ... متهيِّباً لجلالة الأجسام

مستطلعاً أسرارهَا متسائلاً ... عمّا حوت من أعظم الأجسام

فبدا ليَ التاريخ في صفحاتهِ ... متمثلاً متحركاً قدّامي

ورأيت خَلْقاً لا يُعدُّ عديدُهم ... يستاقُهم فرعونُ كالأنعام

صُفرَ الوجوهِ شعورُهم مغبرَّةٌ ... حُنيَ الظهور لشدة الآلام

تعلو القروحُ جلودهم وتسيل من ... قممِ الرؤوس لمنبت الأقدام

من قَرْع أسواطٍ وشدِّ سلاسلٍ ... في جرِّ أثقالٍ ونقلِ رُكام

كلٌّ يئنُّ مردِّداً لشكايةٍ ... ولِلَغْنةِ المظلومِ للظُلاَّم

فكأنما الأحجار أكباد الورى ... مرصوصةً والرملُ دمْعُ الرامي

وكأنما الأهرامُ شِبْهُ نواجذٍ ... شهدتْ لنا بشراسة الحُكّام

فدهشتُ ثم سألتُ محتشماً أبا الْ ... هَوْلِ الصموتَ الكشْفَ عن إيهامي

وهو الأمين لكل سِرٍّ غامضٍ ... حرَصتْ عليه جوانحُ الأيام

ولد بحلب سنة 1871 وتوفي في مدينة أركاشون بفرنسا سنة 1918

شاعر كله روح، تعبق اللطافة من أنفاسه وتفوح، هام بالشجر والهواء، وعشق محاسن القبة الزرقاء، وشغف بالرياض والبساتين، وافتتن بالزهر ولا سيما بالياسمين، تشجيه الألحان، فيميل كأنه ثمل ببنت الحان، ويطرب لنعمات الأطيار، طربةُ لنقر الأوتار ،وكان مغرما بكل مظهر من مظاهر الكون، يري فيها من آيأت الجمال ألف شكل ولون، فالغيوم والأمطار والرعود والبرق، والثلج والبرد والغروب والشروق، والأنهار والبحار والسهول والجبال، والعواصف والنسيم ، إلي غير ذلك من المشهودات والأحوال، كان لكل منها أثر في نفسه، لا يذوق معناه إلا من كان حسهُ كحِسه.

وكان معتد القامة، ضعيف الجسم، نحيف البنية، عصبي المزاج، أسود العينين والشعر، متناسب الأعضاء، يجذب محدثه برقته وحسن بيانه، حلو العشرة ، صادق الطوية، ينظم الشعر بغير تكلف، ويغلب السناد في بعض قوافيه، وقد نظم كثيراً إلا أنه لم يجمع من شعره غير نخبة سماها الزهيرات، طبع حضرة أخيه الفاضل صديقنا الطبيب الجراح النطاسي السيد ليون الكندرجي مئة نسخة منها فقط أهداها إلي أهله وأصحابه بوصية منهُ.

تلقي دروسه في مدرسة الآباء رهبان مار فرنسيس بحلب ، ثم قصد القسطنطينية ودخل المكتب السلطاني فيها ، وظل فيه ثلاث سنوات يتلقي العلوم واللغات ، فخرج منه أديباً كاملاً، عارفاً بالتركية والفرنسوية والطليانية يتكلم ويكتب فيهن جميعاً بغاية السهولة، ثم عاد إلي حلب واتخذ وظيفة في المصرف العثماني ، ثم أستعفي منها بعد

يحمي خبايا العاديات كحارسٍ ... يقظانَ يحجبُها بستْرِ ظلام
فتبسَّم الصنم القديم تعطُّفاً ... وأجابني من بعد ردِّ سلامي
إن كنت تحسَب ما رأيت حقيقةً ... أخطأتَ فهو مُحصَّل الأوهام
هذي الشواهقُ شَخَّصَتْ فيما مضى ... أثَرَ الحِجَى ومآثرَ الأعلام
لو عادتِ الأسلاف يوماً بينكم ... لَبَكَتْ على الأخلاق والأفهام

سنتين ، وقصد بعد ذلك بمدة باريس ، فوجد وظيفة في محل أوروزدي بك التجاري المشهور، ثم ما لبث أن عيّنه مدير هذا المحل رئيساً في قلم المحاسبة ومفوضا بالإمضاء، لما رأي من أمانته وذكائه ونشاطه.

ثم توفيت شقيقته سنة 1904 ، وتوفيت بعدها بقليل قرينته ، وكان يحبهما كثيراً فجزع عليها جزعاً عظيماً صاحبه في سائر المدة التي عاشها بعدهما. وكان شديد الحنين إلي وطنه، قل من شابههُ في ذلك ، لا يفتأ يذكر حلباً وضواحيها، ومعارفه ومن صاحب فيها.

وكان بينه وبين صهرنا السيد ألبير حمصي صداقة منذ المدرسة ، فلما زار باريس مع زوجه ابنتنا عليَّة في أوائل سنة 1912 حياهما بقصيدة قال في مطلعها:

أهلّة عن سما الشهباء ما غربت

إلاّ لتشرق في باريسنا حينا

كانوا الأهلّة قبلاً عند فرقتنا

واليوم شمنا بدوراً في تلاقينا

ومنها:

نحنّ شوقاً لأوطان يشتتنا

عنها الزمان ولكن ليس يلهينا

ومنها في مخاطبة أهل وطنه:

أحبابنا قد جعلنا من سرائرنا

في البعد عنكم لذكراكم بساتينا

أزهارها من نبات الشوق رائعةُ

نجني الشقائق منها والرياحينا

أن تـــــذكرونا فـــــما الأبعـــــاد فاصـــــلة

كـــــم قـــــرّب الـــــذكر أرواح المحبينـــــا

وقد أحسن في هذا البيت غاية الإحسان.

فبعثت إبنتنا إلينا بهذه القصيدة وطلبت أن نجيبهُ عليها فأجبناهُ بما يأتي:

يـــــا جنّـــــةَ الأرضِ يـــــا أقصي أمانينـــــا

لا شـــــئ عـــــن حـــــب ذاك الحســـــن يلهينـــــا

بـــــاريسُ يـــــازهرة الـــــدنيا وبهجتهـــــا

جمعـــــتِ مـــــن كـــــان عـــــن ذكـــــراكِ يغنينـــــا

ومنها:

تلـــــــك المنـــــــازلُ لا ننفـــــــكّ نـــــــذكرها

أيامُنـــــــا ضـــــــاحكت فيهـــــــا لياليـنـــــــا

إذ الشـــــــباب رعـــــــاهُ الـلـــــــه مُقتَبَـــــــلُ

وإذ دعانـــــــا إلي اللـــــــذات داعينـــــــا

حُيّيـــــت ياخنـــــدق السنســـــار[1] مـــــن فَلَـــــكُ

وإذ دعانـــــــا إلي اللـــــــذات داعينـــــــا

ومنها:

ويـــــا ملاعـــــب حـــــور اللطـــــف قـــــد هبطـــــت

مـــــن سُـــــدة الحســـــن تجـــــري ســـــحرها فينـــــا

.Boulevard Montmartre (1)

ويـــــا حديقـــــة لوكســـــمبورَ لا برحـــــت

تلـــك الـــدمى ببـــديع الحســـن تحظينـــا

روحـــي فـــدي ظبيـــات فيـــك مـــا عرفـــت

نفـــور وحـــشِ بـــأنس اللحـــط تســـبينا

ويـــا مواضـــع صـــفو كلهـــا عجـــبُ

ويـــا مجـــامع فضـــلٍ للمريـــدينا

ومنها: [1]

بـــاريس يازينـــة الـــدنيا ومفخرهـــا

ومنبـــع العلـــم يحـــكي جريـــه الســـينا

ويـــا نعـــيما لأهـــل الأرض قاطبـــة

ومـــوطن الأنـــس إنصـــافاً وتأمينـــا

كـــم شـــاد أهلُـــك قصرـــاً للمعـــارف قـــد

غـــذوا بهـــا الجهـــل زقومـــا وغســـلينا

ومنها:

فـــيمّ المقـــامُ بـــأرض نُســـتهان بهـــا

والغـــرمُ يلزمنـــا والغـــنم يُظمينـــا

فـــيم التشـــوق للأوطـــان ننـــدبها

ومـــن بهـــا لـــيس يـــرضي أن يُصـــافينا

---

(1) نهر السين فيها

ياضـــــيعة العمـــــر والأتعـــــاب في وطـــــنِ

مـــــا أنْ كســـــبنا بـــــهِ دنيـــــا ولا دينـــــا

يـــــا نـــــازلين بـــــدار الســـــعد أنَّ لكـــــم

فيهـــــا مـــــواطن ليســـــت للمقيمينـــــا

إن كـــــان أخلاصـــــكم يـــــدني البعيـــــدينا

فـــــإن أخلاصـــــنا مـــــا زال يقصـــــينا

أن تنزحـــــوا عـــــن بـــــلاد الشرـــــق إنَّ لكـــــم

في الغـــــرب قـــــدراً وعـــــزّاً للمحبينـــــا

لا تحســـــبوا غربـــــة الأحـــــرار منقصـــــةَ

مـــــا دمـــــتمُ بـــــديار الفضـــــل ثاوينـــــا

أنـــــتم مقيمـــــون في أعـــــلا المنـــــازل مـــــن

قلوبنـــــــا في لقانـــــــا أو تـــــــدانينا

إن كـــــان ذا البعـــــد يضـــــنيكم ويضـــــنينا

فالـــــذكر ينعشـــــنا والحـــــب يـــــدنينا

ثـم أتـاح لنـا القـدر السـفر إلي بـاريس سـنة 1913 فاجتمعنـا بـه وشـهدنا مـن حفاوتـه بنـا وفرط رقته، وحسن وفائه وطيب عشرته، وكرم خلالهِ وصـدق أقوالـه وأفعالـهِ، مـا نـديم لـهُ أعطـر ذكر، وننشره أطيب نشر، وكان رحمهُ اللـه عندما نهضنا إلي العود للوطن ودَّعنـا بقصـيدة قـال في مطلعها :

يـــــا راحـــــلاً في أمـــــانِ اللـــــه والـــــنعمِ

هـــــلا حملـــــت ســـــلاماً فـــــاح كـــــالخزمِ

لقـــــد تـــــزودت مـــــن بـــــاريس بهجتهـــــا

فخـــــذ مـــــع الـــــزاد ودا غـــــير منـــــثلمِ

مـــــا كـــــلُّ ضـــــيفٍ كمـــــن قامـــــت تودّعـــــهُ

يهـــــدي لهـــــا الـــــدرَّ منظومـــــاً مـــــن الكلـــــمِ

مـــــا كـــــلّ يـــــوم لـــــديها عـــــالمُ صـــــدعت

منـــــه النهـــــى مغلقـــــاتِ العـــــرب والعجـــــمِ

عُـــــد أيهـــــا الضـــــيف فالشـــــهباء ســـــائلة

حمصـــــيها الرســـــل مـــــن طـــــير ومـــــن نســـــمِ

وقـــــل هنـــــاك لأهـــــل الفضـــــل أن بحثـــــوا

عـــــن حـــــالتي أننـــــي بـــــاقٍ عـــــلي شـــــيمي

أصـــــبو إلـــــيهم بوجـــــد دائمـــــاً أبـــــداً

وذكـــــرهم في حـــــديثي لـــــذة لفمـــــي

مـــــا خمـــــرة الـــــروح إلا مـــــن تـــــذكرهم

ريـــــح الصـــــبا تجتليهـــــا فهـــــي مـــــن خـــــدمي

ومنها:

أراهـــــــمُ كـــــــل يـــــــومِ في مخيّلتـــــــي

كـــــما تـــــراءوا لعينـــــي قبـــــل تـــــركهم

أري " العزيزيـــــــة" الفيحـــــــاءَ تجمعهـــــــم

كـــــالأنجم الزهـــــر بـــــل أزهـــــى مـــــن الـــــنجم

وقال في بركة ليمان :

هنـــــا تشـــــتهي الأرواح حقـــــا خلودهـــــا

وتلهـــــي عـــــن الفـــــردوس بالعـــــالم الفـــــاني

هنـــا المـــاء در والجبال جواهر

ودائـــــرة الآفـــــاق أطـــــواق مرجـــــانِ

هنـــا الكـــون ســـحر والعـــروس تسرـــبلت

بأفـــــخر أثـــــوابِ وأبدع ألوانِ

فللفجـــــر خـــــز والغـــــروب أطـــــالسُ

مـــــن الأزرق الشـــــفاف والأحمـــــر القـــــاني

عقيـــــقُ يمـــــانيُ وفـــــيروز فـــــارس

ومـــا ذلـــك التشـــخيص في وســـع إمكـــاني

أُهيـــل النُهـــي باللـــه إن ضـــلَّ رائـــدي

فـــلا تنشـــدوهُ في لحـــاظ وأجفـــانِ

غرامـــي بهـــذا الحســـن شرعـــي ومـــذهبي

وشـــوقي إلي لقيـــاهُ مشـــكاة إيمـــاني

تغنـــي بـــه أوتـــار روحـــي تغـــزلاً

وآياتـــه راحـــي ونقـــلي ونـــدماني

إذا لم يكـــن لي بـــين قـــومي مزيّـــة

فتمجيـــد هـــذا الصـــنع شـــأني وعنـــواني

سـلام عـلي هـذي الربـوع ورحمـة

ومـن بركـات اللـه هطـال رضـوانِ

وقال من قصيدة يصف جنة من جنان باريس ، وقد أجاد غاية الإجادة، حتي ليس لمستزيدٍ زيادة.

ضـحك الرمـانُ واللـوزُ اسـتحى

وانحنـى الزيتـون والسرو اسـتقامْ

وبـكى الصفصـافُ لا مـن ألمٍ

بـل لوجـدٍ فهـو صـبٌّ مسـتهامْ

وحـكي التفـاح في حمرتـهِ

جمـراتِ النـار في أحمـي العـرام

لـبس المشـمش ثوبـاً مـذهباً

فـاعتري الـدراق هـم واهـتمام

واكتسي الخـوخ لحـزنِ بـردة

أشـبهت زرقتهـا عـرق الرخـام

وأسـترخ النخـل في قـرب الصـنوبر

والحـور اعـتلي نحـو الغـمام

وانـزوي البلـوطُ يهـوي فسـحة

فهـو لا يرضـيه ضـيق أو زخـام

واخـــــتلي الزعـــــرور منهـــــوك القـــــوى

أصـــــفر اللـــــون كمـــــن صـــــلي وصـــــام

وتنحنـــــــي التـــــــين عـــــــن جيرانـــــــهِ

يـــــؤثر الزهـــــد عـــــلي لهـــــو المـــــدام

وظـــــلال الـــــدلب في الصـــــيف حمـــــت

طرقـــــــات الحـــــــي قيظـــــــاً وضرام

ونمـــــا الســـــعترُ في ظـــــل القرنفـــــل

والنعنـــــــــاع حـــــــاذاهُ الـــــــنمام

وصـــــــنوفُ فـــــــاتني تعـــــــدادها

مـــــن شـــــجيرات حقـــــيرات دِمـــــام

وأعشـــــــابِ تثنَّـــــــت والتـــــــوت

لســـــت أدريهـــــا نيامـــــاً أم قيـــــام

ومنها يشكو أوجاعه وعلته ، ويصفها وصفا يلين لهُ الجلمود لو عقل، ويستنزل سحائب الدموع من المقَل.

آه لـــــولا الســـــقم كـــــم أســـــكرني

أرج الزهـــــــر بـــــــلا شرب مـــــــدام

آه لـــــولا علتـــــي كـــــم هـــــاجني

بلبـــــل يتلـــــو أحاديـــــث الغـــــرام

ومنها:

مـــــا أفـــــاد الزهـــــر والـــــروض ولا

مـــــاؤه العـــــذب ولا طيـــــب المقـــــام

مـــــا نفـــــي الويـــــل تفـــــادي زوجـــــةِ

صـــــاغها اللـــــه ملاكـــــاً في الأنـــــام

ومنها:

لم أذق مـــــن عيشـــــتي غـــــير الـــــبلا

فعسيـــــ في المـــــوت للضـــــيم ختـــــام

وقال قبلها:

علَّـــــةُ في الحلـــــق أوهـــــت جلـــــدي

خلّفـــــت جســـــمي جلـــــداً وعظـــــام

علّـــــة أدمـــــت فـــــؤادي كمـــــداً

ونفـــــت عـــــن مقلتـــــي طيـــــب المنـــــام

إن مضيـــــ يـــــومي عـــــلي جمـــــر الأسى

كـــــرّ لـــــيلي بدواهيـــــه الجســـــام

مـــــن كظـــــام دونـــــه بلـــــع الحصيـــــ

ودغـــــام دونـــــه وقـــــع الســـــهام

أننـــــي حـــــيَّ كمـــــن تحـــــت الـــــثري

ودَّع النـــــور وأمسيـــــ في ظـــــلام

وقال في ختامها:

يـــــا بنـــــي الشـــــهباء باللـــــه اذكـــــروا

نائيـــــــاً لم يـــــــنسَ عهـــــــداً وذمـــــــام

ينشـــــــــد الأوطـــــــــان في نكبتهـــــــــا

وزمانـــــــاً مـــــــرَّ فيهـــــــا كالمنـــــــام

يســـــأل اللـــــه لهـــــا بعـــــد الشـــــقا

نعمـــــــةً جُـــــلَّي وعـــــــزاً لا يُـــــــرام

ومنها:

يلفـــــــظ الـــــــروح عـــــــلي ذكـــــــراكمُ

رحمـــــــة اللـــــــه علـــــــيكم والســـــــلام

1916

وهذا آخر ما كتبه وكان كلفاً بزهر الياسمين:

أناجي الياسمين بما أقاسي فيسمعني ويرثي لي الصموتُ

يزور سرير أوجاعي فتسعى إلي لقياهُ من طربِ نعوتُ

ومنها :

أقبله فما لفم طويلا فينعشني وفوق فمي يموت

ويالـلـه من سكري بعطرِ وأرواح بها روح أقوتُ

وقد انساب إلي جسمهِ اللطيف داء عياء، لم ينفع فيه طب الأطباء، صاحبه سنواتٍ أربع، لم يذق فيها لذة يقظة ولا مضجع، وقد وصف آلامه في أكثر منظوماته الأخيرة وصفا يستنزف الدمع، ويخلع الفؤاد والضلع، إلي أن قضي في الثامن من نيسان سنة 1918 فبكاه أهله وذووه، وعارفو فضله ومحبوه، وفيهم الرياض والرياحين، ولا سيما الياسمين.

عبد الفتاح الطرابيشي [1]

(1) عبدالفتاح الطرابيشي (1277-1331هـ) (1860-1912م): عبدالفتاح بن محمد أمين بن عبد الفتاح بن محمد أمين الطرابيشي. ولد بمدينة حلب (سورية)، وتوفي فيها. عاش في سورية. تعلم في صغره القراءة والكتابة، وفي العشرين من عمره حفظ القرآن الكريم، ثم حفظ «دلائل الخيرات»، وأخذ عن محمد السراج بعض المقدمات النحوية، ثم انكبّ على دراسة كتب الأدب والشعر ومشافهة العلماء، وحفظ كثيراً من مقامات الحريري. عمل ببيع الطرابيش التي كانت تجارة رائجة في عصره.

- له عدة قصائد في كتاب: «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء»، وله تخميس لقصيدة أبي فراس الحمداني في كتاب: «أعلام الأدب والفن»، وله ديوان ذكره كتاب «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء». يتنوع شعره بين الهجاء والتاريخ والحماسة والفخر والزهد والغزل، وله شعر في الخمريات تأثرًا بأبي نواس، وهجاؤه أفضل من تغزله (كما حكم نقاده)، يكثر من التشطير والتخميس والتطريز للأسماء، يميل إلى محاكاة الشعراء القدامى وتضمين مشهورهم شعره، ومنه تخميسه لرائية أبي فراس الحمداني «أراك عصي الدمع». انظر:

1 - أدهم آل جندي: أعلام الأدب والفن (جـ2) .

3 - محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء (جـ7)

من شعره : هذا الجمال

هـــذا الجـــمالُ لـــه في الـــذكْر آيـــاتُ ... وفي الأنـــام ومـــا يُحـــكَى روايـــاتُ

حُسْـــنٌ بـــديعٌ أراد اللـــه يُظهـــره ... فكنتَـــه وبـــدتْ منـــك العلامـــات

غـــدوْتَ ســـلطانَ حســـنٍ في المِـــلاحِ لـــذا ... في خـــدِّك الخـــالُ بانـــتْ منـــه رايـــات

محـــوتَ كـــلَّ جـــمالٍ فيـــه حـــين بـــدا ... للنـــاظرين وهـــذا المحـــوُ إثبـــات

للـــه درُّكَ مـــن ظبـــيٍ خُلقـــتَ كـــما ... تهـــوَى وللـــهِ في هـــذا إرادات

أصـــبحتَ فتنـــةَ هـــذا الكـــونِ مـــذ نَصـــبَتْ ... ســـهامَ لحظِـــكَ في العشـــاقِ كَسَـــرات

تغـــدو القلـــوبُ إذا مـــا مِسْـــتَ منعطفًـــا ... لهـــا مـــن الوجـــدِ كـــرّاتٌ وفَـــرّات

حكيـــتَ بـــدرًا بنـــورٍ قـــد زهـــا وعـــلا ... وفاتَـــه منـــك لفتـــاتٌ وقَمْـــزات

يـــا يوســـفَ الحســـنِ يـــا مـــن عـــزَّ عـــن شـــبهٍ ... كـــم في الهـــوى لـــك قـــد حنَّـــتْ زُليخـــات!

فتنـــتَ في طرفـــك المـــاضي القلـــوبَ لـــذا ... في صـــحن خـــدّك منهـــا بـــان حبّـــات

أفـــدي قوامًـــا كـــرمحٍ ظـــلَّ معتـــدلاً ... لـــه بكـــل قلـــوب النـــاس طعْنـــات

وخمـــرَ ثغـــرٍ تفـــوقُ الشـــهدَ ريقتُـــه ... لذيـــذَ طعـــمٍ وكـــم لي فيـــه ســـكرات

إني لأعجب من ضدَّيْنِ قد جُمعا ... وذاك في الخدِّ نيرانٌ وجنّات

نبيٌّ حسنٍ أتى يُبدي الغرامَ لنا ... مَنْ قام في لحظِهِ الفتّان فترات

دعا القلوبَ فلبَّته على عجلٍ ... وصحَّحتْ ما ادَّعى منه الإشارات

تلقى - إذا ما بدا - الأبصارَ حاسرةً ... كالشمس تحفظُه منها أشعّات

فيا رعى الله مَنْ ذَلَّتْ لسطْوتِهِ ... أسودُ غِيدٍ لها في الحرب صَوْلات

تأمَّل

تأمّلْ ليس غيرَ اللهِ باقي ... ولا حُسنٌ من المقْدورِ واقي

ولا مالٌ يذبُّ ولا نوالٌ ... ولا جاهٌ ولا سُمْرُ الرِّقاق

لعمري إنَّ عزَّ المالِ ذلّ ... إذا ما كان يُجمعُ للمحاق

هي الدنيا فكن يا صاحِ منها ... على حذرٍ فحسبُك ما تُلاقي

حذارِ حذارِ لا تركنْ إليها ... فشيمتُها الخديعةُ بالنفاق

فدعْها والسلامُ عليك إني ... رأيتُ رفاقَها شرّ الرفاق

فهل للمرءِ فيها غيرُ ثوبٍ ... ولقمةُ جائعٍ وشراب ساق؟

فقل للجاهلِ المغرورِ مهلاً ... ستشرب مشربًا مُرَّ المذاق

وتندبُ حين لا يُجْديك ندبٌ ... وتصبح بعد عزِّكَ بالوَثاق

ألا يا مالكَ الأموال رفقًا ... فإنك ميِّتٌ والمالُ باقي

تأنَّ أيها الجاني تأنَّ ... فما لك دون رزقِك من تراق

فخيرُ الناسِ في الدنيا سرورٌ ... كثيرُ الخير محمودُ السباق

وأفضلُ سيرةٍ إن رمتَ تلقى ... كتابُ اللهِ أفضل ما تلاقي

مضى ذكرُ الملوك فأين كسرى ... وقيصرُ أين هارونُ العراق؟

وأين مَنِ ابتنَى الهرمَين قِدْمًا ... وأضرمَ نارَ حادثةِ السباق؟

مضوا كلٌّ فلم يبقَ سوى من ... تفرَّدَ بالبقاء بلا شِقاق

وأضحوا بعدما كانوا ملوكًا ... عبيدًا ترتجي فضلُ العَتاق

فما يا صاحِ في الدنيا صديقٌ ... صدوقٌ صدقُه عقْد النطاق

يريك الودَّ إن أبذلتَ مالاً ... ويلوي كشْحَه وقتَ النفاق

فلا تأمنْ لغير اللهِ طُرّاً ... ولو آلوا لوذْكَ بالطلاق

فعش فردًا وثِقْ بالناس شرّاً ... وحاذرْ في اصْطِباحك واغتباق

ولد بحلب سنة 1277 وتوفي بها سنة 1331

مسيحية 1860- 1912

حرفته بيع الطرابيش، كان محباً للأدب، كثير الولوع بقراءة الشعر، جيد الحافظة ذكياً.

كان معروقاً، يميل إلي الطول، مخروط الوجه، ضعيف الجسم عصبي المـزاج ، في طرفـه حـول، أسود الشعر، مليح العبارة.

أرتني وجهًا دونه الشمس

تخميس أبياتٍ لأبي فراس

أرتنـــيَ وجهًـــا دونـــه الشـــمسُ والبـــدرُ ... وثغـــرًا بـــه تزهـــو اللآلـــئُ والـــدُّرُّ

وقالـــت وقلبـــي لا يزعزعُـــه الهجْـــرُ ... أراكَ عصيَّـــ الـــدمع شـــيمتُك الصـــبرُ

أمـــا للهـــوى نهـــيٌ عليـــك ولا أمـــرُ ... فـــإن شـــؤونَ الحـــبِّ وجـــدٌ وروعـــةٌ

وســـقمٌ وتـــبريحٌ وشـــوقٌ وفجعـــةٌ ... فقلـــتُ ولم تعـــثرْ بعينـــي دمعـــةٌ

بـــلى أنـــا مشـــتاقٌ وعنـــدي لوعـــةٌ ... ولكـــنَّ مـــثلي لا يُـــذاع لـــه سرُّ

فـــديتك قلبـــي كـــم أضرَّ بـــه الجـــوى ... ومـــا ضـــلَّ عـــن نهـــج الغـــرام ولا غَـــوَى

ولســـتُ شـــديدَ الحبـــل بالحـــبِّ والقُـــوى ... إذا الليـــلُ أضـــواني بســـطتُ يـــدَ النـــوى

وأذللـــتُ دمعًـــا مـــن خلائِقِـــه الكـــبْرُ ... فكـــم أذكرَتْنـــي مَـــنْ أحـــبُّ نـــوائحي

وأجـــرَتْ عيـــوني مـــن دمـــوعٍ ســـوافحِ ... وللغِيـــدَ إن حنَّـــت وأنَّـــتْ جـــوانحي

تكـــادُ تُضيـــء النـــار بـــين جـــوانحي ... إذا هـــي أذكتْهـــا الصـــبابةُ والفكْـــرُ

ألا مـــن لصـــبٍّ قـــد أطالـــت ديونَـــهُ ... مهـــاةٌ ولم تصـــلح بوصـــلٍ شـــؤونَهُ

أقـــول لهـــا والســـقم أبـــدى شـــجونَهُ ... معللتـــي بالوصـــل والمـــوت دونَـــه

إذا مـــتّ ظمآنًـــا فـــلا نـــزل القطـــرُ ... جمالـــك يـــا ذات المحاســـن

عـــلى حســـن لطـــفٍ بعـــد عـــزيَ ذلّنـــي ... ومـــن أجـــل حـــبٍّ في هـــواك أعلّنـــي

بـــدوتُ وأهـــلي حـــاضرون لأننـــي ... أرى كـــلَّ دارٍ لســـتِ مـــن أهلـــه قفـــر

وكان يقرض الشعر ملحوناً، ويستعين ببعض الأدباء علي تهذيب بعضه ، ووجدنا لهُ شعراً كثيراً غير مهذب ، فاخترنا لهُ ما يأتي.

قال من خمرية:

يـــــامن يلـــــوم عـــــلي صـــــهباء صـــــافيةِ

جهـــــلاً ويشربـــــ مـــــن دنيـــــاهُ أقـــــذارا

إليـــــك عنـــــي فـــــأذني عنـــــك في صـــــمم

خـــــذ الجنـــــان ودعنـــــي أســـــكن النـــــارا

وقال من قصيدة:

ويرتـــــــاح قلبـــــــي للنســـــــيم إذا سرى

ورب نســـــيم مـــــن شـــــذا المســـــك أطيـــــبُ

يـــــــذكرني عهـــــــداً قـــــــديماً قضـــــــيته

لـــــهُ الحســـــن ديـــــنُ والملاحـــــة مـــــذهبُ

وقال:

قـــــد كـــــان ظنـــــي عطـــــاء الـــــله ينفعنـــــي

في عيشـــــتي وعـــــن الأغيـــــار يكفينـــــي

فبـــــتُّ مـــــن عظـــــم نحسيـــــ في الأنـــــام أرى

في كـــــل أمـــــر عطـــــاءَ الـــــله يـــــؤذيني

وكتب إلينا:

أخـــــا المجـــــدِ قســـــطنطين يـــــاذا المفـــــاخرِ

ويـــــا مـــــن غـــــدا في الـــــدهر ربَّ المـــــآثر

إليـــــك أتيـــــت اليـــــوم أرجـــــوا تطفـــــلاً

إعـــــارة ديـــــوان الأديـــــب ابـــــن عـــــامر

وقـــــد قـــــال لي بعـــــض الأفاضـــــل أنـــــهُ

لـــــديك فقـــــرّوا في لفـــــاهُ نـــــواظري

فـــــلا زلـــــت للقصـــــاد أعـــــذب مـــــوردِ

يُرجَّـــــي ولـــــلآداب أعظـــــم نـــــاصرِ

أحمد الإدلبي المشهور بأحمد وهبي الكتبي الحلبي[1]

(1) أحمد وهبي الكتبي (-1315هـ) (-1897م): أحمد وهبي الكتبي. ولد في مدينة حلب، وفيها عاش، وفي ثراها وجد مرقده. عاش في سورية. عاش على تجارة الكتب، واجتماع أدباء المدينة في دكانه، كما نال أعطيات الأغنياء مقابل مديحه لهم، وظرفه أيضاً. وقد كان يفيد من تجمع الشعراء والظرفاء حوله في توجيه شعره وتصويبه.

- له ديوان مخطوط: ديوان أحمد الكتبي -مودع بمكتبة الأسد الوطنية- بدمشق، تحت رقم 8389. سيفاجئ الشعر العربي عشاقه بهذا النمط الذي يملك موهبة القريض، ولا يملك الثقافة المطلوبة لإرفاده، وهذا الكتبي وجد مدخله في تجارة الكتب واجتماع المثقفين من حوله، ولكن قدرته الصياغية، وطاقته التصويرية ستشهدان له بأنه لم يكن بعيداً عن الهدف الذي يرتجيه بشعره، وهو أن يكون أحد ظرفاء العصر، وقد تحقق له هذا.

من شعره يا سيدي يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

ما مسّني الدهرُ في همٍّ وفي كُرَبِ ... إلا وناديتُ خيرَ العُجْمِ والعربِ

فمدحُه فرجٌ في ضيق معسرةٍ ... وجاهُه نصرةُ المحزونِ بالنُّوَب

مآثرُ الفضلِ في علياه قد جُمِعتْ ... فأشرقتْ بسَناءٍ غيرِ مُحتجب

ما أمّه قاصدٌ يرجو مكارمه ... إلا وأنقذه من آفةِ العطب

هذا النبيُّ الذي آياتُه ظهرتْ ... بالمعجزات التي جَلّتْ عن الرِّيَب

آياتُ صدقٍ ونورُ الله جَمّلها ... ونورُها ساطعٌ في الكون لم يَغِب

يا سيّدي يا رسولَ الله يا سندي ... يا خيرةَ الخلقِ في طُهرٍ من النسب

يا من إليكَ انتماءُ الخَلْقِ في شَرفٍ ... بالمجد والفخر والتبجيل والحسب

فكنْ شفيعاً بمن يرجوكَ مكرمةً ... وكنْ معيناً على الأهوال والحَرَب

أنتَ المغيثُ لنا في كلّ نائبةٍ ... أنتَ المجيبُ ندى الملهوفِ بالطلب

فإنني عاجزٌ قد مسّني ضَرَرٌ ... قرعتُ بابَ الرجا منه فلم أخب

أرجوكَ يا سيّدَ الساداتِ تَرفقُ بي ... إن لم تكن لي فمن بالناس يرفق بي

فامننْ على من غدا للجودِ مفتقراً ... بمدحه راجياً يُشفى من الوَصَب

فمادحٌ لا يفي بعضَ المدائحِ في ... كثرِ التغالي وهذا ليس بالعجب

أنّى يزيد بمدحٍ في عُلاكَ على ... ما أنزلَ الله في الفرقان والكتب

مني عليكَ صلاةُ الله ما صدحتْ ... بلابلُ الأيكِ بالألحان والطرب

ثمّ النبيّين أهلِ الفضلِ أجمعهم ... والآلِ والصحبِ أهلِ الفخرِ والأدب

لم نقف علي سنة مولده، عرفناه يبيع الكتب في دكانه بسوق الطيب بحلب ويتعيش من بيع الكتب ومدح الأكابر، وكان يتردد إلي دكانهِ المذكور جلّة أدباء العصر ـ وظرفائهِ، قرض الشعر علي جهلهِ بعامة العلوم العربية، وكان يلتمس من الأدباء تصحيح أغلاطه، ولهُ شعر كثير ندر فيه الإحسان، وواطأ بعضهُ بعضاً علي التركيب العلمي ومباينة البيان، يجمع ألفاظاً كثيرة، علي معانٍ فقيرة، مع تكرار مستمر، يبيت الحلو منه كالمرّ.

دعـــاء

يـــا ربّ يـــا ربُّ أنـــتَ الواحـــدُ الأحـــدُ ... أنـــتَ الإلـــهُ وأنـــتَ الفـــردُ والصـــمدُ

أنـــتَ الحلـــيمُ الـــذي مـــا خـــاب قاصـــدُه ... وهـــل ســـواكَ أيـــا مـــولايَ يُقتصَـــد

تُفـــرّج الضـــيقَ للمكـــروب في عجـــلٍ ... وواجـــبُ الحمـــدِ فيـــه الشـــكرُ يتّحـــد

أوليـــكَ حمـــداً عـــلى الوجـــدان مـــن عـــدمٍ ... حقّـــاً وغـــيرُكَ يـــا مـــولايَ لا أحـــد

عسى ـــ أرى يـــا إلهـــي منـــكَ مغفـــرةً ... يكـــون فيهـــا النعـــيمُ السرمـــد الأبـــد

إني أنـــا المـــذنبُ العـــاصي وقـــد كـــثرتْ ... منّـــي الـــذنوبُ ومنـــكَ العفـــوُ أرتفـــد

قـــد عـــادتِ الـــنفسُ في بغـــيٍ ومـــا خشـــيتْ ... عـــذابَ يـــومٍ بـــه النـــيرانُ تتّقـــد

يـــا نفـــسُ ويحَـــكِ كـــم هـــذا الضـــلالُ ومـــا ... في الحشر ـــ ينفـــع لا مـــالٌ ولا ولـــد

لقـــد جمعـــتِ مـــن الأوزار أقبحَهـــا ... وعـــدُّها ضـــاق عنـــه الحصرُ ـــ والعـــدد

مـــولايَ إني أنبـــتُ الآنَ مُرتجعـــاً ... فاقبـــلْ مَتـــابي فـــإني لـــيس لي جَلَـــد

تَشـــاعلَ الشـــيبُ في رأسي ونـــاحيتي ... وقـــد تَـــوهّنَ منـــي العظـــمُ والجســـد

فـــانظرْ لضـــعفي بعـــينِ اللطـــفِ مكرمـــةً ... أنـــتَ الكـــريمُ وأنـــتَ الغـــوثُ والســـند

فقـــد جعلـــتُ عليـــكَ اليـــومَ معتمـــدي ... يـــا مـــن عليـــكَ جميـــعُ الخلـــقِ تعتمـــد

أجـــبْ دعـــاءً لعبـــدٍ مِـــنْ لجاجتـــهِ ... خـــوفَ العـــذابِ مـــن الأهـــوال يرتعـــد

إن التوسّـــلَ في فضـــل الإلـــهِ لـــهُ ... شـــأنٌ عظـــيمٌ ومنـــه يحصـــل المـــدد

قضـــيتُ دهـــريَ في هـــمٍّ وفي كـــدرٍ ... حرصـــاً وفي خدمـــة الإخـــوان أجتهـــد

وراح عمـــري جهـــاداً في رضى وطنـــي ... فعـــاد منـــه نصـــيبي الهـــمُّ والنَّكَـــد

قال يقرظ المرأة الحسناء:

هـــــــذا كتـــــــاب جـــــــاءَ في عنوانـــــــهِ

بكـــــــر المعـــــاني مـــــن بـــــديع بيانـــــهِ

ياصـــــــاح متّـــــــع ناظريـــــــك بطرســـــــهِ

وانظـــــــر رعـــــــاك اللـــــــه في إتقانـــــــهِ

وأشـــــــهد لمنشـــــــئهِ الأديـــــــب بأنـــــــهُ

قـــــــد لاح بـــــــدر العلـــــــم في أفنانـــــــهِ

بســـــــتانهُ قـــــــد راح يرشـــــــدنا إلي

روح التمـــــــدن في هـــــــدي تبيانـــــــهِ

إن قـــــال شـــــعراً لم نـــــرس منـــــهُ ســـــوى

حســـــن البلاغـــــة مـــــن فصـــــيح لســـــانهِ

ونظيمـــــــهُ قـــــــد راح يفعـــــــل بـــــــالنهى

فعـــــــل الشـــــــمول بمغـــــــرم في حانـــــــهِ

للـــــــه درك يـــــــا ابـــــــن مـــــــراش إذا

شـــــــيَّدت بيـــــــت الشـــــــعر في أركانـــــــهِ

منـــــه القضـــــايا قـــــد أتـــــت بنتـــــائج

أغنـــــت قيـــــاس العلـــــم عـــــن برهانـــــهِ

حســـــان في عصرـــــ القـــــديم وأنـــــت قـــــد

أغنيـــــت هـــــذا العصرـــــ عـــــن حســـــانهِ

لـــــو كـــــان في نجـــــران قِـــــدماً لم يكـــــن

قـــــس الفصـــــاحة ســـــاد في أقرانـــــهِ

دونـــــت شـــــعراً مـــــا رأينـــــا مثلـــــهُ

نظـــــما ونـــــثراً مـــــن بـــــديع زمانـــــهِ

مـــــن حســـــنهِ أرخـــــت جـــــاد بطبعـــــه

مـــــرآة حســـــن أعلنـــــت عـــــن شـــــانهِ (كـــــذا)

1872

وقال وقد تعمد النجاس:

يـــــاجيرة البـــــان يـــــا جـــــيران جـــــيرونِ

جـــــرتم فمـــــن جـــــوركم هـــــلا تجـــــيروني

غبـــــتم فبـــــان اصـــــطباري يـــــوم بيـــــنكُم

متـــــى يكـــــون اللقـــــا يـــــا أعـــــين العـــــينِ

أطلـــــتم البعـــــد عـــــن صـــــب قضيـــــ كمـــــداً

فعـــــاد مـــــن بعـــــدكم في قلـــــب محـــــزونِ

أما عودته من بعد أن قضي فهي إحدى معجزاته ، وقال:

خـــــير المـــــدام بيـــــوم اللـــــهو والطـــــربِ

ســـــلافة حـــــدّثت عـــــن ســـــالف الحقـــــبِ

قديمـــــة العهـــــد مـــــن عـــــاد معتقـــــة

بالـــــدنِّ قـــــد ختمـــــت في لؤلـــــؤ رطـــــبِ

وافي بهـــــا الأغيـــــد الميمـــــون منعطفـــــاً

نحـــــو الرفـــــاق ولـــــون الكـــــأس كالـــــذهبِ

يـــــديرها قرقفـــــاً صرفـــــاً ويمزجهـــــا

مـــــن الرضـــــاب بمعســـــول مـــــن الشـــــنبِ

مـــــذاقها قـــــد حـــــلا بالشرـــــب قـــــد مزجـــــت

فمـــــن لمـــــاه غـــــدت أشـــــهي مـــــن الضرـــــبِ

يختـــــال عجبـــــاً وتيهـــــاً في معاطفـــــه

كغصـــــن بـــــان زهـــــي مـــــائس رطـــــبِ

ليـــــل بطرتـــــه صـــــبح بغرتـــــه

بـــــدر بطلعتـــــه بالحســـــن لم يغـــــبِ (كـــــذا)

ســـــحر بعينيـــــه عـــــن هـــــاروت مصـــــدره

جـــــاءت غرائبـــــهُ في أعجـــــب العجـــــبِ

وبهذا كفاية ،،،،

عبد المسيح الأنطاكي الحلبي[1]

(1) عبد المسيح الأنطاكي (1291-1342هـ) (1874- 1923م): عبد المسيح بن فتح الـلـه بن عبد المسيح الأنطاكي. ولد في مدينة حلب وتوفي في القاهرة. عاش حياته في سورية والهند والعراق والكويت ومصر. تعلم مبادئ العربية في حلب، ثم أقدم على صنعة القلم منذ حداثته، على الرغم من ضآلة بضاعته.

أقبل على المطالعة، فوقف على تاريخ العرب، ومعتقداتهم في الجاهلية، ووعى تاريخ المسلمين ومذاهبهم، وما قاله علماؤهم وفقهاؤهم، فأمده هذا بالقدرة على مواجهة المواقف ومرونة التكيف مع الأحوال الطارئة.بدأ حياته الأدبية في حلب؛ حيث أصدر مجلة «الشذور»، ثم هجرها قاصدًا مصر، فأنشأ جريدة «الشهباء»، التي حوّل اسمها إلى «العمران». سار على نهج بعض الشعراء القدامى الذين عاشوا في ظل الخلفاء؛ فرأى بعلاقته بالشيخ خزعل أمير شط العرب في المحمرة ومدحه له ما يمكن أن يجسد علاقة الشعراء بالخلفاء، فربط حياته بحياته، وقصر أكثر شعره على مدحه، كما زار الكويت ومدح شيخها مبارك الكبير، وحرّر سلسلة مقالات بالغ في وصف عمرانها ورخائها. حرص على أن يكون أدبه وسيلة للارتزاق وجمع الثروة.

- له ثلاثة دواوين هي: «عَرْف الخزام» - مصر 1902 (جميع قصائده في المديح - 144 صفحة)، و«القصيدة العلوية المباركة» وهي ملحمة في الإمام علي - مطبعة رعمسيس بالفجالة (ط1) - مصر 1920، ومنشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (ط2) - بيروت (لبنان) 1991 (مكونة من 5595 بيتًا - مع شروحها جاءت في 600 صفحة)، و«الدرر الحسان في منظومات ومدائح مولانا السلطان - معز السلطنة سردار أرفع سمو الشيخ خزعل خان»، ويتضمن مدائحه في شيخ إمارة المحمرة التي كانت تبسط سلطتها على منطقة شط العرب في اتجاه الشرق.

- له عدد من المؤلفات منها: «مطلع الميامين» - مصر 1903 ، (رحلة السلطان حسين في رياض المحمرة)، «الرياض الزاهرة بين الكويت والمحمرة»، «نيل الأماني في الدستور العثماني». شاعر مداح. فمعظم شعره في مدح الأمراء والسلاطين. كتب ملحمة شعرية عن سيرة الإمام علي ، وهي أول مطولة عربية ذات نفس ملحمي تبلغ هذا الطول مع الحفاظ على ذات الوزن والقافية. يمتاز بنفس شعري طويل، ويغلب على لغته طابع المباشرة الذي يجيء ملائمًا - فيما يبدو - لطبيعة السرد الشعري. يلتزم النهج التقليدي إطارًا لمدائحه. انظر:

1 - أحمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث .

2 - خيرالدين الزركلي: الأعلام .

3 - سامي الكيالي: الأدب المعاصر في سورية (1850 - 1950)).

سامي الكيالي: محاضرات عن الحركة الأدبية في حلب (1800 - 1950)

4- سليمان سليم البواب: موسوعة أعلام سورية في القرن العشرين .

5 - عبد القادر عياش : معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين (1911 - 1974)

6 - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين .

7 - مجلة الأقلام العراقية - يناير 1967 .

8- لويس شيخو: تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين

من شعره : من قصيدة: العلوية المباركة 0 تتمة قصيدة في المتن)

سِرْ في الأعـــــارب وانـــــزلْ في مغانيهـــــا ... واشـــــهرْ مكـــــارمَ باديهـــــا وقاريهـــــا

وصِـــفْ فـــإنَّ مجـــال الوصـــف ذو ســـعةٍ ... خلالهـــا الزهـــر مـــعْ ســـامي مباديهـــا

وأمـــةٌ خـــير مـــا تُسْـــمَى بـــه عـــربٌ ... إن رام تمجيـــدها يـــومٌ مســـمِّيها

وأنفـــسٌ حـــرةٌ مـــا اســـتُعْبدتْ وأبـــت ... أن تســـتذلّ لغيرالـــه باريهـــا

وهمّـــةٌ تطلـــب العليـــا وتطلبهـــا ... مـــا الـــدهرُ يُقعـــدها عنهـــا ويثنيهـــا

وعيشـــةٌ قـــد توخَّتْهـــا ... أجـــلى مظـــاهر أهليهـــا تآخيهـــا

والعُـــرْب مـــن قِـــدمٍ أســـمى الـــورى حســـبًا ... إذا رجعنـــا إلى تـــاريخ ماضـــيها

ويعـــربُ الجـــدّ مـــن عليـــاه قـــد بـــدأت ... تنمـــو ومـــا زال ربُّ العـــرش مُغْنيهـــا

وفي الجزيـــرة قـــد كانـــت منازلهـــا ال ... كُـــثرى وطـــاب لهـــا قـــاسي تثوِّيهـــا

مهامـــهٌ أمحلـــت محـــلاً ومـــا خصـــبتْ ... إلا بمـــن قـــد أفاضـــوا في مَواميهـــا

مـــا أنبتـــت شـــجرًا مـــا أثمـــرت ثمـــرًا ... لكـــنْ عقـــولاً تناهـــت في تســـاميها

هـــي الجزيـــرة لا أرضٌ تحاكيهـــا ... إن كـــان مجـــد الأراضي في أهاليهـــا

أمّـــا شـــمائلها الغَـــرّا التـــي بلغـــت ... بهـــا الفخـــارَ فلـــيس العـــدُّ - يُحصـــيها

فمـــن مكـــارم أخـــلاقٍ إلى كـــرمٍ ... إلى نفـــوسٍ تناهـــت في تعاليهـــا

إن عاهـــدتْ حفظـــتْ رغـــم الزمـــان عُهـــو ... دَ الأصـــدقاءِ وبـــالأرواح تفـــديها

وضـــيفُها لم يَهَـــبْ غـــدر الزمـــان بـــه ... حتـــى ولـــو كـــان مـــن أعـــدى أعاديهـــا

ســـادت وصـــالت وأبقـــت مـــن مفاخرهـــا ... أوابـــدًا لـــيس كـــرُّ الـــدهر ماحيهـــا

يثـــور ثائرهـــا إن نـــال واحـــدَها ... ســـوءٌ وكـــان الـــذي يؤذيـــه يؤذيهـــا

فـــإن يصـــح «وا نصـــيراه» رأى أُســـدًا ... سَـــلّت لقهـــر أعاديـــه مواضـــيها

تضـــامنٌ بـــين أفـــراد القبيلـــة لا ... يُبْقـــي عـــلى الضـــيم فـــردًا مـــن مواليهـــا

ومنـــــذ نشـــــأتها امتـــــازت معيشـــــتها ... عـــــن البريـــــة وحشِـــــيها وحَضَـــــريها

بالاشـــــتراكيّة الكـــــبرى فـــــلا رتـــــبٌ ... تُنْسي ذوي الجـــاه منهـــا عـــن أدانيهـــا

وإن أحكامهـــا شـــورى يصـــيخ لهـــا ... شـــيوخُها إذ تنـــادي مستشـــاريها

شـــورى إليهـــا انتهـــت مـــن جاهليتهـــا ... تاللـــه قـــد تَخِـــذَتْها عـــن قريشـــيها

واللـــه أنـــزل في القـــرآن آيتهـــا ال ... غَـــرّا لتُـــودِع عنهـــا مســـتبدّيها

العهد العربي

قـــد انصـــرف الحجّـــاج للـــه خُشّـــعا ... عـــلى عرفـــاتٍ مكـــثرين التضرُّـــعا

دعـــوا اللـــه في تأييـــد أمـــة يعـــربٍ ... وبشـــرى فـــإن اللـــه قـــد ســـمع الـــدُّعا

بجـــاه نبـــيٍّ إن تشـــفَّع كـــان في ... معـــارج أقـــداس الجنـــان المشـــفَّعا

ومـــا العُـــرب في الأضـــحى ســـوى خـــير أمـــةٍ ... لقـــد ســـلكت في شرعـــة اللـــه مهيعـــا

وعـــت دعـــوة التوحيـــد مـــن فـــم أحمـــد ال ... مفـــدّى الـــذي حاجـــاتِ أمتـــه وعـــى

وفي بركـــات المصـــطفى وكتابـــه ... لقـــد أزهـــر العمـــرانُ فيهـــا وأينعـــا

فباتـــت ومـــا في الكـــون أعـــلى مكانـــةً ... وأســـمى مقامًـــا مـــن علاهـــا وموقعـــا

ففـــي الحـــرب إن كـــرّت يـــذلّ عـــداتها ... إليهـــا ويأتوهـــا صِـــغارًا وخُضّـــعا

وفي الســـلم قـــد شـــادت إلى المجـــد والعـــلا ... مـــع العـــزّ والإقبـــال والعلـــم مربعـــا

ســـقى اللـــه عهـــدًا للأعـــارب مُزهـــرًا ... بـــه بلغـــوا شـــأوًا مـــن المجـــد أرفعـــا

تُحـــدّثنا عنـــه الحجـــازُ التـــي بهـــا ... لهـــدي الـــورى الـــرحمنُ للمصـــطفى دعـــا

وســـوريةٌ إذا أصـــبحت بأميّـــةٍ ... مقـــرَّ فخـــار العـــاربين المشعشـــعا

وأرضُ العـــراقَيْنِ التـــي بلغـــت مـــدى ال ... عـــلا ببنـــي العبـــاس لـــن يتضعضـــعا

وأنـــدلسُ الزهـــر التـــي قـــد رأى بهـــا ال ... أعـــاجمُ فـــوق العـــرش بـــالعُرْب تُبّعـــا

كـــذا المغـــرب الأقصى وفـــه خلافـــة ال ... فـــواطمِ قـــد عـــزّت أصـــولاً ومَفرعـــا

خلائـــفُ لـــولا الـــتركُ مـــا ضـــاع مجـــدهم ... ومـــا بـــات مـــنهم عـــامر العُـــرْب بلقعـــا

ومـــا باتـــتِ الأعـــراب بعـــد فخـــارهم ... وثـــروتهم يشـــكون ذلاً ومـــدقعا

تـــدفّق ســـيل الـــترك في ملـــك يعـــربٍ ... فخـــرّب عمرانًـــا وفـــرّق مجمعـــا

وضعضـــع علـــمًا كـــان بـــالعُرْب مزهـــرًا ... وضـــيّع آدابًـــا وبـــدّد مصـــنعا

قفـــا بي عـــلى أطـــلال أمـــلاك يعـــربٍ ... خلـــيليَّ نـــبكي للأعـــزة مخنعـــا

ونـــرثي فتســـتبكي الغـــمام تمـــدنًا ... ذوى غصـــنه مـــن بعـــدما كـــان مُونعـــا

وننـــدب جاهًـــا قـــد جنتـــه جـــدودنا ... ببـــيض الظُّبـــا نَـــدْبًا ألـــيمًا ومُوجعـــا

ولد بحلب سنة 1874 وتوفي في مصر سنة 1923

هو عبد المسيح بن فتح الـلـه الأنطاكي الحلبي ، كان أبو فتح الـلـه المـذكور أول مـن تعـاطي صناعة المحاماه أمام المحاكم في حلب ، وكان جريئاً عارفاً بالقوانين التركية وهو نفسه ولد بحلب.

وعبد المسيح ربعة إلي القِصر، دموي عصبي المزاج، أبيض اللون، أشـقر الشـعر، ملـيح الوجـه، متناسب الأعضاء، ممتلئ الجسم إلي السمن، طيـب السرـيرة، ملسـانُ، خفيـف الـروح، ذكي الفـؤاد، عذب المفاكهة.

درس مبادئ العربية في حلب، وأقدم علي صناعة القلم منذ حداثته، وهـو لا يملـك منهـا غـير الإسم، فأنشأ مجلة سماها الشذور، وقرض الشعر وهو لا يعلم من موازينه إلا ما تزنه أذنـه، ولمـا لم يجد رواجا لمجلته في حلب تحت سماء الحكومة التركية لعهد السلطان عبد الحميد، سار عن وطنـه ودخل مدينة الأهرام، كما دخل صنعاءَ الحارث بن همام، خاوي الوفاض، بادي الأنفاض، فنشر فيهـا جريدة سماها العمران، وراح يقارع صروف الزمان، ولم يزل الدهر يلحُّ عليهِ في وثباته، وهو يصارعه بجد أقدامه وثباته، حتي لانت لهُ بعد خشـونتها الأيـام، وحققـت آمالـه وكانـت في عـداد الأوهـام، فأطاعته صناعة القلم، وكتب ونظم، وأقبل علي المطالعة حتي وقف علي تأريخ العرب ومعتقداتهم في الجاهلية، ووعي تأريخ الإسلام ومـذاهبهم ومـا قالـهُ علماؤهـم وفقهـاؤهم، ثـم حـوَّل صـحيفته العمران إلي مجَّلة كان يبعث بها إلي أقصي بلاد العرب والإسلام في الهند والصين وخليج العجم، ومال فيها إلي رأي الشيعة، وكان منذ صغره ذا قريحة وزّانه، يسهل عليه النظم، فنظم مـدحاً كثـيراً طعـن بسببه عليه، ولكن الحالة دفعته إليه، فكان يعتذر عن ذلك بقول الحريري:

تعارجت لا رغبة في العَرجْ ولكن لأقرع باب الفَرَجْ

وخير نظمه قصيدة سماها العلوية، أظنها تبلغ عـدة آلاف مـن الأبيـات ، وهـي تـأريخ حيـاة الإمام علي - رضي الـلـه عنه - وما جري له مـع الخلفـاء الراشدين،نشرها في مجلـة العمـران تباعـاً، وعززها بأقوال الأئمة من الشيعة وبعض السنّة.

وساح في الأرض كثيراً ، فطاف بكثير من جهات الهند ، ودخل عائداً بها إلي بغداد علي عهد حاكمها ناظم باشا عقيب خلع عبد الحميد، فاتهمه الحاكم المشار إليه ببث الروح العربية لضلعه مع حاكم الكويت، فأمره بالرحيل عن بغداد، وكان وقف جريدته العمران علي مدائح الشيخ مبارك بن الصباح حاكم الكويت المومأ إليه، ثم طاف أكثر أوربا، ومن غريب أمره وعجيب ذكائه، أنه قضي في طوافه ذاك بعض الحاجات السياسية لبعض أمراء العرب في جهات عدن من شراء سلاح ومدافع ووثقها إلي طالبها وهو أمر محظور في أوربا ولا سيما المدافع. كل ذلك وهو لا يعرف كلمة من اللغات الأعجمية ، وظل حتي وفاته ينتمي إلي خدمة الأمير خزعل خان من أمراء شط العرب في المحمرة وسماه شاعره.

رأيناه في مصر في سنتي 1906 و 1907 ثم رأيناه فيها سنة 1920 وحمدنا في السفرين ملتقاه، فهو نشيط عمول، لا يعرف دعة، دمث الطبع، رضي الأخلاق، حميد العشرة، ينصرف إلي خدمة صديقه بغير تكلف ولا منن.

وإليك شيئاً من شعره .

قال من قصيدة:

ولـــذّة جمـــع المـــال لا شـــئ مثلهـــا

لـــدي كـــل حـــرّ قبـــل قـــد عـــالج الفقـــرا

وإن الـــــذي يجنـــــي النضـــــار فأنـــــهُ

جنـــي معـــه الإعـــزاز والجـــاه والقـــدرا

وأمسي لـــه صـــدر المجـــالس والمـــلا

لتفخـــر أمـــاً حـــلّ مـــن بينهـــا الصـــدرا

ومن القصيدة العلوية:

وقـــــال للمرتضى ربّ الـــــذكا عمـــــرُ

مقالـــــةً قـــــال قـــــبلا مـــــا يضـــــاهيها

أرادك الحـــــق لكـــــنّ الأنـــــام أبـــــت

تلـــــك الإرادة نـــــادى المرتضى إليهـــــا

خفّـــض عليـــك أبـــا حفـــص بحقـــك مـــن

هنـــا ومـــن ههنـــا الأقـــوالَ تلقيهـــا

فأنمـــا كـــان يـــوم الفصـــل عنـــدي ميقاتـــاً

وأحوالـــــــــــهُ أدري خوافيهـــــــــــا

فـــــدق كفّـــــاً بكـــــف ســـــاهياً عمـــــر

بنظـــــرة للـــــثري قـــــد راح يلقيهـــــا

وســـــار تتبعـــــه أصـــــحابه وعـــــلي

عـــــاد للخلـــــوة المحمـــــود راضـــــيها

وبهذا القدر كفاية.

ومن طرائف النوادر، التي يحسن تخليدها في بطون الدفاتر، ما حدثنا به عند تلاقينا في شتاء سنة 1920 ، وكنا سألناه عن أحد مواطنينا فأجاب أن فلان (بهدلنا) يريد أخجلنا وحقرنا وأخزانا، قلنا ولمَ ذلك، قال لأنهُ منذ حلوله بمصر- لم يترك كريماً إلا وتنديّ كفيه، بل لم ينج عمدة في ضواحيها من يديه، ولم يبق غني إلا وأندي عليه، ولم يكفهِ كلُّ ذلك حتي أستوكف برّي زاعماً أنه يجمع صدقة لأيتام ذوي فاقة، فنفحته خمس جنيهات لسلامة صدري، فما كان منه إلا أن جعلها رأس مال يتبجح به بين القوم وراح يقوم هل تصدقون أن عبد المسيح يقتنص (يبلص) فقد اعتصرت منهُ خمس

جنيهات وكيتَ وكيت، كأن لم تكفه فعلته، فأراد أن يزيد الطين بله بتشهيري وتشهير براعته ، وكـان رحمه الـلـه يحدثنا وهو في أشد حال من الألم والغيظ، ونحن لم نكن نتمالكُ من فرط الضحك.

الخوري جرجس الدلاَّلة أوالدلاَّل

ولد بحلب في السنه .... وتوفي بها السنة 1894

هو ركن من أركان العلم، وأية في السذاجة والزهد والحلم، كان ثقة إماماً في كثير من علوم اللسان، كالنحو والصرف والعروض والبيان، قرأنا عليه علم العروض، ونرى ثنائنا عليه من أقدس الفروض.

تلقي علومه في مدرسة دير الشرفة بلبنان ، ثم عاد إلي حلب وسيم شماساً ودرس في مدرسة طائفته السريانية وغيرها، وكان يكتب للشاعر المشهور فرنسيس المراش بعد فقد بصره في جملة من كان يستطيع بهم الشاعر المذكور علي الكتابة، وكنا في فتوتنا حضرنا بعضا من تلك المجالس، إذ كنا بإغراء المترجم عليه نقصد إلي دار المراش ليسمح لهُ بالانصراف إلي مدرستنا في ختام الساعة المتفق عليها بينهما، ولكن هذه الحيلة لم تهدِ إلي المقصود، إذ كان يتعذر عليه الانصراف في كثير من الأيام، لرغبة المراش في إتمام ما بدأ به من نظم أو نثر، ولم يكن يجسر أحد منا علي مطالبته بذلك.

وكانت تلك المجالس مجالس فضل وفكاهة، لما كان يتخللها من الأحاديث المضحكة والنوادر البديهة، ولا سيما جمعها بين الأضداد في الطبائع، فقد كان المراش عصبي المزاج إلي الغاية القصوى ،متلهب الذكاء حديد الفهم، حاد البادرة، سريع الغضب، سريع الفيئة، وكان الشماس واسع الحيل، بعيد الأناة، لا يستفزه نزق، فإذا أخطأ المراش فنده لسذاجته بنبرةً وتصريح دون تعريض أوتورية، كأن يقول هذا مما منعهُ الحريري في درة الغواص، فيرشق المراش عثنون الحريري برشقه لو أصابته حيا، لوجب عليه الغسل سبعاً في سبع، فيقول الشماس والقاعدة كما جوف الفرا تخالف ما قلت، فيبعث المراش إلي جوف الشمّاس، بما لا يرى عليه جواباً غير الإبلاس، ثم تأخذ الشمّاس الحدّة فيقول أيش معني هذا الكلام، وهل شتمك وسبك يصير قاعدة، فتنقلب حدّة المرّاش إلي ضحك، إذ يسمع قهقهة الحاضرين في فرط ضحكهم، ثم ينفرط عقد المجلس.

ولهُ رحمة الله شعر قليل وجلّه في الزهد، ولم يصل إلينا منه غير مطلعي قصيدتين،

فالأول:

قـــد أقبـــل العيـــد يزهـــو في ســـنا الطفـــلِ

زهـــــوَ المفـــــاخر بـــــالأقوال فالعمـــــلِ

والثاني:

أري الـــدنيا بهاهـــا لا يطـــولُ وزخرفهـــا برمتـــهِ يـــزولُ

وله روايات : كشف البأساء في قصّة الخرساء، عرّبها عن الفرنسوية ، والنفح العاطر في الفتي المهاجر، وإحسان الإنسان ، وغير ذلك من المعرب.

وكان ربعة إلي الطول، ممتلئ الجسم، دموي المزاج، أبيض اللون أسود الشعر والعينين صغيرهما، صغير الأنف والرأس، مرتفع الجبهة، بطئ الحركة، شديد القناعة، يحفظ على رأس لسانه كتابي جوف الفرا والجمانة في النحو والصرف.

السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي[1]

(1) أبوالهدى الصيّادي (1266 - 1327هـ) (1849-1909م) : محمد بن حسن بن وادي المنسوب إلى الإمام الرفاعي. ولد في بلدة خان شيخون (من أعمال معرة النعمان - سورية)، وتوفي في جزيرة الأمراء (تركيا). عاش في سورية وتركيا. درس في بلدة خان شيخون القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وفي مدرسة دينية بحلب درس العلوم الشرعية والأدب، وتذكر بعض المصادر أنه قصد بغداد لاستكمال تعليمه الديني. بدأ في حلب شاعراً مداحاً، ومتصوفاً «شيخ طريقة»، وعمل في محكمة ولاية سورية. تولى نقابة الأشراف في مسقط رأسه، ثم في حلب، إلى أن أصبح مشرفاً على نقباء الأشراف في سورية وديار بكر وبغداد والبصرة ثم: رئيس مجلس المشايخ في دار الخلافة في عهد السلطان عبدالحميد. كان داعية للالتفاف حول الخلافة العثمانية والسلطان عبدالحميد.

- له من الدواوين:«قرة العين» المطبعة العثمانية - القسطنطينية 1302هـ/ 1884م و«تشطير البردة» المطبعة الحلمية - الإسكندرية 1894، و«الروض البسيم» (د. ن. م) 1322هـ/ 1904م، و«روضة العرفان» القاهرة 1904 (د. ن)، و«وسيلة العارفين» دار البشائر - دمشق 2005،

- له رسائل (بحوث) حول أقطاب التصوف، وأسلافه الرفاعية، وكتاب: «داعي الرشاد لسبيل الاتحاد والانقياد» وهو دعوة للالتفاف حول السلطنة العثمانية، والولاء للسلطان عبدالحميد. شاعر يمتح من ثقافة دينية تراثية واسعة ومحافظة، أحاسيسه الشعرية صوفية، أبحره وقوافيه تخضع لإحساس بالموسيقا، وتقوم على معرفة وعلم بالأنغام وضروب الإيقاع الموسيقي، شعره يميل إلى الحزن بإيقاع متوافق مع إيقاع «دفوف» الرقص الصوفي في حلقات الأذكار، وعليه يجري مجرى البحر الشعري وقافية القصيدة. نال من السلطان عبدالحميد: النيشان المجيدي، ورتبة قضاء عسكر الروملي، وهما من أرفع الرتب في دولة الخلافة العثمانية. حين خُلع السلطان عبدالحميد طارد رجال حزب الاتحاد والترقي بطانته وأنصاره، فسجن الصيادي وصودرت ممتلكاته ففقد الكثير من مؤلفاته. في عام 1937 تم نقل رفاته إلى حلب ودفن في الزاوية العيادية. انظر:

1 - أدهم آل جندي: أعلام الأدب والفن .

2 - خيرالدين الزركلي - الأعلام .

3 - منير مشابك موسى: الفكر العربي في العصر الحديث

من شعره : سادتي أهل الولاية

دارَ السرورُ بنا مع الأوقاتِ ... والخيرُ في الحركات والسكناتِ

قلنا بتوحيد الإلهِ وقدسهِ ... فرداً بعزّ صفاته والذات

ونبيُّنا شرفُ الوجودِ المصطفى ... بحرُ الكمالِ وعلّةُ الذرّات

وإمامُنا الغوثُ الرفاعيّ الذي ... تُنمى إليه خوارقُ العادات

والسيّدُ المهديّ عِقدُ نظامنا ... شيخُ الزمانِ الطيّبُ النفحات

ولنا يدُ الأمدادِ من رجب العلا ... ومن الرضا حَسَنٍ أبي البركات

ومن ابن خيرِ الله ذي النسبِ الذي ... حفلتْ به غُرٌّ من السادات

قومٌ متى دارت بنا أخبارُهم ... فعلتْ كدَوْر الراحِ بالكاسات

يا سادتي والعهدُ أعظمُ ملحقٍ ... بجنابكم يا نجدتي وحُماتي

لكمُ الولايةُ حلّةٌ مرموقةٌ ... بلطائف الأسرارِ والآيات

ولكم يدُ التصريفِ صحَّ نِظامُها ... أبداً بحكم المحوِ والإثبات

وبكم بدا سرُّ الطريقِ لأهلهِ ... وجلالُ هذا الشأنِ في الحَضَرات

عاداتُكم غَوثي ورفعةُ مظهري ... لا تقطعوا العاداتِ يا ساداتي

الإمداد والإسعاد

قتلَ الأعداءَ يا هندُ الحسدْ ... وبداء الحقدِ ماتوا عن كمدْ

غالبوا الله بزعمٍ خائبٍ ... خسئوا لن يغلبَ الله أحد

كم أرادوا بالتجرّي قطعَ حَبْ ... لي وحبلُ الله لم يقطعه شَد

نفخوا كي يُطفئوا نُوري فأعْ ... طاهُ مولايَ ضياءً فاتّقد

وأرادوا هدمَ مجدي فعلا ... بيد الله وظلّوا بالنكد

مُحِقوا غيظاً وراحوا شِيَعاً ... كلُّهم في جِيده حبلُ مَسَد

قام عن فلسفةٍ ساحرُهم ... مُبرِماً ينفث مكراً في العُقَد

فقضى بالخزي مطموساً إلى ... حيث ألقتْ رحلَها أمُّ لُبَد

حاربوا الله ورامُوا عنوةً ... وضعَ من أعلاه بئسَ المعتقد

ينصر الله تعالى عبدَه ... بالتجلّي لا بجيشٍ وعُدَد

ويُذلّ الخصمَ في عِزّتهِ ... فيُرى بالحال ممحوقَ الجسد

هكذا نصرةُ مولانا لمن ... طهّرَ السرَّ وللهِ استمد

ولد سنة 1266 وتوفي سنة 1328

1849 -1909

فرد من أفراد الدهر، وعَلم أعلام العرب في العصر، بل إنسان عين النباهة والفضل، وعنوان المحاسن والظرف والنبل، جري في المجد والجاه إلي أبعد الغايات، وانقطع عن شأوه كل سّباق في المجاراة، ومشي وراء خطواته الوزراء والكبراء، قبل

فـــاطربي يـــا هنـــدُ إني رجـــلٌ ... خـــالصُ القلـــبِ عـــلى اللـــه اعتمـــد

وَجّـــهَ الوجـــهَ لـــه مُنقطِعـــاً ... عـــن سِـــواهُ قـــام زَعْـــماً أو قعـــد

واحتمـــى بالهاشـــميّ المصـــطفى ... ســـيّدِ الأكـــوانِ مصـــباحِ الرَّشَـــد

وانتمـــى لابـــن الرفـــاعيّ الـــذي ... جـــدُّه مَـــدَّ لـــه أكـــرمَ يـــد

لم يـــرَ التـــأثيرَ إلا للـــذي ... بســـط الأرضَ عـــلى مـــاءٍ جَمَـــد

ويـــرى جـــاهَ التهـــاميّ يـــداً ... تُوصـــل العبـــدَ إلى عـــزّ الأبـــد

ويـــرى شـــيخَ العريجـــا قـــدوةً ... برســـول اللـــه موصـــولَ الســـند

جاهُـــه العـــالي مـــلاذي أبـــداً ... إنمـــا الوالـــدُ يحمـــي للولـــد

تهـــزأ العـــينُ بآســـاد الشرى ... بعـــد أن حلّـــتْ حِمـــى ذاك الأســـد

كـــم لـــه مـــن هِمّـــةٍ فعّالـــةٍ ... كـــم بـــإذن اللـــه حلّـــتْ مـــن عُقَـــد

وِزْدْ أهـــلِ اللـــه إنْ خطـــبٌ ... يـــا رفـــاعي يـــا أبـــا العرجـــا المـــدد

من قصيدة: علّمتني علم الهوى

مـــا للقلـــوب مـــن العيـــون أمـــانُ ... هـــي محنـــةٌ وفتورُهـــا فتّـــانُ

تـــدع الهزبـــرَ أســـيرَها ولكـــم نـــرى ... مـــن ضـــيغمٍ فتكـــتْ بـــه الأجفـــان

يـــا صـــاحبَ الطـــرفِ الكحيـــل ارفـــقْ بمـــن ... هـــو مـــن صـــدودكَ والنـــوى حَـــيْران

رصّـــعتَه بنبـــال طرفـــكَ فـــانبرى ... مُضـــنىً وفي أحشـــائه نِـــيران

يـــبكي ويُذهلـــه الغـــرامُ فقلبُـــه ... في لوعـــةٍ وجميعُـــه أشـــجان

قامـــت قيامتُـــه لهجـــركَ والهـــوى ... صـــعبٌ وأيـــامُ البعـــاد خِشـــان

يـــا ســـاكناً قلـــبَ الولـــوهِ وفي القلـــو ... بِ كشـــأنها ومرامهـــا الســـكّان

لي أيْ وحقِّـــك لهفـــةٌ مطويّـــةٌ ... لـــكَ في الضـــمير عـــن الضـــمير تُصـــان

فـــإذا ذُكِـــرتَ فكـــلُّ عينـــي مَســـمعٌ ... وإذا بـــرزتَ فقـــالبي إنســـان

يديه أعيان العصر- والأمراء، وانفرد عن الأشباه والنظراء، فظل في صحابة عبد الحميد بقاعة السلاطين في آل عثمان، زهاء ثلاثين سنة في الصعود متوالٍ ورفعة مكان، ولم ينل أحد من الأمة العربية لا بل التركية، ما نالهُ عنده من المنزلة الرفيعة والحظوة السنية، وكانت حضرته يومئذ في القسطنطينية قبلة ذوي الآمال من القصاد، مثابة الغرباء علي اختلاف الأجناس من أقصي- البلاد، فكنت تري أبناء الهند والصين والأفغان، ومراكش ومصر- والسودان، إلي غيرهم من أجناس الأمم المنتشرة في أبعد جهات أسيا وأفريقيا، بل كثيراً من عظماء الفرنجة يؤمون تلك الحضرة ، للتحدث في بلادهم بمشاهدتهم الرجل الذي طبقت شهرته سائر عروش الممالك.

وكان وافر الحظ، ساحر اللفظ، طلق اللسان، حلو البيان، ثبت الجنان فإذا أفاض في كلامه ملك أعنةّ القلوب وأسر النواظر، فكأن كل إنسان منها مسمع مجذوب، وكان بعيد غور الحلم، صادق الفراسة والحكم.

وكان عقلهُ فوق علمه، وحفظه وذكاءه كسرعة فهمه، ونثره - ولا سيما في الإخوانيات وغيرها من رسائله- خير من شعره، ونظمه المشهور كلّه في المدائح النبوية، وهو مطبوع ، ولهً تأليفات كثيرة مطبوعة وجلّها في إثبات نسبه الرفاعي، وتكذيب من أنكره عليه، ومن مروياتهِ ديوان الروّاس (وهو مطبوع) وكان يقول أنهُ شيخهُ وعنهُ أخذ العلم، ويقول بعض الناس أن الرواس اسم وضعه هو لمسمي لم يوجد، وأن الديوان الذي رواه ونسبه إليه، هو نظمه، ولعله أقل تكلّفاً من ديوانه، والنسج واحد، فإن صحت رواية المفكرين كان نظمه ديوانه بعد نظمه ديوان الرواس، أو لعله أخرى مجهولة.

كان تام الطول، مكتنز اللحم، ممتلئ البدن، صُلب العضل، غليظ الألواح، عريض المنكبين، أسمر اللون إلي الخضرة، مستدير الوجه ممتلئة، أسود الشعر (أخر العهد به سنة 1898) حسن الملامح، جذاب الجملة.

ولد في خان شيخون قرية من أعمال حلب، ولعله تأدب في هذه المدينة إذ أقام فيها منذ فتوته، وورد بغداد وأقام بها أشهراً ثم رحل إلي القسطنطينية ووافاه بها السعد

الأتم، ولما هجم الاتحاديون علي قصر السلطان عبد الحميد هجموا في الساعة عينها علي قصر السيد المشار إليه، وكان في سريره يعاني مضض الداء الذي أودي به، فلم يقف ذلك في سبيلهم، بل أمروا بنقله علي سريره إلي جزيرة (الأمراء) برينكيبو فظل بها بعض أشهر في فراشه حتي وافتهُ منيّتهُ رحمه الله، وجاد بسحائب الرضوان علي ثراه.

وهذا شئ من شعره:

يعـــــاركني الزمـــــان كـــــما يشـــــاء

وبي للحـــــــزن نشرُ ـــــــ وانطـــــــواءُ

ولي قلـــــب عبـــــثن بـــــهِ الليـــــالي

بفقـــــــد أحبتـــــــي والفقـــــــد داء

فـــــأي مسر ـــــة تحلـــــو لقلبـــــي

ولـــــون المـــــاء يـــــبرزه الإنـــــاء

تهاجمـــــت الهمـــــوم عـــــليَّ حتـــــي

جـــــرت عينـــــي ومـــــدمعها دمـــــاء

وأوقـــــات مـــــع الأحبـــــاب مـــــرَّت

عسي ـــــ لا راع بُرهتهـــــا انقضـــــاء

وقال يفتخر:

كيـــــف لا تزدهـــــي بنـــــا العليـــــاءُ

ولنـــــــا المجـــــــد طينـــــــة ورداء

أمَّـــــة خـــــير أمـــــة أخرجـــــت للنـــــاس

والنـــــــاس بعـــــــدها أكفـــــــاء

قـــام منهـــا في الأعصر ـــ الســـود أقـــمارُ

رجـــــال لهـــــا الشـــــموس حـــــذاء

ومنها:

أرهبـــــوا الأرض حـــــين صـــــالوا وظلـــــت

تشـــــــكر الأرض فعلهـــــــم والســـــــماء

ولكـــــم حيـــــنما رحـــــى الحـــــرب دارت

ســـــجدت حـــــال أرعـــــدوا الهيجـــــاء

وتســـــاوي بطاعـــــة الأمـــــر مـــــنهم

في الـــــــورى الأقربـــــــاء والبُعـــــــداء

ومنها:

شرف المرســـــلين معنـــــي نصـــــوص

لاح منهـــــا المحجَّـــــة البيضـــــاء

نكتـــــة الأصـــــل روح جســـــم فـــــروع

الكـــــون نـــــور بهديـــــه يستضـــــاء

طلســـــم العلـــــم في ضـــــمير جنـــــابِ

أحـــــرزت علمهـــــا بـــــهِ العلـــــماء

وقال:

للـــــه مـــــن ريـــــمِ الحجـــــون شرودِ

لهفـــــاً عليـــــه هجـــــرت طيـــــب رقـــــودي

يرنـــــو ويرمـــــي مـــــن قسيّـــــ حواجـــــب

نبـــــل الجفـــــون بقلبـــــي المكمـــــودِ

أفديـــــه مكحـــــولاً تحكّـــــم ســـــهمه

مّنـــــي بقلـــــب حـــــاضر مفقـــــودِ

يـــــا للرجـــــال تـــــرحماً بمتـــــيمِ

أنـــا مغـــــرم كـــم صـــــاغ ضـــمن نظامـــه

أفنـــــــت معالمـــــــهُ ظبـــــــاء زرود

بـــــيض المعـــــاني في العيـــــون الســـــودِ

أهـــــوي الجميـــــل وإن أقمـــــت مـــــع النـــــوى

بيـــــد البعـــــاد مسرـــــبلاً بقيـــــودِ

وقال وأحسن كلَّ الإحسان:

مـــــا الـــــذي أصـــــنع بـــــالنفس الأبيـــــةّ

تطلـــــب المجـــــد ولا تخشيـــــ المنيـــــةّ

وتـــــري أن المعـــــالي تُبتغـــــي

بكـــــمالات وأخـــــلاق زكيـــــةّ

مـــــا عليهـــــا لومـــــع الـــــبعض أرتـــــدت

لمنـــــال القصـــــد أثوابـــــاً دنيّـــــة

طُبعـــــت قـــــدماً مـــــع الخلـــــق عـــــلى

همـــــم لـــــو ســـــاعة الحـــــظ عليّـــــه

تعشـــــــق المعـــــــروف للنـــــــاس وإن

قوبلـــــــت عنـــــــه بـــــــأنواع الأذيّـــــــه

وتكـــــــفّ الســـــــؤ عـــــــن حســـــــادها

لرضـــــا الـــــرحمن عـــــن خـــــالص نيّـــــه

وتحـــــبّ البـــــذل مـــــن مـــــا وجـــــدت

وتـــــــر الـــــــنقص إذا أبقـــــــت بقيـــــــه

ومنها:

قنعـــــت فالتحفـــــت ثـــــوب الغنـــــى

كـــــلّ نفـــــس قنعـــــت تلـــــك غنيـــــه

وأعنـــــــائي هـــــــذهِ متعبتـــــــي

إنمـــــا الـــــنفس أذا عـــــزّت بليّـــــه

تكـــــره الـــــذل وترجـــــو أنهـــــا

تبلـــــغ العليـــــا بخلـــــقٍ وســـــجيه

شرفـــــت نهجـــــاً فلـــــما عظمـــــت

رتبـــــة صـــــارت مـــــن المـــــال خليّـــــه

وزمـــــانِ يالـــــهُ مـــــن زمـــــنِ

أهلـــــهُ ســـــاءوا بحكـــــم الأغلبيـــــة

وبهذا القدر كفاية.

نقولاكي كبابه[1]

(1) نقولاكي كبّابة (1290 -1342هـ) (1873- 1923م): نقولاكي بن نصرالـله كبابة. ولد في مدينة حلب، وفيها توفي، وقضى حياته في سورية. تلقى تعليمه في المدرسة الأسقفية للروم الملكيين في حلب، وتعلم العربية والفرنسية وأجادهما، وكان يكتب بهما، وقد مال إلى قراءة الشعر العربي، وتأثر به.

عمل بالتجارة مدة لم يوفق خلالها، ولما ضاقت به أحوال الحياة أنهى حياته منتحرًا بالسم، وقد كان دمثًا طيب العشرة خفيف الظل، وإن يكن ضئيل الحجم عصبيّ المزاج.

- له قصائد نشرت في مجلة الشعلة (الحلبية). شاعر أخلاقي النزعة، لم تتسع تجربته الشعرية لكثير من القضايا، وتكاد قصائده تنحصر في موضوعات مثل الأسرة، وتكوين الأبناء وتشكيلهم، ودور الصحافة وأثرها في المجتمع الحديث. اتبع منهج الخليل، واستمد من القصيدة العربية التقليدية قوانين تشكلها، واكتسب من حياته العملية خبرة منحته القدرة على أن يبث الحكمة في ثنايا قصائده ومقطوعاته، وقد ألحقت هذه النزعة الوعظية بشعره الكثير من الجفاف والمباشرة في الإفضاء بالمعنى. انظر : مجلة الشعلة - السنة الأولى 1920- 1921.

من شعره : أحيوا الصحافة

من ينشدِ الإصلاحَ من يبدي الحَقَّا ... ئقَ للملا أو من يزيل ضلالا؟

من ردّ أقوامًا هَوَوا من جهلهم ... واسترسلوا في غيّهم أجيالا؟

من كان للأقوام أكبر واعظٍ ... ومهذِّبٍ كي يُحْسنوا الأعمالا؟

من حبَّبَ الحق المبين إلى الملا ... فعلاً وساد وأنعش الآمالا؟

من قاوم الجهل الذّريع بشدةٍ؟ ... لو ساد كان مصيبةً ووبالا

غيرُ الصحافة فهْي أصدق ناصحٍ ... للناس يدرأ عنهمُ الأهوالا

غيرُ الصحافة فهي تردع من أتى ... ظلمًا وعن سُبُل الهداية مالا

غير الصحافة أهملت ما بالكم ... في حبها لاتبذلون المالا؟

لولا الصحافة ليس ينكر فضلها ال ... مشهود لم تسر في البلاد رجالا

من رام إصلاحًا له ولقومه ... من دونها فلقد أراد محالا

نادى الذي حبّاً بخير بلاده ... يولي النصيحة فاسمعوا ما قالا

أحيوا الصحافة وانشروا أعلامها ... بالله لا تنسَوْا لها الأفضالا

هذِّبوا المرأة (تتمة قصيدة في المتن)

صَـــــدَقَ الكتّـــــاب في نصْـــــحٍ لهـــــم ... وأتـــــــت أقلامهـــــــم بالنخـــــــبِ

اِحفظـــــوا أقـــــوالهم طـــــول المـــــدى ... وانشرـــــــوها في ســـــــجلِّ الحقـــــــب

كلـــــماتٌ مـــــنهُمُ يـــــا ليتهـــــا ... كُتبـــــتْ يومًـــــا بمـــــاء الـــــذهب

هـــــي أولى لـــــو عـــــرفتم سرّهـــــا ... مـــــن عظـــــاتٍ ألقيـــــتْ أو خطـــــب

هـــــذّبوا المـــــرأة يَســـــعَدْ وطـــــنٌ ... وابـــــذلوا السّـــــعيَ لنيـــــل الأرب

واجعلـــــوا تعليمهـــــا ديـــــدنَكم ... تـــــأمنوا شرّاً سريـــــع اللـــــهب

بارتقـــــا المـــــرأة ترقـــــى أمـــــةٌ ... لقيـــــتْ لـــــولاه ســـــود النـــــوب

إن قومًـــــا أهملـــــوا تهـــــذيبها ... لا يـــــرون العمـــــر غـــــير النكـــــب

إن رأيـــــت الجهـــــل فيهـــــا ســـــائدًا ... أســـــبلِ الـــــدمع وصِـــــحْ بـــــالحَرَب

حالـــــةُ المـــــرأة في أقطارنـــــا ... أســـــفًا ســـــاءت فيـــــا للعجـــــب

عابهـــــا جهـــــلٌ فكـــــم مـــــن آســـــفٍ ... كـــــمْ وكـــــم راثٍ لهـــــا منتحـــــب

زينـــــة المـــــرأة علـــــمٌ وحِجًـــــى ... بهـــــما تفخـــــر لا بالحســـــب

إن تريـــــدوا اليـــــوم إصـــــلاحًا لهـــــا ... كي تفـــــوزوا برجـــــالٍ نُجُـــــب

فابـــــذلوا المجهـــــودَ في تثقيفهـــــا ... هـــــو خـــــيرٌ مـــــن غنـــــى مُكتسَـــــب

علموا أولادكم (تتمة قصيدة في المتن)

حكمـــــةٌ ســـــاطعةٌ تَهـــــدي الـــــورى ... نعمـــــةٌ جـــــاءت لقـــــوم يعقلـــــونْ

فضْـــــلها البـــــاهر قـــــد عـــــمّ الملا ... بســـــناها يســـــتنير العـــــالمون

إن قومًـــــا لم تـــــرقْهُمْ عظـــــةٌ ... إنْ هـــــمُ إلا جنـــــاةٌ جـــــاهلون

ركبـــــوا مـــــتن ضـــــلالٍ فَبُلـــــوا ... بالرزايـــــا وهـــــم لا يرعـــــوُون

يـــــا لـــــه قـــــولاً بـــــه فـــــاه الأُلى ... قـــــد أنـــــاروا الكـــــون نِعْـــــم القـــــائلون

هـــــذّبوا الأولادَ حتـــــى تـــــدركوا ... مـــــن رقـــــيٍّ ومُنـــــى مـــــا تبتغـــــون

اجعلـــــوا الـــــدين شـــــعارًا لهـــــمُ ... ودعـــــوهم بالهـــــدى يستمســـــكون

ابـــــذلوا الأمـــــوالَ في تعلـــــيمهم ... إنهـــــم بـــــالعلم قـــــدْرًا يُحـــــرزون

حبّبـــــوا الصـــــدقَ إلـــــيهم والوفـــــا ... زينـــــةُ الأوطـــــان قـــــومٌ صـــــادقون

دون تهـــــذيبِ رجـــــالٍ قـــــد شَـــــقُوا ... يمـــــلأون اليـــــوم ســـــاحات السّـــــجون

والـــــدوهم ســـــبّبوا ذاك الشّـــــقا ... وهـــــمُ لاهـــــون عـــــنهم غـــــافلون

ولد سنة 1873 بحلب وتوفي بها سنة 1923

هو نقولاكي بن نصر الله كبابة ، فقد أباه صغيراً وتلقي علومه في المدرسة الأسقفية للروم الملكيين بحلب، وكان يكبّ علي دروسه في العربية والفرنسوية حتي أصبح يكتب ويتكلم بالفرنسوية كواحد من أبناء تلك اللغة، وكان له ميل شديد إلي الشعر العربي، وذا قريحة شعرية، نظم ولم يصل إلينا من نظمه، إلا ما نشر بعضه في أخر هذه الترجمة.

كان صغير الجثة، عصبي المزاج كثيراً، نحيل الظل، معروق العظام مسنون الوجه، أحول العينين، واسع الفم والشدقين، متفاوت الخلق، ذكيّا ألمعياً، حسن العبارة، جيد التعبير، خفيف الروح، طيب العشرة.

ولما خرج من المدرسة اشتغل بالتجارة مع أخيه ثم افترقا، فلم يكد يضحك الدهر في وجهه حتي عبّس، فظل يداوره حيناً ولكنهُ صارحهُ العداوة وما لبَّس، ولما اشتدت عليه وَقَعاته، وضاقت به حلقاته، تناول كأساً من سم ناقع واختصر حياة كان بها غير قانع.

قال في وجوب تهذيب المرأة:

هـــــذبوا المـــــرأة يســـــعد وطـــــنُ

وابـــــذلوا الســـــعي لنيـــــل الأربِ

أهمَلـــــوا تثقـــــيفهم وا أســـــفي ... تركـــــوهم في ضـــــلالٍ يعمهـــــون

فـــــأتَوا مـــــا قـــــد أتـــــوا جهـــــلاً وفي ... مـــــذهبي آبـــــاؤهم لا يُعـــــذرَون

أمـــــةٌ تطلـــــب مـــــنكم واجبًـــــا ... فبـــــه قومـــــوا وأنـــــتم ســـــاهرون

واحفظـــــوا قـــــولاً أتـــــاه الأقـــــدمون ... حازمًـــــا رعيًـــــا لقـــــومٍ يســـــمعون

أحسِـــــنوا تهـــــذيب أبنـــــاءٍ لكـــــمْ ... علَمـــــوهم تجتنـــــوا مـــــا تغرســـــون

زينـــــــة المـــــــرأة علـــــــم وحجـــــــى

بهـــــــــما تفخـــــــــر لا بالنشـــــــــبِ

ان تريـــــــدوا اليـــــــوم إصـــــــلاحاً لهـــــــا

كي تفـــــــــوزوا برجـــــــــال نُجُـــــــــب

فابـــــــــذلوا المجهـــــــــود في تثقيفهـــــــــا

ذاك خـــــــير مـــــــن غنـــــــي مكتســـــــب

وقال في تعليم الأولاد وتأديبهم:

أبـــــــــذلوا الأمـــــــــوال في تعلـــــــــيمهم

إنهـــــــم بـــــــالعلم قـــــــدراً يحـــــــرزونْ

حببـــــــوا الصـــــــدق إلـــــــيهم والوفـــــــا

زينـــــــة الأوطـــــــان قـــــــوم صـــــــادقون

دون تهـــــــذيب رجـــــــال قـــــــد شـــــــقوا

يمـــــــلأون اليـــــــوم ســـــــاحات الســـــــجون

والـــــــــدوهم ســـــــــببوا ذاك الشـــــــــقا

وهـــــــمُ لاهـــــــونَ عنـــــــه غـــــــافلون

ومنها:

﴿تمـــت﴾

القســـــم الثانـــي

وهو ترجمات الأحياء

خلّد الـلـه أثارهم وأطال أعمارهم

الأستاذ ميخائيل الصقّال(1)

(1) ميخائيل الصقال (1269-1357هـ) (1852 - 1938 م) : ميخائيل بن أنطون بن ميخائيل الصقال. ولد في جزيرة مالطة، وتوفي في مدينة حلب. عاش في مالطة وسورية ومصر. نشأ في كنف أبيه الذي عاد به إلى مدينة حلب بعد إقامة لم تطل في مالطة، فعلمه اللغة العربية والتركية، ووجهه إلى قراءة كتب الأدب، مما أهله إلى نظم الشعر وهو ما يزال في السادسة عشرة من العمر. في حلب عمل مدرسًا، ثم أنتقل إلى العمل بالمحاماة. وفي عام 1896 ارتحل إلى مصر، وهناك أصدر مجلة «الأجيال» المصورة مدة عام ونصف العام، ثم عاد إلى حلب. وهذه المجلة تعد أول مجلة مصورة ظهرت في العربية. كان عضوًا مراسلاً للمجمع العربي في دمشق. إبان إقامته في مصر كان عضوًا من قبل القنصلية البريطانية يمثلها في نظر القضايا التجارية بين الأجانب والمصريين. عرف بذكائه، وسعة مداركه، وبما تحلت به نفسه من العواطف الإنسانية، وكان عذب النكتة، حلو الحديث، أحبه تلاميذه الذين كان يحثهم دائمًا إلى التزود من العلم.

- له ديوانان : «كتاب العبر» - حلب 1911. (من الشعر الحديث يتجاوز خمسمائة بيت، أخذ سياقًا قصصيًا، عبر فيه عن رؤيته في الكون والمعتقدات وأحوال المجتمع الأخلاقية والسياسية)، وديوان في أربعة أجزاء، صدر الجزء الأول منه تحت عنوان: «ديوان ميخائيل بن أنطون الصقال» - حلب 1925. (مرتب على القوافي)، وله مجموعة أشعار وأقوال (مخطوطة).

- له عدد من المؤلفات منها: لطائف السمر في سُكان الزهرة والقمر - رواية تخيلية - مصر 1907، وكتاب «طرائف النديم في تاريخ حلب القديم»، وكتاب: «لطائف الحديث في تاريخ حلب الحديث» - مخطوطان بقلم المؤلف، إضافة إلى العديد من المقالات التي نشرتها له صحف عصره. شاعر وجداني غزل، فما بين الرضا والصد، تتولد أشجانه، وتحتدم عذاباته، وله شعر في الحنين إلى أيام الصبا. بشعره مسحة تأملية تغلفها الحيرة والقلق مما يعكس تأزمًا وجوديًا لديه، وشعورًا ممضًا بعدم الجدوى. داع إلى المساواة، وإشاعة العدل بين الناس. يميل إلى استجلاء الحكمة والاعتبار، ويتجه إلى إسداء النصيحة، وله شعر في التوسل والتضرع إلى الـلـه تعالى، كما كتب في المدح والتهاني، إلى جانب شعر له في نبذ أخلاق اليهود، وكتب التأريخ الشعري. تتسم لغته بالتدفق واليسر، وخياله طليق. التزم النهج القديم في بناء قصائده. انظر:

1- خيرالدين الزركلي: الأعلام .

2- سامي الكيالي: الأدب المعاصر في سورية - 1850 - 1950 .

3- سليمان سليم البواب: موسوعة أعلام سورية في القرن العشرين

4 - عائشة الدباغ: الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

5 - عبدالقادر عياش: معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين.

6 - سامي الكيالي: الحركة الأدبية في حلب خلال قرن (1850- 1950) -مجلة العمران- العدد (20- 21 - 22) - دمشق أغسطس 1968.

من شعره : شَغَلْتِ فؤادي

لقد عقدتْ من شعرها تاجَ قيصرٍ ... على رأسها لما دعتها المفاخرُ

تجرّ بلطف الميل والدلّ ذيلها ... وقلبي به من شدة الشوق عاثر

تحاربني حربَ الجهاد عيونُها ... كأنيَ في شرع المحبين كافر

أحبّ العيون النُّجل والموتُ دونها ... فإني بروحي في هواها أخاطر

دعاني إليها اللطف والظرف دعوةً ... لها في فؤادي بهجة وبشائر

غرامي صحيح ما حييتُ به فلا ... تغيّره من بعد موتي الأعاصر

عشقتُ ومن يعشقْ يجدْ كلَّ مِحْنةٍ ... تجشّمه الأهوالَ والعشقُ قاهر

ومن لم يهذّبْ بالمحبة طَبْعُهُ ... فذلك في شرع المحبين قاصر

بغى وسعى دهري لغدري فرُعتُه ... بصبري وهذا الدهر باغٍ وغادر

تمنّى انكساري فاستعنت بهمَّتي ... عليه فولّى محجمًا وَهْوَ خاسر

وكابرتُ في كتم الغرام صيانةً ... وبحت وأربابُ الغرام تكابر

وما الحبُّ إلا رقةُ الطبع في الفتى ... وليس الفتى إلا المحبّ المعاشر

شغلتِ فؤادي عن حسانِ عشيرتي ... فما التفتتْ إلا إليك النواظر

عليك سلام الله يا هندُ ما صبا ... محبٌّ وما زار المحبين زائر

ألا من لصبٍّ

ألا من لصبٍ يشتكي الصدَّ والهَجْرَا ... تصبَّرَ حتى لم يطق في الهوى صَبْرَا

مقيمٌ على حفظ المودّة طائعٌ ... لأحكامكم لم يعصِ في حبكم أمرا

فما حدَّثته النفس عنكم بسلوةٍ ... فديتكمُ أنتم بحالته أدرى

لئن أرجف الواشون يومًا فإننا ... نرى حبَّكم فرضًا على القلب أو نذْرا

لله ما أزهى الزمان

سفرتْ فأخجلتِ البدورَ سفورا ... حسناءُ تحكي بالبهاء الحورا

وسعت فسبّحت الغصونُ وهلّلت ... أمّا الرماح فكبّرت تكبيرا

وتحدثت فسبت بفصل خطابها ... وأرتنيَ المنظوم والمنثورا

للهِ ما أبهى الزمان زمانها! ... فلقد زها طربًا بها وحبورا

شاعرُ طويل النفس صحيح السبك، حسَن الوشي متميز الحبك، وعالمٌ من خواص أهـل الأدب، ومن أفراد ذوي الفضل والطلَب، شديد التنقيب في أصول اللغة وشواردها، كثير التـدقيق في تعديـة الأفعال ومواردها ، نقي الصحيفة، بصير بالنكتة الظريفة.

وهو ابن أنطوان الصقال العالم الشاعر السابق الذكر، ولد في مالطة يوم كان أبـوه نـازلاً فيهـا، ثم عاد معه إلي حلب طفلاً وأقام بها.

لِـــمْ لا وقـــد راق الزفـــاف زفـــاف مـــن ... أضـــحى بحســـن وفائـــه مشـــهورا

شَـــهْمٌ تفـــرّدَ بـــالمروءة والتّقـــى ... وصَـــفَا وطـــاب سريـــرةً وضـــميرا

يـــدعو بتـــاريخي لـــه كـــل الملـــا ... دُمْ كـــلَّ دهـــرٍ مكرمًـــا مسرـــورا

عَلَمٌ سما

مـــا زحزحـــتْ عـــن وجههـــا الأســـتارا ... إلا ليُخجـــل حســـنها الأقـــمارا

أحسِـــنْ بهـــا مـــن غـــادةٍ عذريّـــةٍ ... أضـــحت ببهجتهـــا الحســـانُ حيـــارى

ســـلّت عـــليَّ مـــن العيـــون بـــواتراً ... فتكاتهـــا تســـتعبد الأحـــرارا

ســـودٌ رمـــاةُ ســـهامها قـــد عاهـــدت ... بـــيضَ الصِّـــفاح عـــلى القتـــال جهـــارا

يـــا لائمـــي في حبِّهـــا دعنـــي فـــما ... مـــثلي يطـــاوع في الهـــوى المهـــذارا

أرعـــى العهـــودَ وأرعـــوي عـــن نقضـــها ... وأذبّ عـــن قـــومي وأحمـــي الجـــارا

أنـــا لســـت أخشى النائبـــات فـــإنني ... أصـــبحت في حـــيِّ الحســـين مُجـــارا

بطـــلٌ إذا هـــزَّ الـــيراعَ تفرّقـــت ... عنـــه العُـــداة وأدبـــرت إدبـــارا

عَلَـــمٌ سَـــمَا فـــوق السِّـــماك مراتبًـــا ... وبنـــى عـــلى السَّـــبْع الطبـــاق ديـــارا

يـــا قـــومُ مَـــنْ ســـحبانُ؟ مَـــن لقـــمانُ؟ مَـــن ... قُـــسٌّ إذا بـــاهى الحســـين وبـــارى؟

لمـــا أتى الشـــهباءَ يقضي فـــاخرتْ ... بقضـــائه كـــلَّ الـــبلاد فخـــارا

للـــه توفيـــقٌ بـــدا في عصرـــنا ... عصرٌـــ ينـــافس بعـــده الأعصـــارا

شَـــهْمٌ أحـــاط بكـــلِّ علـــمٍ صَـــدْرُهُ ... فلـــذاك حـــيّر مدحُـــهُ الأفكـــارا

ذكـــر العـــراقُ نـــوى الحســـين بلوعـــةٍ ... فصـــبَا الحجـــاز وهـــيّج الأمصـــارا

ربعة القوام، مسمور الجسم، متين العصب، أبيض اللون، واسع الجبهة، أسود العينين، صغير اللحية، مخروط الوجه، مليح الجملة، عصبي المزاج ، قد عمه ثلج الشيب، تقرأ علي محياه سيما سلامة الصدر، عزيز النفس، كريم العهد حسن الوفاء، طيّب الصحبة، أمين المغيب، مهذب الطرف والنطق، حسن التعبير عن مراده بأوجز لفظ.

أخذ العلم عن أبيه وهو كثير البرّية، ونظم الشعر في السادسة عشر من عمره، وهو يتكلم ويكتب بالتركية.

اشتغل حينا من الزمن بفن المحاماة أمام المحاكم بحلب، ثم عاد إلي الاشتغال بالأدب، ونزل مصر سنة 1897 ونشر فيها مجلة الأجيال المصورة ، وكانت أول مجلة مصورة ظهرت في العربية ، ثم رجع إلي حلب وألّف كتابهُ لطائف السمر، في سكان الزهرة والقمر، نحا فيه منحى الروايات التخيلية وضمنّه كثيراً من الفوائد الأدبية والعادات الوطنية، ثم عاد إلي مصر واجتمعنا به كثيراً سنة 1907 وقفل إلي الوطن، وألف رسالة شعرية في وصف بعض الخطوب الشهيرة ، سماها العبر ، وهي قصيدة تزيد علي خمسمائة بيت متينة السبك، عامرة الأبيات طبعت بحلب، ولهُ ديوان شعر كبير مرتّب القوافي علي أحرف الهجاء مبيّض مهذّب كلّ التهذيب ينوي طبعه، ولهُ كتاب تأريخ كبير كسَرَهُ علي قسمين ، دعا الأول طرائف النديم في تأريخ حلب القديم، وهو ما عُرف عنها قبل التأريخ المسيحي، وسمّي الثاني لطائف الحديث في تأريخ حلب الحديث ، وهو من ابتداء التأريخ المسيحي إلي اليوم ، وهذا الثاني قارب التمام ، وهو يشتغل به اليوم بما اعتاده حياته كلها من الجدّ والهمّة، ونرجو لهُ التوفيق بطبعهِ في القريب العاجل.

وهو من أخلص خلاننا، وأخصّ خلصائنا، ولنا معه عشرة قديمة، ومودة صميمة، وهو الصديق لا يذمَّ عهدُه، ولا يتهم ودُّه، ما تذكرنا معاهد الفضل وليالي الأنس، إلا وكان ذكره قرة العين وسرورَ النفسْ، متّعنا الله بدوام عافيته، وطويل صحبته.

وهو لم يزل منذ أربعين سنة عضواً من قبل القنصلية الإنكليزية في المحكمة التجارية التي تعُقد لرؤية الدعاوي الأجنبيّة، وقد أنتخب منذ قريب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق بكل جدارة.

وإليك شيئا من محاسن نظمه:

هبّ النسيم علي الرياض أصيلا

حيث الحبيبُ فبات منه عليلا

فاعتلّ واعتذر النسيم تلطّفاً

وغدوت متبول الفؤاد نحيلا

مولاي تفديك النفوس لأنها

لم تلقَ مثلك في الحسان جميلاً

مولاي تفديك العيون بنظرة

لو أنها وجدت إليك سبيلا

فاهنأ سلمت من الأذى وأنعم وعش

جذلاً تطيب لك الحياة جزيلاً

ومنها:

لا أتقي وقع الصوارم والقنا

وأخاف طرفاً أن رنوتَ كحيلا

أني أحن إلي الظلام مسامراً

ليلاً يحكي الشعر منك طويلاً

ومنها:

لمـــــا غـــــدا مـــــاء المحاســـــن ســـــائلاً

في خـــــدّك الـــــوردي كـــــان أســـــيلا

أنـــــا لا أبـــــالغ أن أقـــــل رضـــــوان لم

يبصرنـــــك في الجنـــــان مثـــــيلا

وقال ارتجالاً في غانية أشعلت لعبة في يدها كعنقود من نور وجعلت تديرها:

وخـــــودٍ مـــــذ بـــــدت تســـــعي أرتنـــــي

غُصـــــين البـــــان يشرق منـــــه نـــــورُ

فقلـــــت لهـــــا ألســـــتِ الشـــــمس قالـــــت

ألم ترهـــــا عـــــلي كفـــــي تـــــدورُ

وقال ارتجالاً:

فتنـــــت محاســـــنها العبـــــاد فـــــإن بـــــدت

غفلـــــوا عـــــن النـــــاقوس والقـــــدّاسِ

خَـــــود كـــــأن اللـــــه كـــــوّن جســـــمها

مـــــن معـــــدن اليـــــاقوتِ والألمـــــاسِ

وطَلب إلينا يومئذ تشطيرهما علي البديهة فقلنا:

فتنـــــت محاســـــنها العبـــــاد فـــــإن بـــــدت

ســـــجدوا لهيكـــــل قـــــدّها الميْـــــاسِ

أو أنصـــــتوا يومـــــاً لســـــحر حـــــديثها

غَفلـــــوا عـــــن النـــــاقوس والقـــــدّاسِ

خَـــــودُ كـــــأن اللـــــه كـــــوّن جســـــمها

مـــــن جـــــوهر الألطـــــاف والإينـــــاسِ

ولـــــو أنَّـــــهُ مـــــن معـــــدِنِ لبـــــدا لنـــــا

مـــــن معـــــدن اليـــــاقوت والألمـــــاسِ

وقال في الشيب:

ياصـــــباي الـــــذي مضي ـــــ ياصـــــبايا

كيـــــف باللـــــه ضـــــيعتك يـــــدايا

بـــــتّ مـــــن حرقتـــــي أناديـــــك مهـــــلاً

ليـــــت شـــــعري متـــــى تجيـــــب نـــــدايا

كنـــــت لي إن أتيـــــت ذنبـــــاً شـــــفيعاً

لا تـــــري الغيـــــد زلتـــــي وخطايـــــا

كنـــــت منـــــي الهـــــدي إذا الـــــنفس ضـــــلّت

يـــــا مشـــــيب لقـــــد ســـــلبت هـــــدايا

ومنها:

ومهـــــــاةِ تبسّـــــــمت لي وقالـــــــت

كيـــــف أبصرـــــت بهجتـــــي وســـــنايا

فرأيـــــــــــــت الأعـــــــــــــراض أولى وألاّ

ســـــــــــلبتني بمقلتيهـــــــــــا نهايـــــــــــا

وأجبـــــــت الشـــــــباب أعـــــــرض عنـــــــي

فـــــــــــدعيني وذلتـــــــــــي وبلايـــــــــــا

واتركينـــــــي خلـــــــو الفـــــــؤاد فقالـــــــت

أنـــــــا أهـــــــواك فـــــــابتهج بهوايـــــــا

أنـــــــا أهـــــــواك شـــــــاعراً وأديبـــــــاً

فـــــــدع الشـــــــيب لي وثـــــــق بوفايـــــــا

فاقتســـــــــــمنا الغـــــــــــرام لا أتمنـــــــــــى

غيرهـــــــا وهـــــــي لا تـــــــروم ســـــــواي

وقال:

لـــــــولا مخافـــــــة قـــــــولهم لـــــــو لم يجـــــــنّ لمـــــــا انتحـــــــر

لقتلـــــــت نفسي ـــــــ عامـــــــداً ونجـــــــوت مـــــــن شر البشر ـــــــ

وقال:

قـــــــال أمـــــــروءُ أترتشي ـــــــ فقلـــــــــــت لا ولم ولـــــــــــن

هـــــل أفعلـــــنْ في السر ـــــ مـــــا أخجـــــل منـــــهُ في العلـــــنْ

ومن فرائده:

شـــــــــــكا إليّ صروف ظبـــــــــــي نقـــــــــــا

يريـــــــــك في طرفـــــــــهِ الســـــــــحار هاروتـــــــــا

بـــــــكي فنـــــــزّل درّاً مـــــــن مدامعـــــــهِ

وصـــــــيّر الـــــــدرّ في خديـــــــه ياقوتـــــــا

وبهذا القدر من إحسانه دلالَة.

الشيخ كامل الغزي[1]

(1) كامل الغزي (1270-1352هـ) (1853-1933م): كامل بن حسين بن محمد الغزي. ولد في مدينة حلب ، وفيها توفي. عاش حياته في سورية، وزار مكة المكرمة فأقام بها ثمانية أشهر في صحبة محمد رشدي باشا الشرواني، ثم عاد إلى حلب بعد وفاة هذا الأخير. أتم تلاوة القرآن الكريم في الكتاب، ثم أخذ عن أجلة علماء عصره. ولم يكتف بما تلقاه من أساتذته من علوم الدين كالفقه والحديث والتوحيد والفرائض، بل أضاف إليها علم التاريخ الذي عمق معلوماته فيه استنادًا إلى مؤلفات من سبقه من فحول المؤرخين كالطبري وابن الأثير وغيرهما. فتوفرت له بذلك ثقافة موسوعية استمد منها المادة الرئيسية لكتابة مصنفاته. تقلد عددًا من المناصب الرسمية، فتولى رئاسة كتاب المحكمة الشرعية مرتين، ورأس تحرير جريدة الفرات الرسمية مدة عشرين عامًا، إلى جانب إدارته لمكتب الصنائع وهو أول مؤسس له، ورأس مجلس بنك الزراعة،ثم غرفة التجارة والزراعة والصناعة. عين رئيسًا لجمعية الآثار القديمة، وللجنة الإدارية للمتحف الوطني بحلب، ورئيسًا لتحرير مجلتها حتى الأيام الأخيرة من حياته. كان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق، إلى جانب انتخابه غير مرة لعضوية المجلس البلدي في حلب. اشتهر بسعة ثقافته وحدة ذكائه وحبه للمطالعة، إلى جانب ولعه باقتناء الكتب منذ صباه، وعُرف بتسامحه الديني، فقد كان على اتصال قريب بمسيحيي حلب، وسعى إلى إزالة النفرة التي كانت يومئذ بين المسيحيين والمسلمين من أبناء حلب، وكان مؤمنًا بالقومية العربية على أسس من روابطها الإسلامية.

- أورد له كتاب «الأدب العربي المعاصر في سورية» بعضًا من شعره، وله قصيدة: «الغزي يوصي ابنه» - مجلة الضاد العددان 3،4 - حلب: مارس وأبريل 1933، وهي أرجوزة مطولة في آداب المخالقة تربو على مئة وعشرين بيتًا، ويذكر أن له ديوانًا «مخطوطًا»، يخشى أن يكون قد فقد.

- له عدد من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة منها: الروزنامة الدهرية -حلب 1922، نهر الذهب في تاريخ حلب -في ثلاثة مجلدات كبار- المطبعة المارونية -حلب 1922- 1926، القول الصريح في الأدب الصحيح (مخطوط)، ترجمة الصنوبري وأشعاره (مخطوط)، جلاء الظلمة في حقوق أهل الذمة (مخطوط)، وله عدد من المقالات حول اهتماماته العلمية واللغوية والتاريخية، ومن هذه المقالات ما حظيت بنشره مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مثل: كلمة في (ولا سيما)- المجلد السادس 1926، الشاعر الصنوبري-المجلد الحادي عشر 191، الشواذ في علم النحو- المجلد الحادي عشر 191، قصيدة الفراشة- المجلد الثاني عشر 1932. يميل شعره إلى النصح والإرشاد، إلى التأمل واستخلاص العبر، فقد كتب مطولة شعرية في آداب المخالقة، كما كتب في الغزل العفيف، وله شعر في الهجاء، يبدو متأثرًا بثقافته وقيمه الدينية. كتب الألغاز والأحاجي الشعرية. نفسه الشعري طويل. تميل لغته إلى المباشرة، وشحة الخيال. التزم عمود الشعر شكلاً لكتابته. حصل

على وسام المعارف الفرنسية من الدرجة الثانية عام 1924، واختير عضوًا شرفيًا للمجمع العلمي الفرنسي في باريس، وفي عام 191 نال الوسام نفسه من الدرجة الأولى، كما حاز وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية. انظر:

1- إسماعيل البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

2 - خير الدين الزركلي: الأعلام .

3 - سامي الدهان: قدماء ومعاصرون .

4 - سامي الكيالي: الأدب المعاصر في سورية (1850 - 1950) 5 - عائشة الدباغ: الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

5- فريد جحا: الشيخ كامل الغزي - المؤرخ والأثري - مجلة الموقف الأدبي - شهرية - السنة الثانية - اتحاد الكتاب العرب - العددان (10 - 11) - دمشق فبراير ومارس .1972

6- محمود فاخوري: الغزي أديبًا وباحثًا أثريًا - مجلة الضاد العدد 4 - أبريل 1990.

من شعره : وصية للابن .. (تتمة قصيدة في المتن)

مـــــولايَ أنـــــتَ المـــــنعمُ المتفضِّـــــلُ ... إيـــــاكَ كـــــلَّ الكائنـــــاتِ تُبجِّـــــلُ

ولمجـــــدكَ الأســـــنى المحامـــــدُ كلُّهـــــا ... ولقدســـــكَ الأســـــمى الثنـــــاءُ يُرتِّـــــل

حقّقـــــتَ لي بعـــــد القنـــــوطِ المرتجـــــى ... مـــــا خـــــاب ذو رَجْـــــوٍ عليـــــك يُعـــــوِّل

فمنحتَنـــــي كرمًـــــا غلامًـــــا وجهُـــــه ... أضـــــحى بـــــه وجـــــهُ الســـــعادةِ يُقبـــــل

لمـــــا أهـــــلَّ غـــــدا بأرجـــــاء الحمـــــى ... داعـــــي الســـــعادةِ والهنـــــا يتهلّـــــل

أَبُنـــــيَّ أنـــــتَ وديعـــــةُ اللـــــه الـــــذي ... هـــــو بـــــالودائع خـــــيرُ مـــــن يتكفّـــــل

أبصرتُ نجمَـــــكَ في الـــــديار وإننـــــي ... لإخـــــال شمسي عـــــن قريـــــبٍ تأفـــــل

فـــــإلى الإلـــــه وكَلْـــــتُ أمـــــرَكَ إنـــــه ... نعـــــمَ الوكيـــــلُ لنـــــا ونعـــــمَ الموئـــــل

أولاكَ مـــــولاكَ الســـــعادةَ والرِّخـــــا ... وحبـــــاكَ ســـــعياً بالنجـــــاح يُكلَّـــــل

ووقـــــاكَ مـــــن غـــــدر الزمـــــانِ وكيـــــدهِ ... وعليـــــكَ فـــــيما ترتجـــــي يتفضّـــــل

أبنـــــيَّ ثِـــــقْ باللـــــه واعلـــــمْ أنـــــه ... هـــــو وحـــــدَه مـــــا شـــــاء فينـــــا يفعـــــل

الجـــــأ إلى ظـــــلّ الديانـــــةِ واطّـــــرحْ ... مـــــا قـــــال فيهـــــا ملحـــــدٌ ومضـــــلّلُ

أمســـــكْ عـــــن الأبحـــــاث في قَـــــدَرٍ ودعْ ... مـــــا قـــــال فيـــــه مُجـــــبِّرٌ ومُعطِّـــــل

انشـــــطْ ولا تكســـــلْ لإحـــــراز الغنـــــى ... فـــــالفقرُ للكســـــل الرفيـــــقُ الأول

والـــــذلُّ في كَنَـــــف الفقـــــيرِ مخـــــيِّمٌ ... والعـــــزّ في الـــــدنيا لمـــــن يتمـــــوَّل

والفقـــــرُ ســـــترٌ للمحاســـــن والغنـــــى ... سِـــــترٌ عـــــلى وجـــــه المســـــاوئِ مُســـــدَل

والأغنيـــــاءُ مبجّلـــــون وإن هُـــــمُ ... في كـــــلّ مَنقصـــــةٍ غلـــــوا وتوغّلـــــوا

والمملقـــــون مُحقَّـــــرون وإن هُـــــمُ ... مـــــن كـــــلّ مكرمـــــةٍ جَنَـــــوا وتمَوّلـــــوا

أحد معاصرينا الألبّاء، وأصحابنا الشعراء الأدباء، وممن نباهي بهم عند عدّ أصدقائنا العلماء، وهو فرد من الأفراد الجامعين بين الأدب والظرف، وبين خفة الروح وعذوبة المنطق واللطف، بصير بمذاهب الكلام، عليم بأسرار محاسن النظام، حلو المعاشرة، ظريف المحاضرة، ذكيّ المشاعر، سريع الخاطر، يميل إلي المزاح، وتستريح الي كثرتهِ منه الأرواح، كما يستريح النديم إلي كثرة الراح، جوابه على رأس لسانه، ونظمه علي رأس القلم ببنانه، لنا معه مجالس أنس هي من مواسم العمر، وأعراس الدهر.

كم أحمقٍ تَخِذَ البطالةَ حرفةً ... كسلاً ويزعم أنه مُتوكّل

إن التوكل غيرُ معقولٍ بما ... للخَلْق فيه تخيُّرٌ وتَحيُّل

والوقتُ من ذهبٍ فلا تُذهبْه في ... ما ليس للمجد الرفيع يُؤثّل

زيِّنْ ثراءك بالعلوم فإنما ... بالمال والعلم المفاخر تكمُلُ

ما الجاهلُ المثْري الموقّي شحّه ... إلا حمارٌ بالنضار مجلّل

العلم مفتاح النجاح وبابه ... في وجه مَن ألِفَ الجهالة مُقْفل

والمال بالإنفاق ينقص عدُّه ... وبه المعارف عدُّها يتسلسل

كم أمةٍ صارت رؤوسًا وهْي من ... قبل العناية بالمعارف أرجل

كم للمغارب من حصون علومها ... في الشرق غاراتٌ تُشَنّ وجحفل

ولكم تجرَّد من مدارس علمها ... في الشرق سهمٌ لا يطيش ومنصل

ملكَتْ بها تلك النواحي عنوةً ... فهي الصياصي جندها لا يفشل

جندٌ يُراعُ الحوتُ منه بلجّةٍ ... وبجوِّهِ يخشى سطاه الأجدل

فالجهلُ مخذول الجيوش وإنما ... جيش المعارف واحدٌ لا يُخذَل

أجمِلْ بسعيك للمعاش وعانِهِ ... من كل وجهٍ بالمروءة يجْمُل

لا تعجلَنْ فيما بدا لك وانظرنْ ... بسنى الرويّة ما تقول وتفعل

وكنِ اللبيبَ ولا تضيِّعْ فرصةً ... سنحتْ فكم فيها المآربُ تحصل

اسلكْ سبيل الإقتصاد فإنما ... بالإقتصاد إلى الغنَى يتوَصّل

اقرأ ولا تعجل وخُذْها وازعًا ... حِكَمًا على إنفاق مالكَ يعْدل

لا تُظهرنَّ غنًى فتوقظ حاسدًا ... يُغْري بوفرك من يحُول ويخْتل

أو فاقةً تجني عليك شماتة ... يغلي بصدرك من لظاها مِرجل

ولغيرك ارْضَ بما لنفسك ترتضي ... هذا هو الشرع الأتمّ الأكمل

والخلقُ كلهُمُ عيال الله ما ... أحدٌ سوى الله الخلائقَ يكفل

فانظرْ جميعَهمُ بعينٍ ملؤها ... لطفٌ ومرحمةٌ وعدلٌ يشمل

وهو ابن الشيخ حسن الغزي السابق الترجمة ، ولد بحلب سنة 1270 هجرية ونشأ بها وأخذ العلم عن الشيخ محمد الكحيل والشيخ مصطفي الكردي وسواهما ، فنال حصة وافرة من علوم الفقه والحديث والمنطق والعربية والشعر ونظم وهو فتى .

واستصحبهُ محمد رشدي باشا الشرواني إلي مكة المشرفة سنة 1278 وكان علي صغر سنة حينئذٍ، بادي النجابة وافر الأدب، وظل بها ثمانية أشهر ولما توفي الوزير المذكور عاد إلي حلب.

ثم تقلّب في المناصب فأنتُخب لرئاسة الكتّاب في المحكمة الشرعية بحلب مرّتين، وسُمي مديراً لمكتب الصنائع وهو أول مؤسس لهُ، ورئيساً لمجلس بنك الزراعة، ورئيساً لغرفة التجارة، وعضواً في المجلس البلدي ، ولم يزل فيه إلى اليوم متّعنا الله بطول عمره.

وهو ربعة إلي القِصر، نحيف الجسم، ظمآن المفاصل، حنطي اللون إلي البياض، صغير العينين أسودهما، كبير الأذنين، واسع الجبهة، أنافيّ، رقيق الشفتين، معتدل الفم، صغير اللحية خفيفها، مليح الصوت، قد عمّهُ بياض المشيب ، لهُ همة الشبان وحكمة الشيوخ.

ولهُ من المؤلفات- وأكثرها لم يزل بخطه- الروضة الغّناء في حقوق النساء، علي الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات، وجلاء الظلمة في حقوق أهلي الذمّة، وعرّب عن التركية كتاب إتحاف الأخلاف في أحكام الأوقاف ، ولهُ ديوان شعر كبير، وتأريخ حلب في أربعة مجلّدات تشمل علي حوادث حلب " منذ دخول الإسلام إليها إلي يومنا هذا ، ويتضمن تراجم علمائها وأدبائها وشعرائها ومن وردها وسكنها مدة من الفضلاء، وقد نجز طبع المجلد الثالث منهُ، ولا ندري لماذا بدأ الثالث، وندعو لهُ بإتمام طبعه كله.

وإليك شيئاً من قلائد شعره، قال من أرجوزة في آداب المخالقة تربو علي مئة وعشرين بيتاً ، وجعلها تحفة لطفلهِ المولود من سنتين ، أقرّ الله بهِ عينيه . قال بعد التحمدة :

حقّقـــــت لي بعـــــد القنـــــوط المرتجـــــي

مـــــا خـــــاب ذو رجـــــو عليـــــك يعـــــوّلُ

فمنحتنـــــي كرمـــــاً غلامـــــاً وجهـــــهُ

أضـــــحي بـــــهِ وجـــــه المسرّـــــةّ يقبـــــلُ

ومنها:

أبُنـــــي أنـــــت وديعـــــة اللـــــه الـــــذي

هـــــو بـــــالودائع خـــــير مـــــن يتكفَّـــــلُ

أبصرـــــت نجمـــــك في الـــــديار وإننـــــي

لأخـــــال شمسيـــــ عـــــن قليـــــل تأفـــــلُ

ومنها:

ودع الفضـــــول ولا تلـــــج في مـــــدخلٍ

مـــــا أن بـــــهِ لحظـــــوظ نفســـــك مـــــدخلُ

ولغـــــيرك ارضَ مـــــا لنفســـــك ترتضيـــــ

هـــــذا هـــــو الشرـــــع الأتـــــمُّ الأكمـــــلُ

حسْـــــن ظنونـــــك بالأنـــــام تأدبـــــاً

وكـــــن أمـــــرؤاً عـــــن كيـــــدهم لا يغفـــــلُ

ودع الفضـــــول مـــــن الكـــــلام كقـــــولهم

أســـــمعتَ أو أفهمـــــتَ أو هـــــل تعقـــــلُ

هـــــذي عكـــــاكيزُ اللكونـــــة فابتعـــــد

عنهـــــا وإلا اســـــتاء منـــــك المحفـــــلُ

وقال:

مـــــا صـــــدّ طيـــــف خيالهـــــا أو زارا

إلاّ احتملـــــــــــــتُ بحبهـــــــــــــا أوزارا

نـــــال الغـــــرام مـــــن الفـــــؤاد منالـــــهُ

عـــــدل الحبيـــــب بصـــــبهِ أو جـــــارا

مســـــتعذب عنـــــد العـــــذاب بهـــــا وإن

أبـــــدت إليّ مـــــن الصـــــدود مـــــراراً

ومنها:

درارت زراعـــــي فـــــوق دارة خصرهـــــا

فحســـــبت نفسي ـــــ في البريـــــة دارا

هـــــاج الحيـــــاء بخـــــدها فأعـــــاده

وردا يـــــؤجّج في الجـــــوانح نـــــاراً

وقال ارتجالاً وقد اقتُرح عليه المعنى:

كـــــأن البـــــدر لاح لناظريـــــهِ

خـــــلال الـــــدوح يخفـــــى ثـــــمّ يظهـــــرْ

جبـــــينُ مليحـــــة بالحســـــن زاهِ

عليـــــهِ شـــــعر غرتهـــــا تبعـــــثرْ

ومن زهرية:

نبّـــــــه عيونـــــــك للنســـــــيم الســـــــاري

فالطـــــــلّ نبّـــــــه مقلـــــــة الأزهـــــــارِ

هتـــــــك الربيـــــــع مـــــــن الـــــــربي أسرارهـــــــا

فبـــــــدت محاســـــــنها لـــــــدي النظّـــــــارِ

ومن أخرى:

جعلـــــــت بحقّـــــــة ثغرهـــــــا التســـــــنيما

والـــــــدرَّ في ســـــــمط العقيـــــــق نظـــــــيما

وجلـــــــت مـــــــن الحـــــــلي النجـــــــومَ وأرســـــــلت

مـــــــن لحظهـــــــا للعاشـــــــقين رُجومـــــــا

وكتب إلينا ملغراً في برق:

يـــــــا شـــــــمس فضـــــــلِ يابـــــــديع الـــــــذاتِ

يـــــــا مـــــــن بكـــــــلّ فضـــــــيلةِ هـــــــو آت

يـــــــامن إذا ذو الفهـــــــم أظلـــــــم فكـــــــرهُ

حـــــــلّ العـــــــويص أذاح ذي الظُلُـــــــماتِ

يـــــــا واحـــــــد الـــــــدنيا وزينـــــــةَ أهلهـــــــا

روحـــــــي الفـــــــداء إليـــــــك في الشُـــــــدّاتِ

أوضـــــح لنـــــا شـــــيئاً يكـــــون إذا بـــــدا

كمهنـــــــد يســـــــطو عـــــــلي الهامـــــــات

ســـــكن الســـــماءَ وقـــــد غـــــدا ثلثـــــاه تحـــــت

نعالنـــــــــا في ســـــــــائر الحركـــــــــاتِ

هـــــــو للعـــــــدو إذا بـــــــدا تصـــــــحيفهُ

مـــــع قلبـــــه بيـــــت مـــــن الأبيـــــاتِ

مقلوبـــــة يرجـــــوهُ مـــــن محبوبـــــه

أبـــــداً محـــــبّ دائـــــم الحسرـــــاتِ

أولاهُ غـــــــبّ الـــــــرتبتين كنصـــــــفهِ

وكضـــــعف آخـــــره وربـــــع فـــــراتِ

وإذا حـــــــذفت اثنـــــــين أجزائـــــــه

أضـــــحي بمنزلتـــــي لكـــــم ســـــاداتي

وإذا طرحـــــت النصـــــف منـــــه وجدتـــــه

مثـــــل القـــــراد بهـــــذه الأوقـــــاتِ

وإذا أبنـــــت القـــــاف ثـــــم قلبتَـــــهُ

أضـــــحي المليـــــك منّـــــزِل الآيـــــاتِ

هـــــو شـــــطر اســـــم مســـــندِ تركيبـــــه

إن عينـــــهُ نضـــــلت مـــــن الســـــكناتِ

وإذا أبيـــــت ســـــوى البيـــــان فهاكـــــه

مـــــا فيـــــه حـــــرف عُـــــدَّ في العشرـــــاتِ

مـــــع أنـــــهُ في الأربعـــــين وحقكـــــم

يُلفـــــي بجملتـــــه فخـــــل بثبـــــاتَ

لازال في قلـــــــب تملـــــــك حـــــــبكم

قـــــرب الحمـــــى مـــــنكم دوام حيـــــاتي

وقال مشبّها:

كـــــأنّ خيـــــال بـــــدر الـــــتّم يبـــــدو

عـــــلي صـــــفحات مـــــوج قـــــد تكسرـــــ

كـــــرات مـــــن لجـــــين ســـــاطعاتُ

عـــــلي درجـــــات بلـــــور تحـــــدّرْ

وقال في مؤذّن قبيح الصوت:

أقـــــول لعمـــــري حـــــين صـــــاح مؤذنّـــــاً

بصـــــوت حـــــمار ضـــــجَّ منـــــهُ حمانـــــا

بصـــــوتكَ آذيـــــتَ الأنـــــام فقـــــل لنـــــا

أردتَ أذانـــــــــــــاً أم أردت أذانـــــــــــــا

ومحاسنه كثيرة وطرائفه وفيرة ، وبهذه اللمحة منها شاهد ناصع.

عبد الحميد أفندي الجابري[1]

(1) عبدالحميد الجابري (1281-1371هـ) (1864-1951م): عبدالحميد بن صديق الجابري. ولد في مدينة حلب وفيها توفي. عاش حياته بين حلب ودمشق. تلقى مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب، لم ينتسب إلى مدرسة، مكتفيًا بالتلقي المباشر في بيته عن بعض علماء عصره الذين أجازوه في العلوم الإسلامية والمنطق، فضلاً عن توسعه في الاطلاع الحر الذي غذّى موهبته الشعرية وزاد من معارفه، وكان يجيد اللغة التركية ويؤلف بها. عيّن عضوًا في محكمة الحقوق (البداية)، كما اشتغل بالتدريس، ومارس الزراعة، وأسندت إليه وظائف حكومية وأهلية، كما كان عضوًا في محكمة الاستئناف بحلب. اختير عضوًا في المؤتمر السوري في أول مجلس نيابي تشكل في عهد الملك فيصل، وانتخب عضوًا مراسلاً للمجمع العلمي العربي بدمشق.

- له ديوان مخطوط في حوزة أسرته.

- له كتابان مطبوعان: «مبدأ في بيان ارتباط التمدن بدين الإسلام» - بيروت 1903 ، و«تَلَقِّي علم الدين وتقصيرنا فيه.. انحطاطنا وتلافيه» - مطبعة الوقت - حلب 1930، وله مؤلفات لا تزال مخطوطة، منها كتاب في الرد على كتاب «المرأة الجديدة» لقاسم أمين. القدر المتاح من منظوماته يجري في موضوع واحد، هو الغزل،ولعل التنوع الموضوعي كان يكشف عن مدى قدرته في التصوير والتعبير، على أن المتاح المحدود من غزله يتسم بالرقة والعفة وتجنب الوصف الحسّي والانفعالات الحادة، إنه أقرب إلى الميراث العذري في الشعر العربي، ليس في رقة المشاعر وحسب، وإنما في لغته اليسيرة العذبة، وصوره الطريفة المبتكرة. انظر :

1- عائشة الدباغ: الحركة الفكرية في حلب

2- عبدالقادر عياش: معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين .

3- محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (جـ7) .

من شعره : تَشوّقَ من يهوى (تتمة قصيدة في المتن)

تَشـــوَّقَ مـــن يهـــوى فحـــنَّ إلى القُـــربِ ... وكيـــف حنـــينُ المســـتهام إلى الحـــبِّ؟

دعـــوه يُفـــيض الـــدمعَ فـــالعينُ عينُـــه ... ولا تعـــذلوه فالبُكـــا راحـــةُ القلـــب

يـــرى الصـــحبُ أني حـــاضرٌ عنـــد عـــذلهم ... ولكـــنْ مكـــاني لـــيس يعلمـــه صـــحبي

غريـــبٌ وحيـــدٌ في مرابـــع أهلـــهِ ... نعـــمْ مَحتـــدي شرقٌ ومرمـــايَ في الغـــرب

رأيـــتُ الـــذي مـــا كنـــتُ أحســـب بعضَـــه ... فحســـبي مـــن الأيـــام مَعتبـــةً حســـبي

هو ابن شاعر ، وشقيق شاعر، وقد فاتهما وكم سبق المتقدمين آخر، وهو أديب نبيه، وشاعر واضح المنهج وفقيه، مرهف الذهن سريع الفهم، بصير باستنباط الأدلّة في وجه الخصم، من بيت مجد بالوجاهة معروف، وبالفضل والأدب موصوف.

حلو العشرة، لطيف المحاضرة، حسن المصاحبة، متطامن الجانب، يهتز للنادرة الظيفة، وهو ابن صدّيق أفندي الجابري السابق الترجمة.

تام الطول، مخروط الوجه، أبيض اللون، أسود العينين صغيرهما، رقيق البدن، معتدل الأنف والفم، عصبي المزاج، قد عمه الشيب.

عُين عضواً في محكمة الحقوق، وأنتُخب عضواً للمؤتمر السوري، ورُشّح للإفتاء بحلب، وأنتُخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في الشام.

ولهُ من المؤلفات كتاب ارتباط التمدن بدين الإسلام مطبوع، وشرح كتاب المرأة الجديدة لقاسم أمين، ورسالة في إباحة أكل اللحوم، ورسالة المقصود من الدين، ورسالة البيان في النحو، وديوان شعر، وجميع ذلك لم يزل غير مطبوع.

قال وأجاد:

أحتـــــــيَّ الآن تعـــــــروك الشـــــــجون

وتشـــــــجيك المباســـــــم والعيـــــــونُ

ألا ينهـــــــي نُهـــــــاك عـــــــن التصـــــــابي

وتعلـــــــم أنّ مـــــــن يصـــــــبو يهـــــــونُ

نعـــــــم لي قلـــــــب ذي شـــــــجن ألـــــــوفِ

عـــــــلي حـــــــب الهـــــــوى أني يكـــــــونُ

تســـــــير بـــــــهِ الصـــــــبابة حيـــــــث شـــــــاءت

وفيـــــــه لكـــــــل طارقـــــــة ســـــــكون

ومنها:

أهـــــيم بكـــــل حســـــن قـــــد تبـــــدّي

وللحســـــــــن المظـــــــاهر والشـــــــئونُ

فـــــإن لم تفضـــــلِ الشـــــعراء معنـــــيّ

فسرُّ الحســـــن بعـــــد هـــــو المصـــــونُ

ومهـــــما جاذبـــــت لبّـــــي فنـــــون الجـــــمال

لـــــــــهُ إلي الأســـــــــمى ركـــــــــونُ

وحســـــن الخُلـــــق أســـــمي كـــــل حســـــنِ

وحـــــبّ الفضـــــل أشرف مـــــا يكـــــونُ

وقال:

تشـــــوق مـــــن يهـــــوي فجـــــنّ إلي القـــــربِ

وكيـــــف حنـــــين المســـــتهام إلي الحّـــــبِ

دعـــــوهُ يفـــــيض الـــــدمع فـــــالعين عينـــــه

ولا تعـــــذلوهُ فالبكـــــا راحـــــة القلـــــبِ

ومنها:

يـــــري الصـــــحب أني حـــــاضر عنـــــد عـــــذلهم

ولكـــــن مكـــــاني لـــــيس يعلمـــــه صـــــحبي

غريـــــب وحيـــــد في مرابـــــع أهلـــــهِ

نعـــــم محتـــــدي شرق ومرمـــــايَ في الغـــــرب

رأيـــتُ الـــذي مـــا كنـــت أحســـب بعضـــه

فحســـبي مـــن الأيـــام معتبـــة حســـبي

وقال:

الحســـن يعشـــق في المعـــاني والصـــور

حـــظّ البصـــيرة ذا وذا حـــظ البصر

والفضـــل جـــذّاب القلـــوب لحبـــهِ

إن كـــان حســـن الوجـــه جـــذّابَ النظـــر

إن هـــام غـــيري بالقـــدود وبـــالنهود

وبـــالثغور وبالشـــعور وبـــالطرر

مـــا همـــت إلاّ في مكـــارم مـــن لهـــم

همـــم تشـــيّد في المعـــالي مـــا انـــدثر

فهنـــاك يجـــدربي التواجـــد إذ أرى

مـــن لام غـــيري في المحبـــة لي عـــذر

لســـني أقـــول لغـــير مـــن حـــاز الســـيادة

ســـادتي فالكـــذب مـــن إحـــدى الكـــبر

الخور فسقفوس جرجس شلحت[1]

(1) جرجس شِلْحُت (1285- 1347هـ) (1868-1928م): جرجس يوسف شِلْحُت. ولد في مدينة حلب وفيها توفي. عاش في لبنان وسورية ومصر. تلقى علومه في مدرسة الرهبان الفرنسيسكان بحلب، ثم أكمل تعليمه بمدرسة عينطورة بلبنان، ثم قرأ العربية والسريانية في مدرسة الشرفة بلبنان أيضاً، وكان يتكلم الفرنسية والإيطالية. عيّنه عمه -بطريرك حلب- كاتباً لأسراره، ثم رسم كاهنًا، ثم رقي إلى رتبة الخورفسقفوس، وكان يعلم في مدرسة طائفته السريانية بحلب، ثم أنشأ مدرسة سماها «مدرسة الترقي» للذكور، وجعل قسماً منها للبنات. أنشأ مجلة «الورقاء» (1910) عاشت ستة أشهر. قصد مصر أول اندلاع الحرب العالمية الأولى، ولبث بها إلى 1921، ثم عاد إلى وطنه. كان عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي بدمشق.

- له كتاب منظوم بعنوان «النجوى في الصناعة والعلم والدين»، وله أرجوزة بعنوان: الكون والمعبد - بيروت المطبعة الكاثوليكية 1907، ونشر قصيدتين بمجلة الشعلة (الحلبية): قصيدة رثاء إلى روح الخوري نقولاس الصائغ: العدد6 - كانون الثاني 1922، وقصيدة رثاء إلى روح الشماس عبدالـلـه الزاخر: العدد 8 - آذار 1922.

- له كتاب «النخبة» -تعريب لأمثال منظومة، للشاعر الفرنسي فنلون- حلب 1910، وله كتاب: الشكوى، أو محاورة الحكيم ومناجاة الأرواح - مطبعة رعمسيس- القاهرة 1915، وله مقالات منشورة بمجلتي: الضياء، والمشرق. شاعر تقوده رسالته الكنسية، كما يستجيب لعلاقاته الاجتماعية، يجمع أسلوبه بين رصانة المأثور القديم ورشاقة الاستلهام الحديث، وهذا الأخير يقوده إلى كسر إطار الكهنوت بإشادات إنسانية فطرية، وهو في كل حالاته ملتزم بأصول العروض الخليلي. انظر:

1 - جوزيف إلياس: تطور الصحافة السورية في مائة عام (جـ1)

2 - سليمان سليم البواب: موسوعة أعلام سورية في القرن العشرين (جـ3) .

3 - أعداد من مجلة الورقاء لصاحبها رئيس تحريرها: جرجس يوسف شلحت - حلب 1910.

من شعره : العـــرب

يـــا أمـــة العـــرَبِ الأمجـــاد في القِـــدَمِ ... قـــد كنـــتِ معـــدودةً مـــن أعظـــم الأمـــمِ

قـــومي اســـتنيري فشـــمسُ العلـــم قـــد بزغـــتْ ... في شرقنـــا فنجـــا مـــن حالـــك الظُّلَـــم

قـــومي اســـتنيري وســـيري في أشـــعَّتها ... ســـعياً عـــلى قـــدم الإقـــدام تغتنمـــي

قـــومي اســـتعيدي مكانـــاتٍ ســـمَتْ خطـــراً ... قـــومي اســـتردِّي مقامـــاً بـــاذخَ العِظَـــم

وبـــالرئيس الأصـــيلِ المـــرأيِ مـــن دُعِمـــتْ ... عـــلى فضـــائله عليـــاؤُه اعتصـــمي

هـــذي فرنســـا وبـــالإفرنج قـــد عُرفـــتْ ... مـــا بيننـــا قِـــدَماً مـــن عهـــد «شَرْلِهـــم»

هـــارون للوفـــدِ قـــد لاقـــى وهـــا عُكســـت ... آياتنـــــا فـــــبهم في عصرـــــنا احتكِمـــــي

كانـــــت مكانتـــــكِ الشـــــمّاء بـــــاهرةً ... وكـــــان مجـــــدُك بـــــالأخلاقِ والشِّـــــيَم

وإنمـــــا الأمـــــم الأخـــــلاق مـــــا بقيـــــت ... فـــــإنْ عَـــــدَتْها تَعُـــــدْ في مرتـــــعٍ وَخِـــــم

وقيمـــــةُ المـــــرء أخـــــلاقٌ لـــــه وبهـــــا ... يُلغَـــى التفـــاوتُ بـــين القـــوم في القـــيم

أخلاقـــكِ الغُـــرُّ كانـــت خـــيرَ مـــا اتَّســـمت ... بـــه الشـــعوب فأضـــحت حِلْيـــةَ النَّسَـــم

أنعِـــمْ بهـــا وبأوصـــافٍ لهـــا ضُرِبـــتْ ... أمثالُنـــــا فاســـــتفدْنا عـــــادةَ الكـــــرم

وذاك حـــــاتم طـــــيْءٍ قـــــدوةٌ لكـــــم ... يـــا قـــومُ وهْـــو علـــيكم صـــاحبُ العَلَـــم

لـــو جـــاء في عصرـــنا المـــاليُّ لاقتبَســـتْ ... سَراتُكـــمْ منـــه غَمْـــرَ الفقـــرِ بـــالنِّعَم

لكنـــه الطمـــعُ المـــذموم أوقفَكُـــم ... في خَلَّـــةِ البخـــل ذاتِ اللُّـــؤْمِ والقـــزم

تعلَّمـــوا الجـــودَ منـــه يـــا بنـــي وطنـــي ... إذا رفـــدْتم، ومـــن مَعْـــنٍ، ومـــن هَـــرِم

والحلـــمَ مـــن أحنـــفٍ والعـــدلَ مـــن عُمَـــرٍ ... ومـــن عـــليٍّ علـــوَّ الخِـــيمِ والهِمَـــم

أمّـــا الشـــجاعةُ فالعبسيُّـــ أســـوتُها ... وكلُّهُـــم شُرِّعٌ في الرعْـــي للـــذمم

وفي وفـــاءٍ وإخـــلاصٍ ومُصْـــطَبَرٍ ... عـــلى الشـــدائدِ في حـــربٍ وفي ســـلم

والصـــدق نـــزعتهم والعفـــوُ شِرْعـــتُهم ... ومـــا المـــروءة إلا شَرْعُ فِعْلِهـــم

ومـــا القناعـــة إلا نهـــج ســـيرتِهم ... ومـــا البلاغـــةُ إلا زَيْـــنُ قـــولِهم

بعفَّـــةٍ في الهـــوى العـــذريِّ قـــد عُرفـــوا ... وفي العفـــاف كـــمالُ الســـادةِ القُـــدُم

تشـــبَّهوا بهـــمُ، واغـــدوا كمـــثلهمُ ... شُـــمَّ الأنـــوف أبـــاة الضـــيم بالشَّـــمَم

واحْـــذوا مثـــالهَمُ في العلـــم واجتهـــدوا ... حتـــى تعـــودوا كمِشْـــكاةٍ عـــلى عَلَـــم

في عهـــد مـــأمونكم دارُ الســـلام غـــدتْ ... منـــارةَ العلـــم بـــين الأعصرـــ الـــذُّهم

كـــم مـــن معـــارفَ زانـــت جيـــدَها فحكـــت ... عقـــدًا فريـــدًا فقـــل يـــا خـــير منـــتظم

ومـــا تقصِّرـــ عـــن بغـــدادَ قرطبـــةٌ ... دار التصـــانيف ذات المنصـــب السَّـــنم

فالشرـــق والغـــرب قـــد ضـــاءت صروحهـــما ... بنـــور علـــمِ أولي العرفـــان والحـــرم

مَـــنَ مثـــل يعقـــوبَ بالكنـــديّ لقَّبـــه ... تـــاريخُكم وهـــو شـــيخ العِلْـــم والحِكَـــم

بفيلســـوف بنـــي العُـــرب السَّـــراة دعـــا ... هُ، فـــانثنى شـــبه بـــدرٍ لاح في العـــتَم

والفـــارَبيُّ أتى مـــن بعـــده فَعَـــلا ... مـــتن الســـهى وابـــنُ ســـينا الراســـخُ القـــدم

جـــاء ابـــن رشـــدٍ بآيـــاتٍ لـــه بهـــرتْ ... المجـــدُ للعلـــم لـــيس المجلـــد للقلـــم

بعلمهـــم كـــذَّبوا الأمثـــال قائلـــةً ... المجـــدُ للســـيف، لـــيس المجـــد للقلـــم

أديب ولوع بالعلوم، قد ضرب سهمي المنثور والمنظوم، وهو من العلماء المحققين، وجهابذة أهل النظر الراسخين، وقد عرفناهُ فلم نذمم معرفته، وعاشرناهُ دهراً فحمدنا صحبته وألفته، مهذّب العبارة، حسن الإشارة، فصيح اللسان، فسيح البيان، غزير المادة، واسع الحفظ، جميل الخطط، صادق العهد، جميل الود، مأمون المغيب، رقيق الحاشية ،مليحُ النكتة، فكه الأخلاق، سريع الفهم، متلهب الذكاء.

معتدل القامة إلي الطول، ممتلئ الجسم إلي السمن، قوي البنية، وضّاح المحيا، صبيح الوجه ، أسود العينين واسعهما، معتدل الأنف والفم، أسود الشعر ، قد وخطه الشيب قليلاً.

تلقي علومه في مدرسة الرهبان الفرنسيسكان بحلب ، ثم أكمل دروسهُ في مدرسة عينطورا بلبنان ، وقرأ العربية والسريانية في مدرسة الشرفة بلبنان أيضاً، وهو

من قصيدة: الكون شعرٌ

في رثاء نقولاوس الصائغ

الكونُ شعرٌ مُبدِئُ الأحياءِ ... أوحى به لقرائح الشعراءِ

والشاعر المطبوع يحكي نَحْلةً ... تجني أزاهرَ روضةٍ غَنّاء

حلّتْ عليه نعمةٌ من ربِّه ... وحِجاهُ ضاء بنور وحيٍ سماء

يسري على نهج الهداية ناكباً ... عن عَسْفِ وَعْثِ التِّيهِ والإغواء

فتراه يُطْري تارةً ما في الدُّنَى ... وتراه طوراً شاعرَ الخضراء

أما الشُّوَيْعر فالهجاءُ نصيبُهُ ... ما يَرى في الأرض والعلياء

فتراه ينفثُ تارةً سمّاً على ... هذي الرياضِ كحيّةٍ رَقْطاء

وتراه طوراً خابطاً في وصْفِه ... تلك الدَّراريْ الزُّهْرِ كالعشواء

يا «صائغاً» دُرَرَ القريضِ قلائداً ... أزرتْ بعِقْدِ الغادةِ الحسناء

ياراهباً متبتلاً عَفَّ الرِّدَا ... يا مؤمناً باللهِ والإيحاء

لا زال ذِكْرُكَ بيننا مُتَأَرِّجاً ... أرَجَ النسيم بجنَّةٍ فيحاء

ما غرَّدتْ أطيارها وتفاخَرَتْ ... بنشائدِ «الحسّون» والوَرْقاء

يتكلم ويكتب جيداً بالفرنسوية والطليانية، ولما رجع إلي حلب خصهُ عمهُ الطيب الذكر البطريرك جرجس شلحُتْ بكتابة أسراره ، ثم سيم كاهناً ثم رقي إلي رتبة الخورفسقفوس، وكان يعلّم في مدرسة طائفته السريانية بحلب، ثم أنشأ مدرسة سمّاها مدرسة الترقي للذكور ، وجعل منها قسماً للبنات، وكان يلقي فيها بعض الدروس، ثم نشر مجلة الورقاء ، صدر منها ستة أجزاء أكثرها مدبج بقلمه، ثم قصد مصر في أول الحرب الطامة، ولبث بها إلي سنة 1921 ثم عاد إلي الوطن، وأنتُخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في الشام.

وله من الآثار كتاب النجوي في الصناعة والعلم والدين، وأرجوزة عنوانها الكون والمعبد، ورسالة عنوانها الطراز المعلم في مديح مريم، والنخبة تعريب من أمثال فنلون شعراً، والشكوى أو محاورة حكيم، ومناجاة الأرواح، وكلها مطبوع وجلّها بالشعر، ولهُ مقالات في الضياء والمشرق.

وقد عاد إلي مصر قبيل كتابة هذه السطور، وإليك شيئاً من نظمه.

يـــــاليتني عـــــدتُ صـــــغيراً راكبـــــاً

دراجـــــةً بـــــين هتـــــاف وجلـــــب

ألاعـــــبُ الأحـــــداث في مســـــيرهم

ومعهـــــمُ أمشي ـــــ الهوينـــــا والحبـــــبْ

ومعهـــــمُ أركـــــض ركضـــــاً تابعـــــاَ

هـــــواهمُ وهـــــوُ مـــــدعاة الطـــــربْ

والهـــــمَّ أنفـــــي عـــــن جنـــــاني بيـــــنهم

وعـــــن فـــــؤادي بهـــــمِ أجلـــــو الكـــــربْ

وقال من مقصورة سماها الفلك النوحية:

مـــا بـــالُ أهـــل الأرض أصـــبح همهـــم

في حشـــد مـــا أمسي لهـــم عنـــه غنـــى

شـــــبانهم يتبجحـــــون ويسرـــــفون

وكـــــلّ شـــــئ عـــــاينوهُ مشـــــتهي

ورجـــــالهم لا تعتنـــــي بســـــو الغنـــــى

وســـوى الركـــوب مـــن العُـــلي فـــوق المطـــا

يســـــعون في جمـــــع الـــــثرا دون اعتنـــــا

بحلالـــــهِ وحرامـــــهِ فهـــــما ســـــوى

ألقـــــابهم تحـــــكي شـــــعور إعـــــارةِ

وُضـــعت لفـــودي أصـــلع وضـــع الهنـــا

علماؤهـــــم علـــــم الطبيعـــــة دأبهـــــم

وكهـــــولهم حـــــوز التصـــــدر للقضـــــا

فمـــــن المعـــــادن والنباتـــــات الغنـــــى

ومـــــن المناصـــــب والقضـــــا جـــــاه الفتـــــى

وكتب إلينا عند قراءته موشحنا ميلاد الربيع في مجلة الضياء:

وإيـــــــداع ميـــــــزانِ فواصـــــــل حكمـــــــةٍ

إذا دجـــــــت الأذهـــــــانُ لاح كمصـــــــباحِ

ووصـــــف معـــــاني الحســـــن في كـــــل مظهـــــرِ

بـــــــهِ درءُ أتـــــــراحٍ ونشـــــــأة أفـــــــراحِ

وتصـــــويرُ مـــــا في كوننـــــا مـــــن مشـــــاهد

بمنطـــــــق ســـــــفاح ونغمـــــــة صـــــــداح

فـــــذاكم هـــــو الشـــــعر البـــــديع وذلكـــــم

موشـــــح مـــــوري زنـــــدِ مجـــــدِ وقـــــدّاحِ

هـــــو الســـــيّد الحمصيُّـــــ ذو النبـــــل مـــــن لـــــهُ

مـــــن العـــــالم العُلـــــوي فـــــتحُ كمفتـــــاحِ

وذاكـــــــم ثنـــــــائي كـــــــالربيع وإنّـــــــهُ

ليغنـــــي صـــــحابي عـــــن زيـــــادة إيضـــــاحِ

السيد مسعود الكواكبي[1]

(1) مسعود الكواكبي (1282-1348هـ) (1865-1929م): محمد مسعود أبوالسعود ابن أحمد بهائي الكواكبي. ولد في مدينة حلب -وتوفي في دمشق. قضى حياته في سورية. حفظ القرآن الكريم، وقرأ علوم العربية والمنطق والفقه الحنفي على والده، وعلى بعض شيوخ عصره، منهم: محمد الكحيل وعبدالقادر الحمصي. ثم التحق بالمدرسة الرشدية بحلب فتعلم التركية والرياضيات والفرنسية، ثم أكب على المطالعة، وتعلم على مدرسين خصوصيين فأتقن الفرنسية والتركية كما حصل جانبًا من العلوم الحديثة كالطبيعيات والهندسة والجغرافيا والتاريخ، ثم درس فنون الخط على الشيخ محمد العريف في المدرسة الحديثة. بدأ حياته العملية في وظيفة معاون محرر مقالات (1879)، ثم عين مترجمًا بمحكمة التجارة (1883) وترقى فيها إلى رئيس كتاب (1890) وبقي فيها إلى عام (1896)، وأثناء ذلك تولى الخطابة بجامع (أوغليك)، وفي (1901) عين عضوًا في هيئة تدقيق المؤلفات بنظارة المعارف حتى ألغيت، ثم عين مديرًا لأوقاف حلب عام (1918) وبقي فيها لمدة واحد وعشرين يومًا ثم استقال، وفي عام (1921) عين كاتمًا لأسرار الرئاسة في حكومة الاتحاد، ثم أصبح عضوًا في محكمة التمييز في دمشق حتى انفضت المحكمة في (1928) فعين قاضيًا لمدينة حلب لكنه رفض الوظيفة ولزم بيته. طلب إلى الآستانة (1894) لإنشاء صحيفة تركية عربية تساند حكم السلطان عبدالحميد الثاني، فذهب ولكن الصحيفة لم تصدر، لضعف ثقته في المشروع، فعاد إلى حلب، وكانت له سفرة أخرى إلى الآستانة هي التي عين فيها في هيئة تدقيق المؤلفات. كان عضوًا في مجلس المبعوثان، وكذا في المجمع العلمي العربي بدمشق، كما كان نقيبًا لأشراف مدينة حلب، ورئيسًا للهيئة الإدارية لنقابة متولي الأوقاف بحلب. اشتهر بمواقفه العلمية والقانونية المشهورة، وحظي بتقدير مثقفي عصره، كما كان شخصية وطنية مرموقة كشقيقه المناضل المعروف عبدالرحمن الكواكبي، وفي الآستانة كان ممثل حلب في تأسيس حزب «جمعية الإخاء العربي».

- له قصائد وردت في سياق الدراسات التي ترجمت له: مقطوعات شعرية وردت ضمن كتاب: «أعلام الأدب والفن»، وقصيدة في التصوف وردت ضمن كتاب «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري»، وله قصائد وردت ضمن بعض مجلات عصره منها: قصائد ومقطوعات وردت ضمن ترجمة لحياته في مجلة الاعتصام، وأرجوزة في مناسبة تأسيس جمعية الشبان المسلمين بدمشق -مجلة الفتح- القاهرة، وقصائد أوردها محمد راغب الطباخ في مقال له بمجلة المجمع العربي بدمشق، وذكر فيه أن للمترجم ديوانًا مجموعًا.

- له دراسة بعنوان: «صياغة القص واللصق.. كتاب في خزانة» - مجلة الزهور - (جـ 5) - م 2، لصاحبها محب الدين الخطيب - القاهرة 1344هـ/ 1925م، وله كتاب: «المولد المسعودي» - بيروت 1917، وله كتاب: «تفسير القرآن الكريم» - مكتوب بخط يده على هامش المصحف الشريف الذي كان يقرأ فيه.

المتاح من شعره قليل، طاف فيه بالكثير من الأغراض الشعرية المألوفة أكثرها في الغزل، كما نظم في مدح السلطان عبدالحميد وهنأه في ذكرى مولده، وله مراسلات، وتأريخ لبعض الكتب والأحداث الشهيرة: منها تأريخه لوصول الخط الحديدي إلى حلب، وله شعر في الموضوع الديني فيه لمحات صوفية، ينزع إلى الحكمة والنقد الاجتماعي والوعظ الأخلاقي، وفيه دعوة إلى شحذ الهمم، والأخذ بأسباب التقدم ومؤازرة الإصلاح الديني والاجتماعي، وله أرجوزة يحذر فيها من آفات السلوك كالسكر والمقامرة وتبرج النساء والاختلاط بين الجنسين، وقد ارتجل بيتين رد بهما على بيتين لحافظ إبراهيم كتبا على شاهد قبر شقيقه عبد الرحمن الكواكبي، لغته قوية جزلة وبناؤه متين ومعانيه متعددة. نال من دولة الخلافة العثمانية الوسام المجيدي، ومنح درجات أخرى من الجهة ذاتها. انظر:

1 - أدهم آل جندي: أعلام الأدب والفن (جـ2) .

2 - عبدالقادر عياش: معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين .

3- محمد عبداللطيف صالح الفرفور: أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري

4- محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري (جـ1)

5- محمد راغب الطباخ: السيد مسعود الكواكبي - مجلة الاعتصام - حلب - شهرية (صاحبها محمد الكريم) - الجزء (7) - رجب 1928.

6- العلامة السيد مسعود الكواكبي-مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الجزء(1) المجلد(10) يناير 1930.

من شعره : رحلة وحنين

باللـــــــه يـــــا نَشْرَ الصَّـــــبا ... بلِّـــــغ ســـــلامي «حَلَبـــــا»

ولا تَظُـــــنَّ أننـــــي ... ســـــلَوْت هاتيـــــك الرُّبـــــا

لـــــئن ســـــلوتُ مرتـــــع الـــــظَّ ... ظِبـــــاء لا أنسَى الظَّبـــــا

فـــــإن في «الشّـــــهباء» لي ... صَـــــحْبًا تســـــامَوْا حَسَـــــبا

وقـــــد علَـــــوْا منزلـــــةً ... في العُلَـــــماء الأدبـــــا

والاتقيـــــاء الأصـــــفيا ... والشّـــــعراء الخُطَبـــــا

مـــــن كـــــل شـــــهمٍ فضـــــلُه ... عـــــن أصـــــله قـــــد أعْربـــــا

يَـــــرَى الفتَـــــى لـــــديهمُ ... مـــــن كـــــل مـــــا قـــــد رَغِبـــــا

عهـــــدتهم أهـــــل وِدا ... دٍ صـــــادقٍ مـــــن الصَّـــــبا

للـــــه كـــــم مـــــن ليلـــــةٍ ... لنـــــا تَقضَّـــــت طَرَبـــــا

فاضل متضلّع من فنون الأدب، ولهُ معرفة تامة بأخبار العرب، وقور النفس، نقي العرض والطرس، وهو من بيتٍ لهُ في الشرف والعلم جاه عريض، ولم نكن نعلم أنّهُ ممن ركب بحور القريض ، علي معرفة بهِ عهدها بعيد، ومودة بيننا ميثاقها وكيد، حتي أطلعنا لهُ في هذه الأيام، علي أبيات بخطّه أنيقة النظام، قال طال بقاؤه:

أسباب التقدم

ربِّيَ في بَـــــدْءِ المقـــــال أحْمَـــــدْ ... مصـــــليًا عـــــلى الرّســـــول أحمـــــدْ

مـــــن جاءنـــــا مـــــن جانـــــب الخَـــــلاّقِ ... مـــــتمّمًا مكـــــارم الاخـــــلاقِ

وآلـــــــه وصـــــــحبه الهادينـــــــا ... مـــــن أيـــــدوا بالجِـــــدِّ هـــــذا الـــــدّينا

وبعـــــدُ فاصـــــحوا أيّهـــــا الأُبـــــاةُ ... فإنـــــه طـــــال بنـــــا السُّـــــباتُ

بـــــدون سَـــــعْيٍ لـــــيس يكفينـــــا الـــــدُّعَا ... إذ لـــــيس للإنســـــان إلا مـــــا ســـــعَى

إن لم يصـــــاحب عمـــــلاً توكُّـــــلُ ... مـــــن الفتَـــــى فـــــذلك التأكّـــــلُ

لا فخـــــرَ في مكـــــارم الأســـــلافِ ... الا لمقتـــــفٍ مـــــن الأخـــــلافِ

مـــــا الفخـــــر في مـــــآثر الأجـــــدادِ ... ومالنـــــا منهـــــا ســـــوَى التّعْـــــدادِ

مـــــاذا يفيـــــدُ شَـــــمَمُ الآبـــــاءِ ... إذا خـــــلا النســـــل مـــــن الإبـــــاءِ

بقـــــدر اِحتياجنـــــا إلى الأمـــــمْ ... نَبْعُـــــدُ عـــــن عـــــزّةِ نفـــــسٍ وشَـــــممْ

والمـــــرء مأســـــورٌ لمـــــا يحتـــــاجُ ... حتـــــى ذوو مُلْـــــكٍ علـــــيهم تـــــاجُ

مفاسد

دَراكِ فمَـــــنْ يَـــــدْنَفْ لعمـــــركَ يـــــدفَنِ ... ومـــــا نـــــافعٌ نـــــوحٌ متـــــى قيـــــل قـــــد فَنِـــــي

دراكِ فـــــإن الـــــدّينَ يـــــزداد وهْنُـــــه ... وقـــــد صـــــار فرضًـــــا رأبُ هـــــذا التـــــوهُّنِ

هَلُـــــمَّ إلى فـــــرض التّعـــــاون إنـــــه ... بإهمالـــــه إثـــــمٌ عـــــلى كـــــلّ مـــــؤمن

وإن الـــــذي الأســـــيافُ شـــــادته قـــــبلكم ... هـــــو اليـــــومَ لا يحتـــــاج إلا لألْسُـــــن

إلام تُمـــــاشي الغـــــربَ فـــــيما يَشـــــيننا ... حنانَيْـــــكَ إنّ المـــــرء عبـــــدُ التّمـــــزُّن

لقـــــد شـــــابَنا نحـــــن الحنيفـــــيَ مِلّـــــةً ... مفاســـــدُ مـــــا يدعونـــــه بالتّمـــــدُّن

ومهـــــما اجْتَنَـــــوْا منـــــا خِـــــلالاً حميـــــدةً ... فـــــنحن ســـــوَى سَفْســـــافهم لـــــيس نَجْتنـــــي

وكـــــم خصـــــلةٍ للـــــبعض زَيْـــــنٌ ومِدْحَـــــةٌ ... وفي جَنْـــــبِ بعـــــضٍ مَطْعَـــــنٌ أيُّ مَطْعَـــــن

ويـــــدون مـــــن نظمـــــي وخطـــــي قصـــــيدة

تخـــبّر بعـــدي عـــن حيـــاةٍ قـــد انقضـــتْ

هأنـــــــذا حـــــــي ومـــــــالي خطـــــــورةُ

مـــا أثـــري مـــن بعـــد عينـــي إذا مضـــتْ

وقال:

وأن غـــــــرّ غـــــــرا أن خلقـــــــي هـــــــيّنُ

وشـــــاهدَ بي مـــــا لـــــيس يعـــــدو حقيقتـــــهْ

صـــــفوتُ كـــــماء المُـــــزنِ فالعـــــذر بـــــيّنُ

لمـــــــــــن رام شربي أو رأى فيَّ صـــــــــــورتَهْ

وقال ولعله يعرّض:

صـــــحتُ فـــــما أثّـــــرِت في ذي تعنّـــــتِ

لـــــهُ إذن صـــــمّتْ عـــــن النصـــــح والزجـــــرِ

وإن الصـــــواب المحـــــض بـــــادٍ وظـــــاهرِ

يـــــراهُ ذوو حجـــــرِ وأيـــــن ذوو الحجـــــرِ

ومـــــا نـــــافعي مشـــــيي إلي وجهـــــة الهـــــدى

إذا كنـــــتُ في فلـــــك إلي عكســـــها يجـــــري

تقلد في أول شبابه الكتابة في محكمة التجارة بحلب، ثم عُيّن فيها رئيس الكتاب، ثم أنتخُب عضواً لمجلس المبعوثان العثماني نائباً عن حلب، ثم عين نقيب الأشراف فعاد إليها، ثم رُشّح للإفتاء، ثم تقلد أمانة الكتابة لرئيس الإتحاد السوري، ثم عُيّن عضواً في محكمة التمييز بالشام إلى اليوم، وكان في مناصبهِ كلها مثال الاستقامة، ناصح

الجيب، وقد طُوي باطنه علي مثل ظاهره، وهو عارف بالتركية جيّداً وكاتب بها، ولهُ وقوف تام علي القوانين التركية والكتب الشرعية، سريع اليد في الكتابة ، وإذا رقّن كتبه كانت سطورها سبائك الفضة، وهو مولع بالإتقان، وقد انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي.

رَبعة نحيف البدن، عصبي المزاج، أسود العينين، مليح الأنف والفم، رقيق الشفتين، حنطيّ اللون، مخروط الوجه، قد تقشّع فيه الشيب، وهو شقيق المرحوم عبد الرحمن الكواكبي الشهير صاحب كتابي طبائع الاستبداد وأمْ القرى.

فاضل لهُ من العلم قسط معروف، ومن فن التاريخ سهم موصوف، واسع الإطلاع، كثير التنقيب، جيّد الحفظ، جميل الرقعة، منمق الخط ، ولنا بهِ معرفة قديمة، وبيننا صحبة عهودها غير ذميمة.

معتدل القامة، ممتلئ الجسم، قوي البنية، جهير الصوت، أبيض اللون، مستدير الوجه، أسود العينين، معتدل الأنف والفم، كبير الرأس والمنكبين، كبير اللحية، وقد تعجلّه الشيب فعمهُ، حديد المزاج، قليل المزاح، نقي الصدر، محب للمباحث التاريخية، ولا سيما ما لهُ علاقة بطائفة المارونية.

تلقي دروسه العربية والسريانية في مدرسة مار عبدابهرهريا، ثم سيم كاهناً وعاد إلى حلب ثم رقي إلي رتبة خور فسقفوس.

ولهُ من الآثار، المستطرفات في حياة جرمانوس فرحات، والتحفة الأدبية في مجامع الموارنه ، والطرفة الشهية في الرهبانية الفرنسيسية، وتقويم المطبعة المارونية، ومقالة في آثار حلب نشرت في مجلة الآثار، ورسالة في رحلة إلي طرابلس عاصمة الحيثيين، والحق القانوني عند الموارنة وهو تحت الطبع، ومقالات في مجلات المشرق وكوكب البرية والزهور ، ورسالة السلام ،وقد انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي، وقرض الشعر قليلاً.

قال يهنئ المطران يوحنا مراد بعوده من سفر:

ألا أيّهـــــا الحـــــبر المعـــــزّز شـــــأنهُ

بعـــــودك صـــــاغوا التهنئـــــات وحـــــبروا

مللـــــت الثـــــوى حتـــــي طربـــــت إلي النـــــوى

وحتـــــى رأيـــــت الأرض تطـــــوى وتنشَرُ

فسرت إلي مجد إلي سؤدد إلي

محط السُهى حيث العلاء مصدَّرُ

إلي رومه وأستانةٍ وفرنسةٍ

بلاد علي كل القواعد تفخرُ

ومنها:

بعودك أضحت بعلبكَّ حفيّةً

تصفّق من فرط السرور وتطفرُ

فلا أوحش الرحمان منك معاهداً

علي مرّ أيام بأنسك تعمرُ

وقال يعزي:

حباك الله يا إلياس لطفاً

علي أنطون بالأجر الجزيلِ

فمن إحسانهِ كافاهُ خيراً

فما أحراك بالصبر الجميلِ

وقال تاريخاً ليطرّز علي قطيفة سنة 1902

أخت العفاف كميلةً قد شمت منكِ تلطفا

بالعيد إذ أَرَخَت يدي تهديك تذكار الوفا

باسيل الفرّاء[1]

(1) باسيل الفرّاء (1300-1366هـ) (1882- 1946م): باسيل بن فتح الـلـه الفراء، ولد في مدينة حلب وفيها قضى حياته، وفي ترابها ثوى. تلقى دروسه في مدرسة الفرنسيسيين بحلب، فتعلم العربية والفرنسية والطليانية، وقد تفوّق في الفرنسية، وتلقى علومه العربية على القس توما أيوب. اشتغل موظفاً في محل تجاري، ثم في المصرف السلطاني العثماني، وتدرج وظيفياً في هذا الاتجاه. أطلق عليه لقب «شاعر الكلمة» لنشره شعره في مجلة حلبية كانت تحمل اسم «الكلمة».

- نشرت له مجلة «الكلمة»- الحلبية- قصيدة: «السبع وصايا»- الجزآن 10،11 عام 191، ونشرت له قصيدة: «كيتا وفتح الـلـه فازا بالمنى»- بمجلة «الضاد»- الحلبية- العدد 5- أيار 1935 ، وفي كتاب: «أدباء حلب» قصائد أخرى للمترجم له. تنوعت موضوعات شعره، فتغزل، ووصف، ورسم الشخصيات، ورثى، ونقد، وقال في الحكمة والزهد وأشواق الأرواح، ويبقى غزله جامعاً لخصائص إبداعه في إيقاعاته الرشيقة، وصوره المستحدثة الطريفة، وألفاظه المتدفقة السلسة، بما ينبئ عن ذوق سليم، ودراية بفن الشعر، وتفاعل مع مطالب العصر ومستحدثاته. انظر: عبدالـلـه يوركي حلاق: شعراء عرفتهم - مجلة الضاد - حلب - العدد 6 - حزيران 1979 .

من شعره: اذكريني

اذكريني، واذكري قلبي الجريحْ ... عندما يدعوكِ داعٍ للصلاةْ

إن نفسي مثلما قال المسيحْ ... حزنُها لا ينقضي حتّى المماتْ

آهِ وا شوقي لذيّاك الضريحْ ... حيث يلقى راحةً منّي الرُفاتْ

حيث تُمسي أعظمي تحت الثرى ... في أمانٍ من خداع البشرِ

وتنادي ثَمَّ ما قد قُدِّرا ... فاسمعي الصوتَ وصَلّي واذكري

كرري اللحن(تتمة قصيدة في المتن)

وَهْو ريحانةٌ وراحٌ وروحٌ ... لفتًى راحَ يسكب الدمع عندم

أنا صَبٌّ بكل فنٍّ جميلٍ ... وبكل الفنون روحيَ تحلم

أعشق الفن من جوًى لا أبالي ... ذقت شهدًا بالعشق أو ذقت علقم

ليس شهدًا ما كان صنع الخلايا ... ليس مُرّاً ما طعمه شابه السُّم

إنما الشهد ما استلذّته روحي ... ليس ما طاب بالمذاق وفي الفم

ولذا الصبرُ في فمي كان حلوًا ... إذ تحقّقت أن عُقباه مَغنم

إنّ لحنًا سمعتُه منكِ أوحى ... ليَ شعرًا بأصغريَّ تَحكَّم

فاذكريني إذا مددتِ يمينًا ... نحو عاجٍ كي تسحري كلَّ مُغرم

واذكريني إذا مـــــددتِ شـــــمالاً ... هـــي والعـــاج بالصـــفاوة تـــوأم

فـــإذا كنـــتُ في الوجـــود فقلبـــي ... يتعـــزّى بالـــذكر حينًـــا ويـــنعم

وإذا كنـــتُ في الخلـــود فروحـــي ... بالأمـــاني في خُلـــدها تـــترنَّم

فـــاذكري وارحمـــي قتيـــلَ فنـــونٍ ... رحـــم اللـــه ذاكـــرًا كـــان يـــرحم

يا زائرًا

يـــا زائـــرًا شـــهباءنا لـــك منـــزلٌ ... في كـــل مجتمـــعٍ وكـــل جَنـــانِ

أنـــت الحبيـــب لكـــل قلـــبٍ مُولـــعٍ ... بالحُجّـــة العظمـــى وبالبرهـــان

طالعـــتُ مـــا ألّفْتَـــه فـــإذا بـــه ... ذوقُ الرحيـــق ونكهـــة الريحـــان

حِكَـــمٌ وفلســـفةٌ تضـــارع في المعـــا ... ني مـــن تفـــوّق مـــن بنـــي اليونـــان

أو أنهـــا روحٌ أتـــت وادي الفـــري ... كـــةِ عـــن طريـــق معـــزّة الـــنعمان

فمـــن الأمـــين إلى المعـــرّي نســـبةٌ ... تُغنيـــك عـــن شرحـــي وعـــن تبيـــاني

هـــي نســـبةٌ قدســـيّةٌ مـــن فعـــل مـــا ... ضـــيها بـــدت واشـــتُقّتِ الرُّوحـــان

روحٌ كنـــور الـــنجم ترشـــدنا إلى ... طـــرقِ الصـــلاح وسُـــنّة العمـــران

وكـــذاك روحٌ كلهـــا خـــيرٌ فبـــال ... معـــروفِ تأمرنـــا وبالإحســـان

لـــيس المهـــذّب مـــن يلقّننـــا كـــلا ... مًـــا جـــاء عـــن حـــامٍ وعـــن هامـــان

إن المهـــذب مـــن يســـير بفكرنـــا ... نحـــو الحقيقـــة ربّـــةِ الأكـــوان

يـــا أيهـــا الأســـتاذُ أهـــلاً مرحبًـــا ... بفتـــى الفريكـــة بـــل فتـــى لبنـــان

اســـلمْ ودُمْ ذخـــرًا فأنـــت لنفســـنا ... راحٌ وروحٌ راحـــــــةٌ «ريحـــــاني»

وقف النحل على مبسمها

وقـــف النحـــل عـــلى مبســـمها ... فـــزع العاشـــق مـــن لســـع الأثـــرْ

ضـــحكت منـــه وقالـــت مـــا لـــوج ... هـــك وهـــو المشرـــق الزاهـــي اكفهـــر

قـــال هـــذا حيـــوانٌ مرعـــبٌ ... منـــه نشـــكو ألمًـــا حيـــث اســـتقر

فانثنـــت تِيهًـــا وقالـــت يـــا فتـــى ... اتـــركِ الأوهـــام دعْ عنـــك الكـــدر

رأتِ النحلـــة شـــهدًا في فمـــي ... فأتـــت تمـــتصّ مـــا منـــه قطـــر

قـــال لا أرضى بمـــا قلـــت فـــذا ... باعتقـــادي لـــيس مـــما يُعتـــبر

أنـــا لا أنظـــر إلا لؤلـــؤًا ... تحـــت يـــاقوتٍ تخفّـــى واســـتتر

فأجابـــت والبَهـــا حليتُهـــا ... وهـــي بـــالتعريف بـــدرٌ قـــد ســـفر

هو شاعر لو انصرف إلي الأدب والنظم، لفاز منهما بالسهم الوافي الأتم ، وستجد مما ننشره لهُ أدناه، مصدقاً لما ذكرناه، غير أن صناعة الشعر وإن كانت أشرف الصناعات، فليست بأروج البضاعات، ولا هي بالتجارة الرابحة، وليست بالأمنية السانحة، فانصرف عنها المترجَمُ عليه إلى سواها، وإن كان في قلبه ما فيه من هواها.

هو باسيل بن فتح الله الفراء ، ولد بحلب ونشأ بها، وتلقي علومه في العربية والفرنسوية والطليانية في مدرسة الرهبان الفرنسيسيين بحلب، فنال منها ولا سيما الفرنسوية حظاً كافياً، ولما خرج من المدرسة اتخذ وظيفةً في محل تجاري ، وكان يقرأ ليلاً بعض علوم العربية مع غيره من الفتيان، علي المرحوم القس توما أيوب وكان من الأساتذة المشار إليهم بالبنان.

ثم دخل المصرف السلطاني العثماني ، وعُين معاوناً لأمين الصندوق ثم أميناً للصندوق في حلب ، ثم عين منذ سنتين أو أكثر مديراً لشعبة المصرف المذكور في مرسين ، وهو فيها هناك إلي اليوم بهذه الوظيفة.

وهو معتدل القامة إلي الطول، نحيف البنية، دقيق الشبح، مسنون الوجه، أبيض اللون، أسود الشعر واسع العينين أسودهما، رقيق الشفتين معتدل الأنف والجبهة، مهذب النطق، جيد التعبير، مليح الأسلوب، رقيق الشمائل سريع الفهم، ذكيّ الفؤاد.

قال في قصيدة:

عن ثغرها لا تسألنْ ... ففيهِ لبُّ الصبّ حارْ

فيه لالئ سابحاتُ ... في غديرِ من عقارْ

أنت بالأمر مصيبٌ مخطئٌ ... فاسمعِ النصّ تجدْ كشف الخبر

صنتُ باليا قوت ثغري بعدما ... في غدير الشهد نَسّقتُ الدُّرر

وكـــــذلك فيـــــهِ عقيقتـــــانِ تـــــــداومانِ الافـــــــترارْ

يحـــــكي شـــــذاه المســـــكَ أو عـــــرف الخزامـــــى والبهـــــارْ

ومنها:

يـــا بـــدر قـــل هـــل فيـــك مـــن شـــــــبه إلي ذات الســـــــوارْ

إن كنـــــت تـــــزعم أن نـــــورَك فيـــــه مـــــدعاة الفخـــــارْ

فـــــالفرق بيـــــنكما يُـــــرى كالشـــــمس رائعـــــة النهـــــار

نـــــور المليحـــــة ملكهـــــا لكـــــنَّ نـــــورك مســـــتعار

وقال يرثي أزهر نجل صديقنا العالم الأستاذ ميخائيل الصقال وكان فتى نجيباً:

يـــا مـــوت ويحـــك قـــد قصـــمتَ الأظهـــراً

وأذبـــــت حبّـــــات القلـــــوب تحسّرـــــا

أفنيـــــت مـــــا بـــــالعين مـــــن مـــــاء لـــــذا

ســـــالت مـــــدامعها نجيعـــــاً أحمـــــرا

ومنها:

قـــد مـــات أزهـــر يالهـــا مـــن نكبـــةِ

كـــــادت لهـــــا الأحشـــــاء أن تتفطّـــــرا

ومنها:

حيـــــث الحصـــــافة والرزانـــــة والحجـــــي

حيـــث الكـــمال عـــلي الجـــمال قـــد انـــبرى

حيـــــث الطهـــــارة فـــــاح طيـــــب عبيرهـــــا

حتـــــي تخـــــال الـــــنعش مســـــكاً أذفـــــرا

ومنها:

صـــــبراً أميخائيـــــل في حكـــــم القضـــــا

فـــــالمرء في دنيـــــاه لـــــيس مخـــــيّرا

إن الـــــذي أبكـــــاك مـــــرُّ فراقـــــه

لقـــــيَ الســـــعادة والجـــــزاء الأكـــــبرا

تـــــذكاره في الأرض يـــــنفح عنـــــبراً

والـــــروحُ في الجنّـــــاتِ تُســـــقى الكـــــوثرا

وقال في موسيقية بارعة:

ردّدي اللحـــــنَ رحمـــــةً بـــــالمتيَمِ

وأزيـــــلي عـــــن مهجتـــــي صـــــدأ الغـــــمْ

وابعثـــــي الـــــراح للفـــــؤاد فروحـــــي

نـــــزل اليـــــأس في خباهـــــا وخـــــيم

والمسيـــــ العـــــاج بالبنـــــان فكـــــم أنطقـــــتِ

بـــــاللمس والإشـــــارة أبكـــــم

إذا لـــــدي لمســـــكِ الجـــــماد رأينـــــا

معجـــــزاتٍ لهـــــا اللســـــان تلعـــــثم

كـــــان عاجـــــاً فـــــاهتز بعـــــد أنـــــينِ

وغـــــــدا العـــــــاج ناطقـــــــاً يـــــــتكلّم

إنّ عزفـــــــاً ســـــــمعتُ منـــــــكِ لعـــــــزفُ

أنـــــــا أدري بمـــــــا حـــــــواه وأعلـــــــم

هـــــــو للصـــــــبّ بـــــــالفنون نعـــــــيمُ

ولكـــــــلّ مـــــــن الجراحـــــــات بلســـــــم

لفتـــــــي ذاب مـــــــن جـــــــواه فأمسى

مثـــــــل بـــــــرج أركانـــــــهُ تتهـــــــدّم

وإذا قيـــــــلَ مـــــــا بـــــــه فـــــــأجيبي

اعـــــــــذروهُ فروحـــــــــهُ تتـــــــــألمّ

الشيخ إبراهيم الكيّالي[1]

شاعر سمح القريحة، ذو نكات ظريفة وقوافِ مليحة، مطبوع علي النظم، قد خاض من بحاره العذب واليم، ثم قاطعةٌ منذ مقاطعة الشباب، واحتلال مكانة الثقيل من الأصحاب.

هو ابن السيد صالح ابن السيد سعيد ابن السيد أحمد أبي الخير الكيالي الرفاعي ، من بيت علم شهور، وفضل مذكور، ولد بحلب ونشأ بها واستفاد كثيراً من تردده علي مجلس الإمام العلامة المأسوف عليه قاضي القضاة الشيخ بشير الغزّي.

وهو فصيح اللهجة، حسن البيان، مطمئن النفس، سلس القياد، خفيف الروح، حلو العشرة، كثير المزاح. ربعة القوام، أبيض اللون، أسود العينين والشعر، متناسب الأعضاء، حسن الملامح.

وإليك شيئاً من شعره:

ولقد يعللني الحبيب بموعدِ

منه وأعلم أنهُ لا يصدقُ

---

(1) إبراهيم الكَيّالي (1287-1361هـ) (1870-1942م): إبراهيم صالح الكيالي. ولد في مدينة حلب وتوفي فيها. قضى حياته في سورية. تلقى علومه عن الشاعر بشير الغزي. نشط بشعره مدافعًا عن الفكر العثماني ومحاربًا دعاة التحرر منه واعتبرهم مساندين للاحتلال البريطاني، وهاجم ثورة الحسين على الدولة العثمانية في الحجاز (1916) وهجاه في شعره.

- له ديوان مخطوط. المتاح من شعره قليل، في الأغراض التقليدية من إخوانيات ومدح وهجاء ووصف وشعر سياسي وخمريات ومخمسات، تأثر في خمرياته بأبي نواس، ويعتبر ديوانه سجلاً حافلاً بالأحداث التي مرت بتلك الفترة، أكثر من المحسنات البديعية، كما تأثر في وصفه بموروث الشعر العربي القديم، لغته سلسة عذبة، ومعانيه واضحة، وبلاغته تقليدية. انظر:

1 - سامي الكيالي: الحركة الأدبية في حلب 1800 - 1950 -

2 - أحمد دوغان - جريدة الجماهير - حلب - يناير 1998. .

مـــــا حيلتـــــي أنـــــا غـــــارق في حبـــــهِ

إن الغريـــــق بكـــــل حبـــــل يعلـــــقُ

وقال من خمرية وأحسن:

مـــــدّت أبـــــاريقي لهـــــا أعناقهـــــا

شـــــوقاً كفعـــــل العاشـــــق الملتـــــاحِ

طـــــارت إلي اســـــتقبالها بطّاتنـــــا

وقلوبنـــــا طـــــارت بغـــــير جنـــــاحِ

واصـــــطفت الأكـــــواب ماثلـــــة وقـــــد

قامـــــت عـــــلي أقـــــدامها أقـــــداحي

وســـــعت عـــــلي أيـــــداي النـــــدامى بعـــــدما

أشـــــباحها كانـــــت بـــــلا أرواحِ

برقـــــت أســـــارير الزجـــــاج وأغربـــــت

بالســـــب قهقهـــــة مـــــن الأفـــــراحِ

كانـــــت إذا اســـــتنطقتها خرســـــا وهـــــا

هـــــي أن دعـــــوت تجبـــــك بالإفصـــــاحِ

وقال:

لقـــــد دق منـــــه الخصر عـــــن درك نـــــاظري

لعمـــــري حتـــــي رحـــــت أحســـــبه لغـــــزا

إذا مـــــا نضـــــا يومـــــاً ســـــيوف لحاظـــــهِ

فيـــــا ويـــــح أكبـــــاد بأســـــيافها تغـــــزا

ومنها:

يصـــــد فيغرينـــــي بـــــهِ رمـــــز لحظـــــهِ

فهاأنـــــذا أقضي ـــــ ولا أفهـــــم الرمـــــزا

وكانـــــت قنـــــاتي لا تلـــــين لغـــــامر

فقـــــد صرت مـــــن ألحاظـــــهِ أعشـــــق الغمـــــزا

وقال مخمّساً لامية المعري:

بغـــــير مقـــــام الفضـــــل لســـــت أفاضـــــلُ

وعـــــن غـــــير أبكـــــار العُـــــلى لا أناضـــــلُ

أقـــــول وقـــــول الحـــــق مـــــا أنـــــا قائـــــلُ

ألا في ســـــبيل المجـــــد مـــــا أنـــــا فاعـــــلُ

عفـــــاف وأقـــــدام وحـــــزم ونائـــــلُ

ومنها:

وقـــــد زادني زهـــــداً بعيشي ـــــ فـــــاجر

يطـــــاول أربـــــاب العُـــــلى وهـــــو قـــــاصرُ

أقـــــول وقـــــولي في البريـــــة ســـــائرُ

إذا وصـــــف الطـــــائي بالبخـــــل مـــــادرُ

وعـــــيّر قسّـــــاً بالفهاهـــــة باقـــــلُ

ومنها:

ودامـــــت عـــــلي الأدبـــــار للـــــدهر شـــــيمةُ

ولم تبـــــدُ للإقبـــــال يـــــا ســـــعد ســـــيمةُ

ولم تســـــمُ يومـــــاً للمعـــــارف قيمـــــةً

فـــــيما مـــــوتُ زرْ أنّ الحيـــــاة ذميمـــــةُ

ويـــا نفـــس جـــدّي إن دهـــركِ هـــازلُ

ومنها وأحسن:

كـــأن ذكـــاء الأفـــق أدعـــى ســـطوعها

لنحسي ـــ فـــلا يُرجـــي لعينـــي طلوعهـــا

كـــأنّ نجـــوم الليـــل معـــيٍ ضـــليعُها

كـــأن الثريـــا والصـــباح يروعهـــا

أخـــو ســـقطةٍ أو ظـــالع متحامـــلُ

الخوري قسطنطين الخضري النائب الأسقفي علي حلب

ولد بحلب سنة 1857 مسيحية

أحد أفراد الأذكياء، ولبيب من نوابغ الألبّاء، راجح حصاة العقل، سهل الجانب متوفر الفضل، خطيب رطب اللسان، حسن البيان، صادق الجنان، إذا ارتقى فوق المنبر، قيل كأنما هو الذي حكي عنه الحريري وأخبر، " فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه،ويقرع الأسماع بزواجر وعظه" ، ولهُ نظر يخترق حجب الضمائر، ويكاد يقرأ مكنونات الخواطر، وألمعيّةٌ ناطقة، وفراسة صادقة، مطّلع علي طائفة من العلوم العربية، ولهُ إلمام بكثير من المعارف العصرية، متبحّر في علمي الجَدل والكلام، يحل عويصات المسائل حلّ إمام، مهذّب العبارة، حسن الرواية، يميل إلي النادرة والمزاح.

معتدل القامة إلي الطول، عصبي المزاج نحيل الظل، أبيض اللون متناسب التقطيع، قد عمّهُ المشيب، سليم الذوق، جيّد الحفظ، عليم بمواقع اللفظ، خبيرُ بنقد جيّده ورديئة، يعبّر عن ضميره بأجلي العبارات، صادق الودّ، كريم العهد، وهو أقدم أصحابنا ، وأكرم أحبابنا، وأطول الخلان لنا عشرة، وأوفرهم بنا خبرة، وأحفظهم لمنثورنا والمنظوم، ومن نباهي بفضله وصداقته بين العموم.

لهُ أربع مجلدات من المواعظ ينوي طبعها، وقرض الشعر قليلاً، وكان أطلعنا لهُ علي شيء منه، فلما طالبناهُ بهِ لنثبتهُ هنا أبي علينا ذلك، منكراً أن تكون لهُ يد في الشعر، وأن الذي كان رواه لنا نظم قصد به تمرين نفسه علي القريض أيام شبابه، ثم علم أن القريحة الشعرية ليست من أصحابه، علي أننا وقفنا لهُ علي الأبيات الآتية نظمها منذ عهد قريب وفيها معني حسن ولعلّهُ مبتكر ، قال أطال الله عمره.

يقولون لي قد كنت تسرع في الخطى

فلِم صرت تمشي اليوم والخطو كالطفلِ

لقد صدقوا إذ أنني كنت حاسباً

طريقي طويلاً يقتضي خفة الرجلِ

ولكنـــــي مـــــذ بـــــان لي قصرُـــــ المـــــدى

تباطـــأتُ حتـــي بـــتُّ أمشيـــ عـــلي مهـــلِ

هو قسطاكي بن يوسف بن بطرس بن يوسف بن ميخائيل بن بطرس بن يوسف بـن إبـراهيم بن سليم بن ميخائيل مسعد الحمصي الجدّ الأعلى الذي قطن بحلب.

حدثت هجرة عن حمص في الربع الأول من القرن السادس عشر لأسـباب طمسـتها ظلـمات تأريخ ذلك القرن في هذه البلاد، ولعلها منبعثة عن غارة الترك وافتتاحهم سورية، فهجر حمصاً كثـير من أهلها أو بأمر الفاتح السلطان سليم الأول، وتفرقوا في سائر مـدن سـوريا، وكـان فـيمن هجرهـا ميخائيل مسعد سنة 1517 فهبط إلي حلب وقطـن بهـا، وقيـل لأول أولاده سـليم مسـعد الحمصي- نسبةً إلي مدينة حمص وطن أبيه، ثم زالت الكنية علي توالي الزمن وبقية النسبة.

وكانت من هذا البيت في دمشق أسرة أنطوان الحمصي وجدُّها الأعـلى ميخائيـل بـن سـليم ، توطن الشام.

وكذلك أُسَرُ الحمصي في مرسيليا وباريز ولندن، فهي من الأسرة الحلبيـة إذ هجـر حلـب اثنـان منها، هما الإخوان ميخائيل وجرجي سنة 1818 ونزلا مرسيليا وأعقبا فيها.

هكذا ساق أصل هذا البيت الكاتب الأديب الفرنسوي فاستون بن أنطـون بـن ميخائيـل بـن يوسف الحمصي ، المولود والمقيم في مدينة مرسيليا، في مشجّر مطبوع ومؤلف آخر، عن أصل أسرتـه وصعد بها إلي الجد الأعلى (بيير) ده لاماس الفرنسوي المكني بمسـعد Pierre De la masse أحـد نـبلاء الصليبيين ، سكن حمصاً وأعقب فيها، وقد يكون حل طـرابلس أولاً ثـم تـوطن حمصـاً هـو أو أحـد أعقابه.

مـولدهُ

ولد المترجم عليه بحلب سنة 1858 في الرابع من شهر شباط قُبَيل الفجر ، وهـو ثـاني الـذكور ورابع ولد لوالديه ، يوسف الحمصي وسوسان بنت عبد الـلـه بن جبرائيل بن يوسف بـن مـتري بـن جرجس بن يعقوب بن فياض بن يعقوب بـن ديمـتري المـدعو بمـتروك الـدلاّل، والبيتـان مـن أشـهر بيوتات حلب.

وفقد والده وهو في الخامسة من سنّيهِ فربّتهُ والدتهُ- وكانت من فُضليات النساء تحسن القراءة وتحب الشعر- مع إخوته الثلاثة وأخواته الاثنتين في نعمة وافرة، وتوفيت والدته في السنة 1888 فأرخ وفاتها صديقهُ الحميم الإمام الشيخ إبراهيم اليازجي بالأبيات الآتية:

مـــــــــن آلِ دلاّل كريمـــــــــة معشرِ

أدمـــــــي النـــــــواظرَ بينُهـــــــا والأكبُـــــــدا

ولـــــت وقـــــد تركـــــت لنـــــا مـــــن بعـــــدها

ذكـــــــــراً جمـــــــــيلاً بـــــــــالمراحم رُدّدا

نزلـــــت ثـــــري الحمصي ـــــ يوســـــفَ بعلهـــــا

فثـــــوت بجانبـــــهِ كـــــما حكَـــــمَ الـــــردى

فكتبـــــــتُ تأريخـــــــاً يُســـــــطّر حولهـــــــا

يـــــا تربـــــةَ السوســـــان بـــــاكرِكِ النَـــــدى

1888

فُتوتّه ودروسه

أتم في الحادية عشرة من عمره تعلم القراءة العربية ومبادئ الخط في كتّاب طائفتهِ الروم الملكيين بحلب ، ثم انتقل منهُ إلي مدرسة الآباء رهبان مار فرنسيس، ودرس فيها مبادئ اللغتين الفرنسوية والطليانية والنحو، لكنه لم يقم بها سوي خمسة عشر شهراً كان فيها مثال الاجتهاد.

وأول شعر قالهُ هجا بهِ أحد رفاقه في المدرسة المذكورة وذلك في الثالثة عشر من سنّه، فشكاهُ المهجو إلي رئيس المدرسة يومئذ الأب كودنسيو المعروف بالأب فرح، فاستدعاهُ إليه وسأله هل الشعر لهُ، فلم ينكر مع شدة خوفه من العقاب، ولكن الرئيس المشار إليه كان يحب اللغة العربية، عارفاً بنحوها وصرفها جيداً، وعلي جانبٍ عظيم من

الحلم والدعة، فوبخّهُ بلطفٍ قائلاً أن اللـه قد منحك موهبة سامية فيجب عليـك أن لا تصرفها في غير موضعها، والهجاء مذموم مكروه، ولا سيما لأحد رفاقك في المدرسة.

فخرج من غرفة الرئيس وهو يكاد لا يصدق أذنيه بما سمعتا ويقول في نفسهِ إذن أنـا حقيقـة شاعر، ولم يكن أطّلع علي شئ من علمي العـروض والتصريف، ولا درس إلا الأجروميـة وشـيئا مـن بحث المطالب، فزادت رغبته في درس النحو والصرف، ونـال تلـك السـنة في الامتحـان أول جـائزة في العربية.

ولما ترك المدرسة المذكورة، ولم يبلغ من اللغات الـثلاث إلا القليـل أو دون القليـل، أقـام عـلي دراسة الفرنسوية والنحو بعض أشهر علي قسيّس كان يدرّس في بيته بعض الفتيان، ولم يسـتفد مـن ذلك كله غير القراءة والكتابة والتكلم بالفرنسوية قليلاً.

ثم أكب علي المطالعة بنفسه ولكن لا كما كان يريـد، لأنـه منـذ السادسـة عشر عكـف عـلي الأعمال التجارية في محل أبيه وجده، وكـان باقيـاً عـلي اسـم جـده وأولاده بعنـوان بطـرس حمصي وأولاده، ومعدوداً في رأس البيوت التجارية بحلب، وكان يديره بعد وفـاة والـده، رجـل أمـين يُـدعي الشمّاس بطرس دوناطو، وهو من أفراد البشر عفافاً وأمانة، وتقشفاً وقناعـةً، وصـدقا وسـذاجة، إلي فضائل ليس هذا موضع ذكرها.

وقد يكون المؤلف أشط عن الموضوع في ذكر هـذا الرجـل والمحـل التجـاري، ولكـن أنى لـه أن يتعرض لذكر فتوته في ترجمته، ويعرض عن ذكر اسـم المـربي الصـالح والوالـد الثـاني والأسـتاذ، فقـد علمّه مسك الدفاتر وحساب الزنجير، كما كان يُسمّي يومئـذٍ، وهـو المعـروف بحسـاب الـدوبيا، ولم يكن يعرفه إلا قليلون في سوريا، ولو لم كان يكن لهُ عليه سوي هذا الفضل، لكفـى بـهِ حقـاً يوجـب علي ذمته ذكره في كل يوم، ولله درّ القائل :

أقـــــدّم أســـــتاذي عـــــلي فضـــــل والـــــدي

وأن كـــــان لي مـــــن والـــــدي الفخـــــرُ والشرـــــف

فـــــذاك مـــــربي الـــــروح والـــــروح جـــــوهرُ

وهـــــذا مـــــربي الجســـــم والجســـــم مـــــن خـــــزف

غير أنه مع عكوفة علي التجارة، لم يهمل المطالعة ، ولاسيما دراسة النحو والصرف والفرنسوية، ثم درس ليلاً علم العروض علي الخوري جرجس دلاله، حتي شهد له ببلوغه منه الغاية، وكان أستاذه المذكور إماماً في النحو والصرف والعروض كما سبق في ترجمته.

شبابهُ والرحلة الأولي إلي أروبا

فشا الهواء الأصفر في حلب سنة 1875 فرحل عنها المترجم عليه مع أخويه وبعض أقاربهم إلي مدينة مرسيليا، وفيها بيوت عمَّيه وغيرهم من آل الحمصي الذين قطنوا بها منذ سنة 1818 كما سبق القول، فظل فيه سنة استفاد بها سهولة التكلم بالفرنسوية، حتي كان يظنه الفرنسويون فرنسياً بحتاً، وأخذ نحو خمسين درساً في الفلسفة علي أستاذ يُسمي الأستاذ جاكمان، وزار باريس، ثم رجع إلي بيتهِ في حلب وأقام بها سنة يتعاطي أعماله التجارية والصيرفة، ولا يلهو عن الدرس والمطالعة في سائر ساعات فراغه.

الرحلة الثانية إلي باريس

ولما أُعلن افتتاح المعرض العام في باريس سنة 1878 لج به داعي الشوق إلي مشاهدة بدائعه وغرائبه ، فقصد مرسيليا ثانية وأقام بها نحو شهرين ثم قصد جنة الدنيا باريس، وظل بها شهرين تمتع بهما من زيارة المعرض نحو ثلاثين مرةً، وكان يصحبه في أكثرها خالهُ المأسوف عليه جبرائيل الدلال ، إذ كان يعرف باريس كعالمٍ من أبنائها، وقد استفاد المترجم عليهِ من سعة معارفه ودقة انتقاده، وقد كان خالهُ المشار إليه واسطة التعرف بينهُ وبين العلاّمة الفاضل عبد الله المراش في باريس نفسها.

ثم رجع إلي حلب يمارس فيها أعمالهُ في التجارة والصيرفة، وذلك بعد أن قضي سنة كاملة في فرنسا، وبعد عودته تزوج ، وكان أشد عكوفاً علي نظم الشعر والمطالعة في كتب العلوم ، ولا سيما في كتب اللغة لشغفهِ بها وميلهِ إليها بسائق الطبع، وفي كتب الانتقاد الفرنسوية.

وزار بيروت سنة 1882 واجتمع بعددٍ غفير من علمائها وكتابها ، في رأسهم الشيخ إبراهيم اليازجي والدكتور كرنيليوس فانديك والدكتور يوحنا ورتبات والدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر ، وأديب أسحق والشيخ إسكندر العازار وحسن أفندي بيهم والشيخ يوسف الأسير وداؤد نحول ، وغيرهم من فضلاء العصر وكواكب بيروت، واستمر بينهُ وبين كثير منهم المراسلة والصداقة إلي اليوم، ومنذ يومئذ عُقدت الصداقة الخاصة بينه وبين علاّمة العصر الإمام الشيخ إبراهيم اليازجي الطيب الذكر والأثر، وامتدت حتي وفاة الإمام لم يشبها يوماً كدرُ، وكانت بينهما مدائح ومراسلات استمرت نحو ربع قرن، وقد نشر المترجم عليه أكثر رسائل الشيخ بعد وفاته في مجلة النفائس العصرية التي كانت تطبع في القدس.

وعقب عودته من بيروت بعث بأول قصيدة إلي صديقهِ الشيخ إبراهيم اليازجي سنة 1883 ولابدّ من نشر بعضها فإنها من شعر الشباب، ولا شئ أعزّ علي المرء من تذكار الشباب وأيامه، ويقظاته وأحلامه، والصبي ومراتع آرامه ،

قال:

يـــــا رســـــولي اذهبـــــا فأبلغاهـــــا

أننـــــي اليـــــومَ قـــــد ســـــلوتُ هواهـــــا

جهلـــــت قـــــدر صـــــبّها ثـــــم جـــــارت

واســـــتطالت بحكمهـــــا وقضـــــاها

طـــــال منهـــــا البعـــــاد فاعتـــــل جســـــمي

ثـــــمَّ عّللـــــتُ نـــــاظري بلقاهـــــا

زاد منهـــــا النفـــــارُ لمـــــا التقينـــــا

فتمنيـــــتُ لـــــو أطالـــــت نواهـــــا

ومنها:

لم أطلـــــع للســـــلوّ حكـــــماً ولكـــــن

ســـــاقني ظلمهـــــا ونقـــــص وفاهـــــا

كنـــــت عبـــــداً لهـــــا أرى الـــــذلّ عـــــزّاً

في خضـــــــوعي وطـــــــاعتي لعُلاهـــــــا

فجفتنـــــــي وأننـــــــي خـــــــيرُ حـــــــرّ

مـــــن كـــــرامِ بالمجـــــد تحمـــــي حماهـــــا

كـــــم ليـــــالِ قضـــــيتها وألـــــيم الســـــهد

قـــــد نـــــاب عـــــن لذيـــــذ كراهـــــا

ومنها:

مـــــا اجتمعنـــــا للعتـــــب إلا وكـــــان الـــــدَلُّ

منهـــــا يزْيـــــد نفسي بلاهـــــا

مـــــا عليهـــــا لـــــو عّللتنـــــي بوصـــــلِ

وشـــــفت مهجتـــــي برشـــــف لماهـــــا

واضـــــياعَ الزمـــــانِ في حـــــب خـــــودِ

أحرقـــــت قلـــــب صـــــبّها بقلاهـــــا

ومنها:

لـــــن تـــــرى عمرّهـــــا محبّـــــاً نظـــــيري

وأنـــــا لـــــيس لي حبيـــــبُ ســـــواها

ولـــــئن قلـــــت قـــــد ســـــلوتُ هواهـــــا

فأنـــــا والهـــــوى عشـــــيق هواهـــــا

قـــــد ســـــلوتُ النفـــــار منهـــــا ولكـــــن

لســـــت أســـــلو جمالهـــــا وبهاهـــــا

فتنـــــة العـــــالمين جـــــلَّ الـــــذي مـــــن

جـــــوهر اللطـــــف والجـــــمال براهـــــا

ومنها في التخلص إلي المدح:

حـــــرتُ في عشـــــقها كـــــما حـــــرت في وصـــــف

ابـــــن ناصـــــيف مـــــن بـــــه أتبـــــاهى

الإمـــــام الخطـــــير ذو الفضـــــل إبـــــراهيمُ

مـــــن قـــــد ســـــما مقامـــــاً وجاهـــــاً

واحـــــدُ العصر نـــــاصر العلـــــم قـــــاموس

القـــــوافي ومـــــن يشـــــدُّ لواهـــــا

حـــــاز بالعقـــــل فضـــــلَ شـــــيخ جليـــــل

وارتـــــدي اللطـــــف حلّـــــة واقتناهـــــا

ومنها:

لم أردْ مـــــــا بـــــــــهِ مـــــــــن صـــــــــفاتِ

فـــــــوق قـــــــدر الزمـــــــان شرحُ عُلاهـــــــا

إنمـــــــا عتبـــــــهُ لقـــــــد كـــــــان قصـــــــدي

وعـــــــن العتـــــــب ضـــــــلَّ عقـــــــلي وتاهـــــــا

ومنها:

إنّ بـــــــيروت روضـــــــة العلـــــــم لكـــــــن

أنـــــــت بـــــــدرُ حللـــــــت منهـــــــا ســـــــماها

ومنها:

فلـــــــئن ضـــــــمَّ شـــــــملنا الـــــــدهر يومـــــــاً

ســـــــيطول العتـــــــاب معكـــــــم شـــــــفاها

هاكهـــــــا كاعبـــــــاً بمـــــــدحك تاهـــــــت

ومـــــــن العتـــــــب فـــــــاح عـــــــرف شـــــــذاها

والـــــــرضى مهرُهـــــــا فـــــــإن جـــــــدتَ يابشرـــــــى

وإلا فيـــــــــا لطـــــــــول شـــــــــقاها

فأجابهُ عليها بقصيدة طويلة أيضا قال في مطلعها:

عرّجـــــــــا في ربوعهـــــــــا وســـــــــلاها

كيـــــــف تســـــــلو متـــــــيماً مـــــــا ســـــــلاها

وأعطافهـــــا بوصـــــف ســـــقمي ومـــــا بي

تنســـــــهُ مـــــــن حنينهـــــــا وجواهـــــــا

ربّ دمـــــــع أســـــــلته بعـــــــد هجـــــــرِ

مزجتـــــــــهُ بمثلـــــــــهِ عيناهـــــــــا

وليـــــــالِ تضـــــــاحك الأنـــــــس فيهـــــــا

أشـــــــفقت مـــــــن زوالهـــــــا فشـــــــجاها

يعلـــــم اللـــــه مـــــا بقلبـــــي ومـــــا تجهـــــل

مـــــــا فيـــــــهِ أنّـــــــهُ في حماهـــــــا

ومنها:

والليـــــــالي عـــــــدوّها كـــــــلّ حـــــــرٍّ

ناصـــــــبتهُ الطغـــــــامُ تحـــــــت لواهـــــــا

والعـــــــداوات كـــــــالمودات في النـــــــاس

تســـــــاوي الأقـــــــدار مـــــــن مقتضـــــــاها

ومنها:

وإذا الحلـــــــم جـــــــرَّ حـــــــرب ســـــــقاهِ

فمـــــــن الـــــــرأي أن يكـــــــون ســـــــفاها

ومنها:

وخصـــــــالُ الفتـــــــي تـــــــنمُّ عليـــــــهِ

مثـــــل ريـــــحٍ عرفتهـــــا مـــــن شـــــذاها

جلـــــدةُ اللـــــؤم لا تحـــــولُ وأن أبـــــرزّ

مـــــــن بـــــــزّة العُـــــــلي معصـــــــاها

وأخـــــو الغـــــدر لاُ يصـــــافي ومـــــا للـــــومِ

مـــــــن ذمّـــــــة تُشـــــــدُّ عُراهـــــــا

والتجاريـــــــــبُ موبقـــــــاتُ ولكـــــــن

يســـــــتفيد الحكـــــــيم مـــــــن عقباهـــــــا

وبنفسي ـــــ وإن غلـــــت نفـــــسُ حـــــرّ

لســـــت بـــــالنفس خـــــاسراً في فـــــداها

ذي ودادِ كأنـــــــهُ الفضّـــــــةُ البيضـــــــاء

زادت يـــــــدُ الزمـــــــانِ جلاهـــــــا

وذمـــــامِ كأنـــــهُ الصـــــخرةُ الصـــــماء

لاقـــــت مـــــن الخطـــــوب مياهـــــا

كامـــــل الفضـــــل في اقتبـــــال شـــــبابِ

هـــــان فيـــــهِ عـــــلي الشـــــيوخ نهاهـــــا

أكســـــبتهُ الأيـــــام حلـــــماً لـــــو ارتـــــد

إليهـــــا لم نشـــــكُ جهـــــل قضـــــاها

ومنها:

مـــــن لشـــــمس الضُـــــحي بنـــــور هـــــلالِ

مـــــن ســـــماء الشـــــهباء قـــــد حيّاهـــــا

تلـــــك شرقُ للشرـــــق قـــــد كاثرتـــــهُ

أنجـــــماً غالـــــب النجـــــومَ ســـــناها

ومنها:

وســـــقي اللـــــه أرض حمـــــصِ وحيَّـــــتْ

نفحـــــات الـــــرضي خصـــــيب ثراهـــــا

هـــــيَ فـــــردوسيَ القـــــديم ومنهـــــا

ثمـــــرات الحيـــــاة كـــــان جناهـــــا

نفحتـــــي مـــــن سرّهـــــا نفحـــــةُ حـــــين

سرَتْ هـــــزَّ غصـــــن وجـــــدي سُراهـــــا

مـــــن حبيـــــبٍ تـــــروي الصـــــبا عـــــن معانيـــــهِ

فتحيـــــــــي نفوســـــــــنا ريّاهـــــــــا

ومنها:

قـــــد أطاعتـــــهُ شـــــاردات القـــــوافي

راشـــــداتِ فأنطقـــــت مـــــن عصـــــاها

طـــــال عهـــــدي بهـــــا إلي أن جفتهـــــا

همّـــــة قصّرـــــت بهـــــا في مـــــداها

وختامها:

والتـــــــدني حســـــــبي وللـــــــدهر فينـــــــا

بـــــــدواتُ نقـــــــول ربّ عســـــــاها

وكانت للمترجم عليه ملازمة لخاله الشاعر الأديب جبرائيل الدلال المتقدم الذكر، وذلك بعد رجوعهِ إلي حلب، وقد جمع بينهما الأدب، بعدما جمع النسب، وكانت لهما مجالس انتظمت عقودها بدرر الفضل، واجتابت قرائح فرسانها الوعر والسهل، ثم ما لبث الدهر حتي عبس كعادته وتنكّر، وشتّت ذلك الشمل الجميع فأحزن وكدّر.

الرحلة الثالثة إلي فرنسا

ورد علي المترجم عليهِ من مرسيليا نعي شقيقه العزيز إسكندر في آخر صيف سنة 1892 قضي في الثالثة والثلاثين من سنّهِ، فكبر عليهِ المصاب وعز الصبر، وكان من أجمل الناس وجهاً، وألطفهم أخلاقا، وأحلاهم صوتاً وعشرةً، ذكيّا نبيهاً. وإذ كان أقيم وصياً شرعياً علي أولاده القاصرين، رحل إلي مرسيليا لتصفية محلهِ التجاري فيها، وعقب وصولهِ إليها بأيامٍ، وافاهُ نعيّ الخال الدلاّل، فأعظم فيه الخطب ولا سيما أن الجرح بفقد الشقيق كان فوق أن يندمل ببعض شهور، فكأنما كان للدهر عنده ديوان أسلفها، فارتد علي عادته يتقاضي فيه، حاسباً أنهُ أسرف عنده فيها، فرثاه بقصيدة في مرسيليا قال في مطلعها:

ضـــــاق الكـــــلام فلـــــم أجـــــد لرثائـــــهِ
غـــــيرَ الـــــدموع تفيـــــه حـــــقّ ولائـــــهِ
مـــــا كنـــــتُ أحســـــبُ عنـــــدما ودّعتـــــهُ
أن ذاك آخـــــــــر موقـــــــــف للقائـــــــــهِ
يـــــا كوكبـــــاً قـــــد غـــــاب عنـــــا نـــــورهُ
فأطـــــــال ليـــــــل الحـــــــزن في شـــــــهبائهِ

وهي مطبوعة في آخر ترجمته الآتي ذكرها.

ولما عاد إلي حلب سنة 1893 سعي في بناء سياج من الحجر علي مدافن المسيحيين في هذه المدينة، وكانت عرضة للهوان منذ القِدم، فاكتتب هو أولاً بشئ من المال، ثم اتّسى به أفراد أسرته وذوو قرباه وغيرهم من أهل المروءة، ثم طاف علي أهل السعة من النصارى فجمع قسماً باشر بهِ العمل، ولما لم يفِ المجموع بالحاجة، طاف ثانيةً وثالثةً إلي أن أكمل العمل بمدة سنتين وبضعة أشهر، ونقش فوق أبواب المدافن الأبيات الآتية:

علي الباب الأول:

مـــــــثلكم فـــــــوق هـــــــذه الأرض كنـــــــا

أمـــــــسِ واليـــــــومَ قـــــــد طوتنـــــــا القبـــــــورُ

فاخفضـــــــوا الطـــــــرف أن نظـــــــرتم إلينـــــــا

فـــــــإلي هاهنـــــــا تصـــــــيرُ الأمـــــــورُ

وعلي الباب الثاني:

خفّـــــف الـــــوطء ان مـــــررت علينـــــا

واخفـــــض الطـــــرف ان نظـــــرت إلينـــــا

هكـــــذا تنتهـــــي حيـــــاة البرايـــــا

وســـــيجرون مـــــثلما قـــــد جرينـــــا

وعلي الباب الثالث:

قـــــد ســـــعينا وراء مجـــــد وفخـــــرِ

وبنينـــــا منـــــازلاً وقصـــــورا

وتركنـــــا جميـــــع ذاك بحكـــــم اللـــــه

واليـــــومَ قـــــد ســـــكنّا القبـــــورا

وعلي الباب الرابع:

كـــــلُّ مـــــن فـــــوق هـــــذه الأرض يفنـــــى

وســـــــــيبقي الإلـــــــــهُ ربُّ الجـــــــــلالِ

لـــــــيس للمـــــــرء بعـــــــد دنيـــــــاهُ إلاّ

مـــــا أتـــــاهُ مـــــن صـــــالح الأعـــــمالِ

ولما تمَّ السياج المذكور كما سبق القول، رأي نفرُ من ذوي الفضل والوجاهة أن يهدوا إلي المترجّم عليه هدية، تكون أثراً في بيتهِ لعرفانهم وتقديرهم خدمتهُ هذه الوطنية، فجمعوا من أكثر المكتتبين بسياج المدافن شيئا من المال وأجمعوا على صنع تمثال الآلهة مينرفا (إلهة الحكمة) من خالص الفضة، وكتبوا إلى صديق لهم في باريس، أن يختار نقاشاً بارعاً يقوم بالعمل المطلوب، علي أن يكون في إحدى يدي التمثال إكليل يمثّل إكليلا من الغار، وفي الثانية قلم مذهب وأن ينتصب التمثال علي قاعدة المرمر، يُحفر في وجهها بأحرف ذهبية، البيتان الآتيان من نظم صديقهِ الحميم علامة العصر الشيخ إبراهيم اليازجي:

تـــــــــذكارُ لقســـــــــطنطين نرفعـــــــــهُ

لمـــــا أتى مـــــن جميـــــل الصـــــنع في حلـــــبِ

لّـــــما تبـــــدّت لنـــــا ألفاظـــــهُ دراً

صـــــغنا لهـــــا قلـــــماً مـــــن خـــــالص الـــــذهبِ

وتحت القاعدة المذكورة لوحُ من الصفر منقوش فيه الأبيات التالية:

آلهـــــــــة الحكمـــــــــة أهـــــــــدت إلى

شـــــــاعرنا الفـــــــرد الحكـــــــيم الهُـــــــمامْ

الشـــــــــهمِ قســـــــــطنطين ربّ النُهـــــــــى

مـــــــن آل حمصيٍ ســـــــليل الكـــــــرامْ

يـــــــراعَ تـــــــبر مخلـــــــداً حمـــــــدَهُ

لصـــــــنعه المـــــــأثور بـــــــين الأنـــــــام

يبقـــــي لـــــهُ الـــــذكر الجميـــــل الـــــذي

تأريخـــــــهُ طـــــــابَ بخـــــــير الختـــــــام

1896

ولما وصلهم التمثال المذكور، أرادوا تقديمهُ إلي المُهدى إليه في حفلة يقومون بها، فتوسل إليهم أن يقصروا ذلك على بعض خلّص خلاّنه وأهله، وهكذا تم قبول الهدية، بعد أن شكر للذين قاموا بها عنايتهم وألطافهم.

وفي سنة 1896 انتخِب عضواً لمجلس إدارة ولاية حلب، لكنهُ رأى أن يستعفي من العضوية المذكورة لوفرة أعماله التجارية، فلم يرضَ بذلك والي الولاية يومئذٍ، وهو الوزير الكبير رائف باشا.

ثم أقام دعوى علي البنك (المصرف) العثماني السلطاني لاختلاف حسابي فأستأنف المصرف الحكم إلي القسطنطينية، ورأي المترجم عليه أن يتتبع الدعوى بنفسه، لما كان للمصرف المذكور من النفاذ والرعاية هنالك، وإذ علم بقصده بعض الوزراء والكبراء من ذوي الفضل الذين أقاموا يومئذ بحلب بأمر السلطان عبد الحميد مُبعَدين، وكان بين المترجّم عليه وبينهم صداقة أحكم عقدها العلم والأدب، بعثوا إليه ببعض كتب لأصحابهم من الأكابر في القسطنطينية، وبينها كتاب إلى السيد أبي الهدي الصيادي نديم السلطان ومستشاره، وعلَم الأعلام في الدولة العثمانية وقتئذ، وكان المترجم عليه قد سبق لهُ التعارف به يوم أبعد إلي حلب بأمر السلطان نفسه، فردّ الكتاب لمرسله شاكراً.

سار عن حلب في الخامسة والعشرين من شهر سنة 1898 وقصد الإسكندرونة، ومنها ركب الباخرة الفرنسوية إلي القسطنطينية فظلت في طريقها سبعة أيام علي عادتها من الرسو في بيروت وغيرها من مدن الساحل، ولما دخلت بحر الدردنيل هاج البحر فماجت السفينة وأصاب الدوار أكثر المسافرين، فقال مداعباً بعضهم:

رقصـــــــــت إذ جـــــــــرت بنـــــــا الـــــــــدردنيلا

إنمـــــــــا كـــــــــان رقصُـــــــــها (كـــــــــدريلا)

ســـــــــجد الـــــــــبعض صـــــــــامتاً وأنـــــــــاسُ

رتّلـــــــــوا كفـــــــــر غـــــــــيظهم تـــــــــرتيلا

ولما جازت السفينة الدردنيل وعبرت مرمرا وبلغت الخليج ،وهو مينا القسطنطينية، وقف المترجم عليه إذ ذاك، وقد راعهُ حسن منظر الخليج وما يكتنفهُ من جبال تسلقت عليها القصور الشاهقة فكأنها نبتت مع أشجارها، وقد تسلسلت من أعاليها جداول المياه كذائب اللجين يتكسر علي أحجارها، وخضرة رياضها، كنضرة غياضها، لا تمل الأعين من النظر إلي محاسنهما، ولا تشبع النفس من التملية بما بينهما.

ثم نزل ، وكان بعض الأصحاب في إنتظاره علي المرفأ، فأحسنوا التسليم ورحبّوا، وكانوا أستأجروا لهُ غرفةً في فندق مشهور، فساروا جميعاً إليه ثم ودعوهُ وانصرفوا، وبات تلك الليلة في أتم الراحة، ولما نهض في الصباح رأي أن لا يتباطأ عن زيارة السيد أبي الهدى، لأنه كان يعلم أن أخبار القادمين إلي القسطنطينية من أبناء العرب - ولاسيما من حلب- كانت تصل إليه سريعا، فأخذ عربة وسار إلى بشكطاش حيث جوسق السيد، ولما بلغهُ دفع إلي الحاجب بطاقة باسمه ليستأذن له في الدخول عليه، وكان في غرفة الانتظار عدد كبير من الناس ينتظرون نوبة المقابلة، وجلّهم من أبناء العرب من شتي الأمصار، فلم يبطئ الحاجب أن عاد وقال بصوت عالٍ شيخ أفندي ينتظركم، فنهض المترجم عليه وسار وراء الحاجب إلي بهو داخل بهو، وإذ وقعت عينا السيد

عليه، قام للملتقي، وهش للقدوم، وأجمل الترحيب والتأهيل ، وذكر الاجتماع به قبل ذلك بسنين في حلب، ثم أخذا بأطراف الأحاديث، وكان بيد المترجم عليه درج فيه قصيدة نظمها علي ظهر السفينة وأعدّها لهذا اليوم، فقال لهُ السيد- ومكانهُ من النباهة والذكاء فوق الوصف- وما تلك بيمينك يا موسى، فأجابه أحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، فاستحسن جدا بداهة الجواب،

ثم أنشد الناظم القصيدة الآتية:

زعموا لا تليقُ دعوى الصبابة

بعدما ودّع المحبُّ شبابه

جهلوا من حقيقة العشق سرّاً

يبُطل الزعم لو أماطوا حجابه

ذاك أن الهوى يؤثر في النفس

بقدر العواطف الجذابة

والفتى الغر ليس يدرك منها

مثل من راضهُ الهوى فأشابه

كلُّ معنى من المليحة يبدو

بمعانٍ لأعيني مستطابه

وإذا غاب شخصها عن عياني

مثلتها الخواطرُ النقَّابهُ

ومنها:

مـــــــا لقلبـــــــي إذا ذكـــــــرت هواهـــــــا

يتصـــــــــابى ويســـــــــتلذُّ عذابـــــــــهْ

أيرجـــــــى عـــــــوداً لأيـــــــام أنـــــــسِ

أم تراهـــــــا تعلـــــــةَ كذابـــــــهْ

كـــــــل حـــــــر يـــــــري التجلّـــــــد إلاّ

في الهـــــــوى واجبـــــــاً فيقـــــــرع بابـــــــه

يَممـــــــي ياســـــــفينة الخـــــــير خـــــــير النـــــــاس

وجهـــــــاً وعنصـــــــراً ومهابـــــــة

وانـــــــزلي يـــــــا جميـــــــع أمـــــــالي البـــــــيض

عـــــــلي جوســـــــق العُـــــــلي والنجابـــــــة

ومنها:

لـــــــيس إلاك يـــــــا ســـــــمير المعـــــــالي

كاشـــــــف الكـــــــرب نســـــــتجير جنابـــــــه

قـــــــد ســـــــلكنا بـــــــيلان والليـــــــل داج

وقطعنـــــــا شـــــــعابهُ وعقابـــــــهُ

وركبنـــــــا البحـــــــار ســـــــعياً لبحـــــــرِ

فـــــــاز بالـــــــدر مـــــــن أراد طلابـــــــهْ

وهجرنـــــا الشـــــهباء نلـــــتمس الإنصـــــاف

في جانـــــــــب عزيـــــــــز الرحابـــــــــه

وبعـــــد الشريـــــف بـــــدر الهـــــدى قـــــد

عـــــاذ خـــــلٌ يـــــرى الوفـــــاء نصـــــابه

ســـــــيدُ يحســـــــب الصـــــــنيعة دينـــــــاً

ويـــــــري الـــــــودَّ ذمّـــــــة وقرابـــــــه

وختامها:

حســـــبُ مستعصـــــم بـــــودك يـــــامولاي

أن لا يـــــــرى العُـــــــداة اكتئابـــــــه

ولما انتهي من إنشاده، تناول منه القصيدة وأطال الثناء والشكر، ثم قال ومن الخصم، فأجابه أنهُ المصرف العثماني، فقال لا تبال بأحد وكن منشرح الصدر، ولا تكن زيارتكم لماما، فأطلق منهُ لسان الحمد ثم انصرف من تلك الحضرة، وظل يتردد إليها الحين بعد الحين، ثم بشر بالأنعام عليه بالوسام العثماني الثالث مع لقب بك، وظل في القسطنطينية ستة شهورٍ ، صالحه في ختامها المصرف المذكور، علي مال دفعه إليه، وفي تلك المدة كتب رسالة وصف بها القسطنطينية وسماها أريج الخليج، وقد نشرت تباعاً في مجلة الضياء لسنتها الأولى، ثم قفل إلى الوطن بعد أن ودع السيد وشكر لهُ بيض أياديه وحسن ملتقاه وودعه.

الرحلة إلي القاهرة

ولم تنتهِ سنة 1905 حتي كان أزمع على السفر إلي مصر القاهرة ، وكانت لهُ دعوى علي " كريدي ليونه " المصرف المشهور في الإسكندرية، فقصدها أولاً ، وبعد أن أقام محامياً عنهُ للمطالبة والمحاكمة، ركب القطار إلي مصر، وكان ينتظرهُ في محطة القطار، صديقهُ الحميم والحبيب القديم حجة اللغة الشيخ إبراهيم اليازجي مع جماعة

من الأصحاب، فطال التسليم والترحيب ثم انقلبوا إلي فندق عدن، إذ كان طلب إليهم أن يتخذوا لهُ غرفة فيهِ، وهناك كان لهم مجلس من مواسم العمر، ثم ودعوه وانصرفوا علي أن يزور المترجم عليه ثاني يوم صديقه الشيخ، ولما توجه إليه وجد الطرق مستوحلة إذ هطل في الليل مطر غزير، علي ندوره المطر في مصر **فقال بديهاً:**

قصـــــــدنا إلي مصر ـــــــ لشـــــــهرة دفئهـــــــا

فـــــراراً مـــــن الـــــبرد المـــــبرح في حلـــــب

فأمســـــــيت والأمطـــــــار لـــــــيس تفـــــــوتني

وأصـــــــبحت والأوحـــــــال فيهـــــــا إلي الركـــــــب

وظل في مصر إلي أول الصيف من سنة 1906 ، وعرف فيها كثيرين من أعلامها وشعرائها وكتابها كأحمد زكي باشا سكرتير مجلس النظار يومئذ ، وسليمان أفندي البستاني وجرجي زيدان والشيخ علي يوسف وداؤد بك وحافظ إبراهيم وخليل مطران وإمام العبد ورفيق بك العظم ، وغيرهم من بدور الفضل، وقد توثقت المودة بينهُ وبين كثيرين منهم إلي اليوم، وفي خريف تلك السنة عاد إليها وباشر طبع كتابهِ منهل الوراد ، وفي آخر السنة المذكورة، أصيب بفقد الإمام اليازجي صديقه القديم بل أوفى الأحباب والخلان، فأبَّنهُ علي ضريحه، وفي غير محفلٍ من المحافل التي قامت بتأبينهِ وتكريم ذكره في مصر والإسكندرية وطنطا، وقد نذكر شيئا منها في محله من آخر هذه الترجمة، ثم أنه أكمل طبع كتابه وعاد إلي الوطن في صيف سنة 1907.

مدة الانقلاب العثماني

ولما حصل الانقلاب العثماني سنة 1909، كان المسيحي الوحيد الذي دعي إلي الاجتماع الذي عقدهُ بحلب أعضاء جمعية الإتحاد والترقي المكتتمون قبل ذلك اليوم، وقام معهم بحفلة مهرجان الحرية، وطلبوا إليهِ أن يكون خطيب الجمعية بالعربية، فكان أوَّل من لفظ الحرية بخطبة علنية في حلب لعهد السلطان عبد الحميد، وتوالت الحفلات والإجتماعات وكثرت الأندية (الكلوبات) وكان يدُعى إلي الخطابة فيها في

شتى الموضوعات، من سياسية وأخلاقية وعلمية وأدبية، حتى اعتاد الخطابة بداهةً، ثم ألحَّ عليه أصحابه أن يترشح للنيابة عن حلب في المجلس النيابي الذي صدر الأمر بهِ، فلم يربح أكثرية الأصوات في الإنتخابات لمزاحمة طلاب الوظائف، ولرغبة الحكومة التركية يومئذ في تقليل عدد النواب من أبناء العرب، فكان النائب المسيحي عن ولاية حلب أرمينياً من عينتاب.

ثم أنتُخب عضواً لمجلس الإدارة ثانية، ورام الاستعفاء ليتفرغ للكتابة والتأليف فلم يرض بذلك والي الولاية يومئذ فخري باشا، وكانت بينهما مودة، ثم عين أيضاً عضواً في مجلس المعارف برئاسة نادر بك من مشاهير علماء الترك، وعين عضواً ورئيساً لكثير من اللجان في تلك المدة، إذ أعلنت الخدمة العسكرية علي العموم، وقامت مشاكل كثيرة في الدولة كما هو معلوم، ثم عين معاونا لرئيس المجلس البلدي علي عهد الوالي حسين كاظم بك، ثم عرض لهُ ما دعاهُ إلي السفر قصد مدينة باريس.

الرحلة الرابعة إلي فرنسا

سار عن حلب في السابع والعشرين من كانون الأول للسنة 1912 ونزل بباريس لأيام مضت من أول السنة 1913 وظل بها خمسة شهور، جدّد فيها عهدهُ بقصورها ومعاهدها، وملاعبها ومعابدها، وجنّاتها وملاهيها، ومشهورات ضواحيها، كفونتينيبلو وسان كلو ولاسيما فرساي، إذ تذكر زيارة قصرها الفخيم و جنانها النعيم ، فقال علي البديهة:

سرّحتُ في روض فرساياَ النواظر

والآمالُ تنشد يا أيامنا عودي

هذي الرياضُ سقاها الغيثُ لا برحت

مخضّرةَ العيشِ والأوراقِ والعودِ

ونظم مدة إقامتهِ بباريس قصائد ومقاطيع كثيرةٌ ، نُشر بعضها في مجلة النفائس العصرية السابقة الذكر ، ثم زار لندن ، وهي المرة الأولى التي شاهد فيها تلك المدينة العظيمة، لكنه رآها في الحسن دون باريس بمراحل، ثم عاد إلي حلب.

وفي السنة الثانية بعد رجوعه أعلِنت الحرب الهائلة، فأشتغل بالكتابة ودوّن شعرهُ، وكان أكثرهُ مبعثراً في مطاوي الأوراق، ولما هبط جمال باشا علي حلب رأي أن يكتم فلا يزوره، إلا أن بعض أصدقائه المخلصين أشاروا عليهِ بزيارته، فالرجل داهية ومثله لا يُكتم أمره، بل نصحوا لهُ أن يمدحهُ بقصيدة، وكان فيمن نصحَه شكري بك العسلي المأسوف علي شبابه، وهو ممن صلبهُ الطاغية المذكور، فانشده علي المائدة التي قام بها لهُ المجلس البلدي مقصورة قال في **مطلعها:**

أجـــــــمالَ الدولـــــــة والـــــــدنيا

لقـــــــدومك قـــــد مشـــــت العليـــــا

لقـــــــدومك شـــــــهباء الأمصـــــــارِ

رِبـــــدت كالشـــــهب ســـــما وعُـــــلا

ومنها:

وإذا مـــا أظلـــم فينـــا الخطـــب ... فرأيُـــك مـــن نـــورِ أعـــلى

والعفـــوُ عـــن الجـــاني بـــرٌّ ... أوَ لـــيس الأقـــربَ للتقـــوى

قـــد خـــاب المفســـدُ والـــواشي ... والعـــدلُ لـــديكَ غـــدا أمضى

وإذا اســـتخفي ذو الفضـــل فلـــيسَ ... عـــلي تقـــديركَ مـــا يخفـــى

ولكـــلِ عنـــدك منزلـــة ... مـــا مـــن يرجـــوكَ كمـــن يخشى

أنظـــر ببصـــيرتكَ النقّـــادةِ ... واحكـــم بـــالرأي الأعـــلى

ولم يزل يداريهِ مخافة كيدهِ وبطشهِ حتي غادر سوريا.

ولما ورد الخبر بسير جيوش الحلفاء علي دمشق، جمع والي حلب يومئذٍ، مصطفي عبد الخالق بك، عموم الرؤساء الروحانيين وبعضاً من أعيان المدينة، وأخبرهم بعزم الحكومة التركية علي التزحزح عن حلب مدة إذا اقترب العدو منها، ولذلك فهو ينصح لهم أن ينتخبوا من بينهم عشرة أشخاص ليقوموا بإدارة المصالح وحفظ الأمن والراحة في المدينة، حذراً من قيام غوغاء الناس إلي السلب والنهب، فكان المترجم عليه في عداد العشرة المختارين، ولما تزحزحت الحكومة التركية، نهض بأعباء الخدمة الوطنية المذكورة مع رفقائه المحترمين.

ثم لما تألفت الحكومة العربية في دمشق إختارتهُ عضواً في مجلس الشورى، فذهب إلي الشام في آخر شهر شباط سنة 1919 وظل هناك إلي أول حزيران من السنة المذكورة إذ عاد إلي حلب بإذنٍ، ورجع في آخر الشهر المذكور، وفي تلك السنة انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بالشام ، وظل في وظيفته بمجلس الشورى إلى كانون الأول ، ويومئذ صدر الأمر إلى أعضاء المجلس المذكور برخصة ثلاثة شهور ، فقصد مصر وقضى تلك المدة فيها ، ثم التأم المجلس في آذار من السنة 1920 فرجع ولبث بالشام إلى آخر تلك السنة، ثم استعفى من وظيفته في المجلس عندما استقلت حلب عن الشام بمواطأة بعض أعداء الوطنية من عبّاد منافعهم.

ولم تأت السنة 1923 إلاّ وتضيفتهُ الهموم، وأخذ في شعاب الغموم، لعلّة أصابت الغصن النضير، والظبي الغرير الحبيب العزيز هنري أحد حفدتهِ ومالك مهجته، فأصلت ضلوعه وأشجتهُ بغصّته، وكان يرى بهجة الحياة بمرآه وأنوار الشمس بمحياّه، ولفته الغزال بمقلته، وجمال البدر في الليلة الظلماء بطلعته، وكان واأسفاه عليه عاشق العلم، وآية من أعجب آيات الذكاء والفهم، فمكث يمرّضهُ أربعة شهور لم يفارقه ليلاً ولا نهاراً، ولم تطعم جفونه الغمض إلا غراراً، حتي إذا جاء التاسع والعشرون من تموز، أنطفأ ذلك النور الملكي بعد الغروب في بلدة بحمدون من لبنان، فنزلت بالمترجم عليه قاصمة الظهر، وتقوّضت منهُ دعائم الصبر، وأظلمت أنوار الأرض في عينيه،

وهانت الدنيا وما فيها لديه، وأخلد إلي الشجون والجزع، وكادت تزهق نفسه من ألم الوحشة والهلع.

ثم شفّهُ المرض وأنهك جسمهُ الغم بعد سنة من هذا المصاب ، حتي أصبح كالخلال، ولم ير دواء لتلطيف أحزانه والصبر، غير الكتابة والتأليف، ولا سيما أن الحبيب العزيز كان يرجوهُ دائماً أن يؤلف وينشر مؤلفاته في المجلات والجرائد، فرأى أن لا يتوقف يوما من القيام بمن كان يطلبه منه، ورأى أن يطبع هذا الكتاب تذكاراً خالداً لشخصهِ العزيز واسمهِ المحبوب.

وقال يرثيه:

كيف أمسيت يا حبيبي بعدي

أسيراً حللتَ أم عرش مجدِ

أم جناناً سكنت أم كنت نوراً

أحرقَ الزيتَ دون قيدِ وحدّ

يا ملاكاً قد صيغ من كلّ حسنِ

لبس الكونُ منه أجمل بُردِ

كنت للعين قرةً وسروراً

لفؤادي ونجم أنسي وسعدي

يا رشيداً علي حداثة سنِ

ضاع مني من بعد بُعدك رشدي

أين ذاك الجمال والحسن واللطف

وما فيك من ذكاء ونقد

كـــان بيتـــي مـــن نـــور وجهـــك شمســـاً

منـــذُ مـــا بنـــت أظلـــم الكـــونُ عنـــدي

كنـــت لي بهجـــة الحيـــاة ورغـــد العـــيش

إن غبـــــتَ لم تغـــــب دون وعـــــدِ

يـــا أنيسي ـــ ويـــا نـــديمي ويـــا مالـــك

روحـــــي خلفتنـــــي اليـــــوم وحـــــدي

لي إلى وجهـــــك البـــــديع اشـــــتياقُ

ونـــــواحُ أعيـــــدُ منـــــهُ وأبـــــدي

كلـــــما رمـــــت أن أصـــــبّر نفسي ـــــ

عنـــك لا ألقـــى غـــير شـــوقِ ووجـــدِ

أنـــت في مقلتـــي مقـــيمُ فـــما أبصرُ ـــ

إلاّ ونـــــور وجهـــــك قصـــــدي

كـــلَّ شـــئِ عنـــدي بـــه لـــك تـــذكارُ

مقـــــيمُ يطيـــــل نـــــوحي وســـــهدي

صـــــوتك العـــــذب في فـــــؤادي وفي أذني

ينـــــادي لا تبعـــــد اليـــــوم جـــــدي

ليتنـــي مـــتُّ قبـــل يومـــك بـــل يـــاليتني

قـــــد ســـــكنتُ معـــــك بلحـــــد

أيُّ قـــــبرِ ســـــوى فـــــؤادي جـــــدير

بـــك بـــل أنـــت فيـــه حـــي كعهـــدي

أيُّ غيـــــــثٍ يـــــــروي ترابـــــــك إلا

غيـــــث دمـــــع يصـــــبهُ دمُ كبـــــدي

كيـــف أحيـــا وأنـــت لســـت بقـــربي

بعـــدما خلـــتُ أننـــي ميـــتَ عمـــد

بـــل لقـــد بـــتُّ أرتجـــي العـــيش كـــيما

ببكـــــائي عليـــــك يـــــزدادُ وقـــــدي

وأناجيـــــك موقنـــــاً كـــــلَّ نجـــــوى

بعـــد مـــوتي تعلّـــه لـــيس تجـــدي

بـــل لعـــلَّ المـــمات يجمـــع شـــملي

بـــــك بعـــــد الشـــــتات في دارِ خُلـــــدِ

أبيض اللون أو حنطيه قليلاً، رقيق البشرة، مسنون الوجه، أسود الشعر وقد خالطه الشيب كثيراً في هاتين السنتين الأخيرتين، أسود العينين أسبلهما، قصير الجبهة، سبط القوام، مخروط اللحية، سبط الأنامل، صغير الأذنين، مليح القسمة، نحيل الظل، عصبي المزاج، كثير الحركة، يملّ السكون.

ولهُ شغف بالموسيقي والغناء والهندسة والتصوير وسائر الصناعات الجميلة، وهو عارف بالألعاب العقلية من الشطرنج والورق والنرد وغيرها، ولهُ معرفة تامة بفن الطباخة، حسن الخط.

صفاتهُ

وصف أخلاقة وصفاته بقلمه أمر يعتذر عن القيام به، وهو مولع بالإتقان والتدقيق، بغيض إليه المتصنع والمتزيي بزي سواه، يميل جداً إلي الانتقاد.

مؤلفاتهُ

السحر الحلال في شعر الدلال ، وهو ترجمة خاله المأسوف عليه جبرائيل الدلال، طبع مصر وكتاب منهل الوارد في علم الانقياد ، في مجلدين طبع مصر سنة 1907 ، وأدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر ، طبع حلب سنة 1925، وديوان شعر كبير لم يطبع، ومجموع رسائل ومحاضرات ومقالات في موضوعات مختلفة غير مطبوع.

ولهُ فصول ومقالات في الأدب واللغة والشعر والأخلاق والفلسفة والتأريخ والانتقاد والسياسة وغيرها ، نشرت في مجلاّت البيان، والضياء، وأنيس الجليس، وفتاة الشرق، والنفائس العصرية، والآثار، والمباحث، والمنهل، والحسناء، والمقتبس، والنفائس، وميزفا وفي كثير من الصحف، منها المصباح، والنجاح، والتقدم، والمحروسة، ومصر والعصر الجديد والأهرام، والمقطم، وحمص، والحريّة، والشهباء، وصدي الشهباء، و المهذب، والإخاء، وسورية الجديدة، والتقدم الحلبية، وسورية الشمالية، والزمان.

وهاك شيئاً من نثره ونظمه:

قال في مقدمة ديوان في وصف الشعر:

إخلـــــــع نعالـــــــك يـــــــا كلـــــــيمُ فأنـــــــت في

أرض مقدســـــــــــةِ بـــــــــــنفس والهـــــــــــه

وإذا ســـــــــمعت الشـــــــــعر فـــــــــانزع ســـــــــترَ

رأســـــــك خاشـــــــعاً فالشـــــــعر نطـــــــقُ الآلهـــــــهُ

الشعر هو مرآة نفوس الشعراء، ومتجلّي تخيّلاتهم بما علي وجه الغبراء، ومسرح أفكارهم وسرائرهم، ومعرض تصوّراتهم وضمائرهم.

وهو سمير الأديب والخليّ، ومؤنس وحشة الغريب والشجّي، ونديم العظماء، وخليل الحكماء، وغبطة العشاق، وعُلالة المشتاق، والمؤرخُ والراوي، والناشر والطاوي، وأبهى حُلي الحسان، وأشرف مزايا اللسان.

ومنها:

بل هو رائدُ القطيعة والعداوة بين القلوب، ومثير زعازع الفتن والحروب بين الشعوب، ببيت منه تهتكُ أستار وتهُدم بيوت وقصور، وتهُدر دماء وتطيش حلوم وتُوغر صدور، يضرم في النفوس نار حبّ الوطن وما أدراك ماهية، فإذا هي في سبيلهِ متعادية متفانية، يتسابق شجاعها والجبان إلي مصارع الهاوية.

لا بل هو المِزهر الذي تختلج لنغماته حبّات القلوب، والنديم الساحر الذي يلُهي المحبّ عن المحبوب، والمرقص المطرب، والواصف المعجب المغرب، يحلو تكرارهُ في الأفواه، وإن ملَّ تكرار سواه.

وهو الضيف قراهُ الأسماع، ومنزله الضمائر والقلوب، خفيف الظل خفيف المتاع، لا يعتريه هرم ولغوب، أن أُنشد تودُّ المقل لو أنها مسامع، وتتمني القلوب لو أنها لأسراب ظبياته مراتع، ولنجومهِ وبدورهِ مواقع ومطالع.

ومنها:

بل هو سرٌّ من أسرار الألفاظ لا يلج في الأسماع إلا ويملك من الأفئدة العنان، فيصرفها كيف شاء هدى أو ضلالاً ، فهو لا ريب فيه ربّ البيان.

ومنها:

بل هو مظهر من مظاهر الجاذبية، يتجلّي في بعض النفوس البشرية لقابلية فيها أو خاصية.

ومنها:

لا يختص سلطانهُ بلغة دون غيرها من اللغاتُ ولا بوزنٍ من الأوزان أو نغمة من النغمات، أعيا المدارك سرُّ فعلهِ في النفوس فلا تستطيع لهُ وصفاً وافياً أو تعريفا، واستعصي فاعل تأثيره علي البصائر فلا تطيق لهُ تحديداً أو تكييفا، وهو جواد جمع بكثير من فرسان الفضل وملوك العرفان، وسلسلت مقادته علي بعض غلمان الورّاقين والخبازين والرعيان.

ومنها:

بل هو رسم أدقّ العواطف وأخفي حركات النفوس، والصهباء التي تكسر بها الأذواق صافية من أكدار الكؤوس.

بل هو الحكمة توحيها الفطنة إلي ملك البلاغة والبيان، فتبرزها لعالم السمع في إبداع مطارف النهي وحُليّ اللسان.

ومنها:

بل هو روح يمازح النفوس فيصعد بها في عوالم الغيب، فتتخطّي مناطق القياس والتقدير إلي عوالم الشك والريب، بل تجوز عوالم الحدس والظنون، وتخترق الحجب فتترك خلفها أبعد مرئيات العيون، وتجّرد من عناصر الوهم والتخيلات، أحوالاً ومخلوقات تحسبها لديها من المشهودات.

بل هو بخار الرياض الأنهار، ونفحات الربيع والأزهار، وصدي البلابل والأطيار، ولحن نسمات الأسحار.

بل هو جوهر تجرد عن آله ، وترفع عن المادة الأولى، فلا يتوصّل إليه بغير السمع من آلات الحس، ولا يعلق به شئ من النظر أو الشم أول اللمس، وقد يتمثل لدي أعين الذهن مليا، كما لو كان مخلوقا سوياً، ويُقبَّل ملفوظا، ويتصوَّر ملحوظاً.

بل هو أفصح ترجمان لأعجم مخلوق في عالم الوهم، وأبلغ معرب لأغلق مكتوب في غياهب المحال...

ومن محاضرة في وصف قصور الخليفة المأمون:

وكان يشرف عليها الراكب في دجلة من بعد شاسع، ولا سيما قبليها، فمن مجصص بالجص الأبيض الناصع كالفضة البارقة، ومن مطليّ نصفهُ السفلي بالأخضر الناضر والنصف العلوي بالذهب النضار، وفوقها خامات الذهب تتلامع كالشهب المتقدة، ثم تبدو للعين تلك الحدائق الممتدة إلي أقصي مدي البصر، تتسرب فيها جداول الماء من برك عظيمة الإتساع، مختلفة الأوضاع، ينصبّ فيها الماء كالفضة الذائبة من أفواه حيتان أو سباع، أو ثيران ونسور من مرمر مختلف الألوان، بالغ من الصناعة نهاية الإتقان، بين جنّات قد ازدحمت غياضها، واشتبكت أشجارها، وتعانقت أغصانها، وأمتدّ ظلالها، يسير فيها الدخلُ تحت أقبية وأطواق، من فسيفساء الأوراق، في مماش كأنما أرضها خمائل سندسية، وعلي جانبيها درابزينات لا يُدرك الطرف منتهاها، قد اعترش عليها الياسمين، وتعلّق بها الورد والنسرين، ونمنمت حولها الأزاهر والرياحين، وقامت وسطها القصور الباذخة ، والصروح الشامخة، والأروقة المرتفعة، والجواسق المنمقة، ذوات الساحات المترامية، والصحون الفساح، والأفنية الرحاب، والأندية العظيمة، طيقانها أبواب، وأبوابها حيرة الألباب، قد أرخيت عليها ستور الديباج والاستبرق، كأنها أجنحة الطواويس، وفرشت أرضها بأنواع الفسيفساء تحاكي أزهر الجنان، ومتعادي الحيوان، من أسود ونمور وغزلان برخامٍ متعدد الألوان، يخالطه خشب الصندل والعود الهندي، وفي كلّ بهوٍ بركة أو برك تنساب إليها المياه علي

ملوّن المرمر كاللجين الذائب، والسمك علي اختلاف الأشكال والألوان، تصعد في مائها وتنحط، وتعود كما يعوم فيها البط، وقد رُقشت حيطان تلك الأبهاء بالقاشاني البديع، يحاكي بألوانه ورسومه أزهار الربيع، وُرفعت سقوف تلك الأندية الرحاب، علي أعمدة المرمر ذوات الألوان الباهرة، وقد أحكم صنعها ونقشها، وتكامل حسنها بتذهيبها ورقشها، وقامت قبليها علي قناطر وحنايا وأضلاع، بلغت بها صناعة الهندسة غاية الإبداع، ودارت فيها الطيقان، كالقلائد في أعناق الحسان ، وقد قعدت علي أساطين وسور ركزت علي قواعد من الصوّان، وتقنّعت بأقداح من الرخام، وبلغت من الزهور والإرتفاع.

ومنها:

وكانت لا تقع العيون في تلك الأندية والأبهاء والغرف والمقاصير، إلا علي محاسن قد تناهت في الظرف، وملاحةِ وإبداع يقصر عنهما كل وصف، فمن حيطان من الزجاج رفعت وراء الشرفات تنعكس عنها الأنوار إلي داخل القباب، ومن حيطان من جسيم المرمر قد حاكت بحفرها ورسمها حبائك الغمام، أو أجنحة الأطيار، أو غلائل الحسان، أو ظهور السمك والحيتان' أو صور الغزلان وغيرها من الحيوان، بين مجمدٍ ومفوّف، ومسبر ومنمر،ومكفوف وملفوف، إلي أشكالِ وألوان يعجز وصفها.

وفي كل قصر قصور، وفي كل ناد روضة وغدير، وغرف ومقاصير، وسجوف مرسلة، وستور متراخية، وسرر مرفوعة، وأرائك مصنوعة، وحجال منصوبة، ومجالس مفروشة، ومقاعد موضوعة، وكراسي مصفوفة، وطنافس مبسوطة، وموائد قائمة، وأباريق مبثوثة، وخوابِ من فاخر الصيني مسنودة، ونرجسيات منسوقة، ألوان مختلفة الأشكال، نادرة الحسن والمثال، من الصيني والزجاج، والذهب ونفائس المعدن، ومجامر العنبر، ومباخر الندّ، وقماقم ماء الورد، إلي ما لا يبلغه عدّ ولا يتخيلهُ فكر شاعر.

ومن سوانحه:

أنوفُ كبيرة، علي نفوسٍ صغيرة.

ما أكثر المقّلدين، واقل المبتدعين.

لا تنقي الأعراض، مع كَدَر الأغراض.

دعاوِى عريضة، وهممٌ مريضة.

التقليد مع الجمود، ذبول وهزال يسير بالأمة إلي المذلة والانقراض.

التقليد مع التحسين (الاجتهاد) نمو في الأمّة يصعد بها إلي قَممَ المجد.

ومن قدودهِ لعرّبه بتصرّف عن الأصل الفرنسوي

au tombeau je te serais fidel Jusqu،

يوم النوى لقد كوى فؤادي وشرح ما جري لنا يطولْ

نفي الهوى من الجوي سُهادي وقد رثي ورقّ لي العذولْ

دور

فلا تسلْ عن موقف الفراقِ وغيرُ دمعي لم يكن معين

وساعة ال وداعِ والعناق سلمتهُا قلباً لها أمين

دور

وقلتُ يا مليكه الجمالِ ومنيتي وبهجةَ الوجودْ

وغايتي ومنتهي آمالي ونعمتي ونقمة الحسود

دور

لئن جرَت بنا يدُ القضاءِ وشتَّتْ نظامنا البديعْ

فإنني سموألُ الوفاء وأنَّني أسركِ المطيعْ

دور

ما حلتُ عن	عهدي ولا ذمامي	ولو أريقَ	دونهُ دمي
وأنّني	لساعةِ الحمامِ	سواكِ لا	يحولُ في فمي

دور

إليكِ يا	أميرة الحسانِ	شكوتُ حالي	فانظري الدواء
علي لساني	وعلي جاني	لتشهد ال	برايا والسماء

دور

وأنت يا	فريدة الملامح	هل قلبك	علي الولا مقيمْ
أم أنت بين	الجدِ والمزاحِ	تنسين عهد	ودّنا القديمْ

وكتب إلي صديقه الأديب العالم السيد إسعاف النشاشيبي في القدس جواباً عن إهدائه له رسالة من تأليفه:

وصلتني كلمتكم " كلمةٌ موجزة في سير العلم وسيرتنا معهُ " ؛ فسرحتُ طرفي منها في روضة بلاغة نقطت أزهارها الغمائم بل في عالم فضلِ جمع شتيت العوالم، ونقلتني سطورها الموجزة إلي الهند والصين، ورفعتني آياتها المعجزة إلي أعلى عليين، وأبعدت بي في المكان والزمان، حتي حادثني كهنة مصر وفلاسفة اليونان، بل جاوزت بي عصور الخلق الحيواني وأحقاب ظهور النبات، بل عدّت ما قبلها من الدهور السحيقة لتكوّن الجمادات، ثم حلقت بي علي أجنحة الفكر وأقدام الخيال، فجوّلت في العوالم الشمسية ومن لي بشرح ذياك التجول، وعاينت بأعين العلم ما تعجز عن إدراكه أعين الحِس من آيات الجمال. ثم حدّرتني إلي عالمنا اليسار، وسايرتني إلي آخر الإعصار، وعرّفتني جماعة من حكمائه الكبار. كباكون ونيوتن وسبنسر ودروين، وكنت ولا مارك وهبكل علم المتأخرين، وكثيراً من أضرابهم من تطأطئ لفضلهم شوامخ الرؤوس، ويقال عند ذكر أسمائهم لا عطر بعد عروس، فيا حبذا كلمتك وما أوجزت، ولله درُّك ولله أنت، لا زلت تدير علينا من صهباء فضلك كؤوسا، وتطلع لنا من سماء معارفك بدوراً وشموسا.

وقال في وصف لبنان من كتاب لأحد أصحابه:

... لدي تجولك في قمم لبنان وأوديته، تستنشق نسمة وصافي أهويته، بين عيونه المتفجرة، وغاباته المتحدرة، وظلاله المثمرة، ورياضه المزهرة، تمتصُّ ريق كل بكر من بنات الكروم، وتصرعُ كل جيش من جيوش الهموم، وتعانق كل غانية من غواني الخيال، وتذوق طعم كل حسن في الوجود، حتي قد لا تفوت حواسك الخمس لذة الخلود، فياليتني كنت معك ظاعناً ومقيما، فأفوز - ولا ريب - فوزاً عظيما.....

وإليك شيئا من نسيبه :

عهدي بحبلك في الهوي موصولاً

وبربع ودّكِ عامراً مأهولا

إذ كلّ أوقاتِ الزمان ربيعنا

وإذ الشبيبة لم تضع مأمولا

وإذ النواظرُ خير رسلِ بيننا

وإذ الحديث حكى النسيمَ بليلا

ليلاتُ أنس مثل ساعات مضت

بل أشهر مرّتْ بنا تعجيلا

وآهاً لذيّاك الزمان فإنَّهُ

عُرسُ الحياة وقد أقام قليلاً

أيّام نمرحُ في ميادين الصبى

ونجرّ من حلل الهناء ذيولا

طـــــوراً تعـــــاطيني الكـــــؤوس وتـــــارة

تحمـــــــي عـــــليَّ البـــــاردَ المعســـــولا

ولكـــــلّ يـــــومٍ موعـــــدُ نشـــــكو بـــــهِ

حـــــرّ الصـــــبابة أو نكيـــــدُ عـــــذولا

ولكـــــلِ روضٍ مـــــن عبـــــير عتابنـــــا

أرجُ يعيـــــد الـــــريح منـــــهُ قبـــــولا

وبكـــــل خلـــــوة جنـــــةٍ سر لنـــــا

شـــــدت البلابـــــلُ آيـــــةُ تـــــرتيلا

ولـــــك بـــــادرةِ تجـــــول بخـــــاطرِ

منـــــا شروح فصّـــــلت تفصـــــيلا

برســـــالة قـــــد سُـــــطّرت لم نـــــأتمن

يومـــــاً لهـــــا بـــــين الأنـــــام رســـــولا

هـــــل أنـــــتِ ذاكـــــراهُ بعيشـــــك حبنـــــا

ومواســـــماً غـــــرراً لنـــــا وحجـــــولا

إذ كنـــــت تختصـــــين مـــــن ســـــاعدي

وأضـــــمُّ منـــــكِ المِعصـــــمَ المفتـــــولا

وأري بقربـــــكِ جنّتـــــي وســـــعادتي

وتـــــرين بي كـــــلَّ الهنـــــا والســـــولا

أم أنـــــت ناســـــيةُ أحاديـــــثَ الهـــــوى

وجـــــوي الغـــــرامِ وعهـــــدكِ المســـــئولا

أم قـــــد أطعـــــت العـــــاذلينَ وســـــعيهم

مـــــازال مـــــذ خلـــــق الهـــــوى تضـــــليلا

أم قلـــــتِ أنّـــــك قـــــد كـــــبرتَ عـــــن الهـــــوى

ففطمـــــــــتِ ودّي واتخـــــــــذت بـــــــــديلا

وذهبـــــــتِ في ليـــــــل الغوايـــــــةِ مـــــــذهباً

أرضى الوشـــــاة فقيـــــل مـــــا قـــــد قـــــيلا

أســـــــفي عـــــــلي ذاك الجـــــــمال فإنّـــــــهُ

قـــــد بـــــات شـــــيئاً بعـــــدنا مبـــــذولا

وقـــــد أنطـــــوى فكأنّـــــهُ حلـــــمُ غـــــدت

ترويـــــــــهِ أشـــــــــعار القـــــــــرون الأولي

تاللـــــــه مـــــا عجـــــم الزمـــــان عزيمتـــــي

إلا تـــــــــوّلي خـــــــــائراً إجفـــــــــيلا

أســـــلاكُ صـــــبحِ قـــــد بـــــدت في لّمتـــــي

كـــــالبرق بـــــات عـــــلي الـــــدُجى مســـــلولا

أهـــــلاً بمـــــا ابيضـــــت وجـــــوهُ مـــــن ســـــنا

أنـــــــــوارهِ فغـــــــــدا لنـــــــــا أكلـــــــــيلا

ومن غزلياته:

تذكارُ ليلة

للـــه مـــا هـــذي الشـــمائل ... تيّمـــتِ ذا جهـــلِ وعاقـــلْ

يـــا غايـــةَ الحســـن التـــي ... سَـــبت الأواخـــر والأوائـــلّ

لـــك طلعـــةُ البـــدر المنـــير ... وقامـــةُ الخطَّـــار ذابـــل

لـــك حجـــةٌ عنـــد الجـــدال ... تقـــوم في فُلـــج المجـــادل

يـــا سرَّ أنـــواعِ الجـــمال ... وآيـــةً أبـــتِ المماثـــل

هـــل أنـــتِ مُســـعدني بطائـــل ... أم أنـــتِ مُســـعفني بنائـــل

للـــهِ ليلتنـــا التـــي ... مـــرّتْ كمـــرِّ الـــبرقِ حائـــل

سِرنـــا فكـــم عـــينٍ مُراقبـــةِ ... وكـــم ســـمعِ مخاتـــل

جنبـــاً إلي جنـــبِ عـــلى ... مـــرآى الحواســـدِ والعـــواذل

عاطيتُهـــا طُـــرَفَ الحـــديثِ ... فنـــاولتني خمـــرَ بابـــل

وتفننـــت بكلامهـــا ... ففتنـــتُ حتـــي بـــتُّ ذاهـــل

تـــدنو وتبعـــد تـــارةً ... شـــأن المســـاجل والُغـــازل

حتـــي إذا مـــا قاربـــتْ ... وظننتُهـــا مطـــواع آمِـــل

حاولـــتُ قبلـــة ثغرهـــا ... فتجاهلَـــتْ مـــما أحـــاول

وتباعـــدت عنـــي كـــما

وظللـــت أرقـــب خلســـة ... شـــاءَ الـــدلالُ فلـــم أزايـــل

منهـــا فأولـــت فعـــل غافـــل

فقبضـــــت مِعصـــــمها وقلـــــتُ كفـــــي دلالـــــك فهـــــو قاتـــــل

لا عـــــــينَ ترقُنـــــــا هنـــــــا قالـــــت فـــــماذا أنـــــتَ فاعـــــل

فأجبـــــــتُ أرجـــــــو قبلـــــــةً عجـــــلاً فخـــــيرُ الـــــبرّ عاجـــــل

قالـــــت فخـــــذها عـــــن رضيً وعســـــاك تقنـــــع مثـــــل عاقـــــل

فلثمـــــتُ وجنتهـــــا وقلـــــت أرومُ وعـــــداً منـــــك آجـــــل

قالـــــت أمـــــا أنهيـــــتَ عـــــن طمـــــعِ فقلـــــتُ هـــــواكَ شـــــاغل

إنَّ القناعـــــــــةَ في الهـــــــوى شـــــأنُ المغفّـــــلِ لا المخُالـــــل

ومن موشحاته:

فلسفة الغرام

قالـــــت إلي كـــــم تشـــــتكي حـــــرَّ الجـــــوي

وتـــــدعي أنـــــك مـــــن أهـــــل الهـــــوى

أتحَســـــــبُ الغـــــرامَ والميـــــل ســـــوا

كـــــلاّ فـــــما ذلـــــكَ مـــــن هـــــذا النـــــوى

وإنمـــــا الغـــــرامُ شـــــئُ آخَـــــرُ

مـــــا كلّـــــما أصـــــطاد غـــــزالُ أســـــدا

أو جـــــارَ ذو حســـــن بحكـــــمِ واعتـــــدى

أو راحَ مشـــــــتاقُ يـــــــذمُّ الســـــــهَدَا

يُقـــــال أن للهـــــو فيـــــه يـــــدا

وإنمـــــا الغـــــرامُ شـــــئُ آخَـــــرُ

مـــــا كـــــلّ قلـــــبٍ خـــــافق متـــــيمُ

أو كـــــلّ دمـــــعٍ عـــــن هـــــوى يـــــترجمُ

كـــــم عـــــاذلٍ بالغيـــــب أمـــــس يـــــرجمُ

يقـــــولُ بـــــالغرامِ مـــــا لا يعلـــــمُ

وإنمـــــا الغـــــرامُ شـــــئٌ آخَـــــرُ

لـــــيس الغـــــرامُ موعـــــداً لم يصـــــدقِ

ولا شـــــفاهاً بشـــــفاهِ تلتقـــــي

ولا عتابـــــاً مـــــع رســـــول مشـــــفقِ

ولا يمينـــــاً وُكـــــدتْ بموثـــــقِ

وإنمـــــا الغـــــرامُ شـــــئٌ آخَـــــرُ

كـــــم نظـــــرةٍ قـــــد أطمعـــــتْ ذا أمـــــلِ

ولفتـــــة واعـــــد شـــــغلتْ ذا شُـــــغُلِ

وليلـــــةٍ مـــــا شـــــئتَ فيهـــــا فقـــــل

ولكلّهـــــا عـــــن الهـــــوى بمعـــــزل

وإنمـــــا الغـــــرامُ شـــــئٌ آخَـــــرُ

ومنهُ:

إذا عيـــــــــون بعيـــــــــونٍ عَلقـــــــــتْ

فخفـــــــقَ القلبـــــــانِ مـــــــما نطقـــــــتْ

فاجتُذِبـــــــذا بقـــــــوّة قـــــــد أوثقـــــــتْ

كلـــــــيهما كـــــــما قضـــــــتْ وشـــــــوّقتْ

وإنمـــــــا الغـــــــرامُ شـــــــئٌ آخَـــــــرُ

وقال في باريس يصف يوم مهرجان:

يـــــا يومـــــاً أطلعـــــهُ الـــــدهرُ ... كـــــلُّ الأيـــــامِ لـــــهُ مَهْـــــرُ

بـــــاريسُ جلَـــــتْ فخلائقُهـــــا ... وشـــــوارعُها مـــــوجُ بحـــــرُ

يـــــا نصـــــفَ الصـــــومِ وعيـــــد القـــــومِ ... أَبعـــــدكَ عيـــــدُ أم فِطـــــرُ

بـــــاريسُ ســـــمت فمعانيهـــــا ... وغوانيهـــــا ســـــكرُ ســـــحرُ

فهُنـــــا قـــــدٌّ يحـــــكي غصـــــناً ... وهنـــــا وجـــــهُ بـــــل ذا بـــــدرُ

وهنـــــا قفـــــزُ وهنـــــا لـــــذٌّ ... وُهنـــــا حـــــوضُ وهنـــــا هصرُ

ونجـــــومُ تُـــــذري فـــــوق الخلـــــق ... لهـــــا نظـــــمُ ولهـــــا نـــــثرُ

وَرَقُ يحـــــكي ألـــــوان النـــــورِ ... فـــــلا يُخشي منـــــهُ ضرٌّ

فوجـــــوهُ منـــــهُ تصـــــفرُّ ... ووجـــــوهُ منـــــهُ تحمـــــرُّ

قـــــد بتنـــــا منـــــهُ بـــــأثوابِ ... لم يُبـــــدعها يومـــــاً فكـــــرُ

عيـــــدُ للحســـــنِ تُعيّـــــدهُ ... بـــــاريز فمـــــن لا يفـــــترُّ

وشـــــوارعها ســـــالت بالنـــــاسِ ... كبحـــــرِ يقذفـــــهُ بحـــــر

ملَكـــــاتُ الحســـــنِ علـــــت فيهـــــا ... سُرراً لم تشـــــهدها مصر

جرّتهـــــا خيـــــلُ مسْرجـــــةُ ... بسرـــــوجِ طرّزهـــــا التـــــبر

ســـــارت والموكـــــب يقـــــدمها ... لا يحجـــــب حســـــناء ســـــترُ

وبنـــــــودُ تخفـــــــقُ حوالَيهـــــــا والنـــــــدُّ تضـــــــوّعَ والعطـــــــرُ

وطبـــــــولُ ثـــــــمَّ مـــــــزاميرُ صـــــــدحت فَتجاوبهـــــا القُمْـــــرُ

للـــــــه بـــــــدائعُ بـــــــاريزِ وعجائـــــب لـــــيس لهـــا حصرُ

مـــــن قصرٍ يحملـــــهُ فيـــــل أو عـــــرشٍ يحملـــــهُ نسرُ

أو فُلـــــكٍ ســـــارَ عـــــلي بَكَـــــرِ تعلـــــوهُ حســـــناءُ بِكـــــر

أوحصـــــــن جرتـــــــهُ خيـــــــلُ قادتـــــــهُ عـــــــذراءُ غـــــرُّ

أو تـــــــلٍ يكســـــــوهُ ثلـــــــجُ لم تصـــــحبهُ ريـــــحُ نكْـــــرُ

أو مـــــن عـــــرشٍ فيـــــهِ صَـــــنَمُ فيـــــــــهِ روحُ فيـــــــــهِ سر

أو بســـــــتانٍ فيـــــــهِ قصرُ فيـــــه حـــــور فيـــــهِ زهـــــرُ

وملائكـــــــــةٍ في أفـــــــــلاكِ فيهـــــا نجـــــمُ فيهـــــا بـــــدرْ

وطهـــــــاة تعلـــــــن مـــــــأكولا وطُهـــــاةِ قـــــد لبســـــتْ حلَـــــلاَ

عشر ـــــــات يحملهـــــــا قـــــــدر كبقـــــــولِ انبتهـــــــا بـــــــذر

فاللّفـــــتُ مـــــع الشـــــوكيّ مشي ومـــــش البقـــــدونسُ والجـــــزْرُ

وكـــــــــــــرفس مثـــــــــــــل رمـــــــــــــاح

وجرى هرم يختال فتحسب يتلـــــوه بصـــــل ثـــــوم فطـــــر

في بـــــــــــاريزَ بـــــــــــدت مصرُ

وهُنـــــا طـــــاؤسٌ مـــــن نـــــورِ وهنالـــــك مـــــن نـــــورِ صـــــقرُ

ومصـــــــــــابيحُ وقناديـــــــــــلُ حمـــــرُ صـــــفرُ زرقُ خضرُ

واهـــــــــازيجُ وأناشـــــــــيدُ وعســـــاكرُ يحـــــدوها النصرُ

وغرائـــــبُ لـــــيس لهـــــا وصـــــفُ ... في الكتـــبِ ولـــيسَ لهـــا حصرُ

والنـــاسُ مـــنَ الحيطـــانِ وفي الطيقـــانِ ... تصـــــيحُ لنـــــا البشرُ

ونســـــاءُ قـــــد لبســـــت أثـــــوابَ ... رجـــــالِ والتـــــبسَ الأمـــــرُ

وشـــــيوخُ تلعـــــبُ كالولـــــدان ... ولـــــيسَ عـــــلي أحـــــد نكـــــرُ

وزجاجـــــــــاتُ وأبـــــــــاريقُ ... لعبـــــت بمعاطيهـــــا الخمـــــرُ

ونهـــــــرَ العيـــــــدِ بليلتـــــــهِ ... وصـــــلوُه فلـــــم يحـــــدث هجـــــرُ

مـــــا بـــــينَ الـــــلـــــهو تقضّـــــى الليـــــلُ ... عـــــلي عجـــــلِ وبـــــدا الفجـــــرُ

فأيـــــــادٍ في أيـــــــدي عَقـــــــدت ... وأيـــــــادٍ يعقـــــــدُها الشَـــــــعرُ

وخصـــــــورُ تحســـــــبَها وهـــــــماً ... ولحـــــــاظُ عاهـــــــدها الســـــــحرُ

كـــــم جيـــــدٍ أفـــــتنَ ذا لُـــــبّ ... كـــــم غصـــــن يعلـــــوهُ بـــــدرُ

رقصـــــوا كغصـــــون قـــــد لعِبـــــت ... بحواشـــــيها نَسَـــــمُ عطـــــرُ

كـــــم خصـــــر طوّقـــــهُ زنـــــدُ ... كـــــم خـــــدٍ قبّلـــــهُ ثغـــــرُ

كـــــم قلـــــبٍ يخفـــــقُ في صـــــدرٍ ... كـــــم عـــــاجٍ يحملـــــهُ خصـــــرُ

صـــــاحوا والصـــــبحُ يفـــــرّقهمْ ... وعهـــــودُ الحـــــبّ لهـــــا نشرُ

يـــــا عيـــــداً تفديـــــهِ الأعيـــــادُ ... ويحســـــدُ بهجتـــــهُ الـــــدهر

عُـــــد وألـــــزم عاصـــــمةَ الـــــدنيا ... فســـــواها مـــــن الجســـــم الظهـــــرُ

كُـــــلُّ الأمصـــــارِ لهـــــا عَتَـــــبُ ... بـــــاريسُ مـــــن الـــــدنيا الصـــــدرُ

ومن باب الوصف أيضا قال يتشوق إلي باريز وقد سمع منشداً ينشد

CEST LA CEST LA QUE JE VEUX VIVRE AIMER ET MOURIR

فعرّبهُ ببيت جعلهُ قبل بيت الختام:

الحنـــين

حنـــــــينُ إلي تلـــــــك المنـــــــازلِ زائـــــــدُ

وطـــــــرفُ كـــــما تقضي ـــــ الصـــــبابةُ ســـــاهدُ

وشـــــــوقٌ وإن شـــــط المـــــــزارُ مقـــــــرّبُ

وحـــــــظٌ بـــــــرغمِ العـــــــزمِ منـــــــي مباعـــــــدُ

سقـــي اللـه عهـــدَ النازحينَ وإن قسوا

عهـــــادَ الأمـــــاني كلـــــما حـــــنَّ واجـــــدُ

وبـــــــاكرَ هاتيـــــــكَ الـــــــديارَ نســـــــيمُها

تَعَّطـــــــرُ منـــــــهُ روضُـــــــها والمعاهـــــــدُ

بـــــلاد هـــــي الـــــدنيا وقـــــومُ هـــــم المُنـــــى

وسُـــــــكانُها الأهلـــــــونَ والعـــــــيشُ بـــــــاردُ

ولا غربـــــــةٌ فيهـــــــا لمـــــــثلي يخافُهـــــــا

ولا الأخُ غضـــــــبانُ ولا الجـــــــارُ حاقـــــــدُ

منـــــازلُ أنـــــس تـــــأنسُ الطـــــيرُ عنـــــدها

ويأهـــــلُ فيهـــــا نمرهـــــا والأســـــاودُ

هنالـــــــــك لا غـــــــــرُّ جهـــــــــولٌ مـــــــــزاحمُ

ولا الفضـــــــــلُ منقـــــــــوصُ ولا العلـــــــــم كاســـــــــد

صـــــــــبوحيَ فيهـــــــــا بالحســـــــــان تفتّحـــــــــت

أزاهرُهـــــــــا والطـــــــــلُّ كالـــــــــدرّ عاقـــــــــد

وفيهـــــــــا غبـــــــــوقي بالريـــــــــاض تسلســـــــــلت

عليهـــــــــا ســـــــــواق كـــــــــاللُجينِ قلائـــــــــدُ

وحـــــــــوليَ مـــــــــما يـــــــــنعشُ الـــــــــنفسَ كـــــــــلَّ مـــــــــا

يجـــــــــدّدُ عهـــــــــد الحـــــــــبّ والوجـــــــــدُ راقـــــــــدُ

فـــــــــروحُ وريحـــــــــانُ وراحُ شـــــــــهيّةُ

وأنغـــــــــامُ أوتـــــــــارٍ وبـــــــــيضُ خرائـــــــــد

نهـــــــــاريَ في نظـــــــــم المحاســـــــــن ينقضي

ولـــــــــيليّ في مـــــــــا ينـــــــــثرئُ الفضـــــــــلُ نافـــــــــدُ

أشـــــــــاهدني في جنـــــــــة عنـــــــــد كـــــــــوثرِ

علتـــــــــهِ حســـــــــانُ كلِّهـــــــــن نواهـــــــــد

يجـــــــــاذبنَ فُلكـــــــــا هـــــــــنّ فيـــــــــهِ كأنّـــــــــهُ

ســـــــــماءُ بليـــــــــلٍ رصّـــــــــعتها الفراقـــــــــد

وأشـــــــــهدُني في ملعـــــــــب فـــــــــاق حســـــــــنُهُ

تقصّرُ عـــــــــن أدنى بهـــــــــاهُ القصـــــــــائد

فمـــــــن دار تشـــــــخيص إلى ظـــــــل جنـــــــة

إلي منتـــــــدى فضـــــــل تســـــــيرُ المقاصـــــــد

مغـــــان نفـــــاني الـــــدهرُ عنهـــــا لشـــــقوتي

فهـــــل نحوهـــــا بعـــــد النـــــوى أنـــــا عائـــــد

فلاصـــــحّتي مذ بنـــتُ عنها صحيحةُ

ولا مـــــــوردي صـــــــفوُ ولا الهـــــــمُّ حائـــــــد

بـــــــلادُ تقضـــــــت صـــــــبوتي في ربوعهـــــــا

وعـــــــدتُ إليهـــــــا والشـــــــبابُ مســـــــاعدُ

وعاودتهـــــــا بعـــــــد الشـــــــبابِ ولّمتـــــــي

مخضّـــــــبةُ كـــــــالفجرِ والوجـــــــدُ واحـــــــد

أحـــــــبُّ براريهـــــــا وأهـــــــوى قصـــــــورها

وســـــــكانها القـــــــومُ الكـــــــرام الأماجـــــــد

هنالـــــــك لا شـــــــملُ الصـــــــفاء مبـــــــددُ

بكيـــــــدِ الأعـــــــادي لا ولا الجهـــــــلُ ســـــــائد

هنـــــالـــك أهـــوي أن أعيش وأشتهي

هنـــــاك الهـــــوى والمـــــوت حـــــين يـــــراودُ

هنـــــــاكَ فـــــــؤادي لا يـــــــزالُ مقيـــــــداً

ولـــــيس يطيـــــبُ العـــــيشُ والقلـــــبُ شـــــاردُ

ومن مقاطيعه التي سماها "مرآة الأخلاق" وهي وصف أخلاق بعض المعاصرين أو بعض أخلاقهم قال:

إذا لم تكن خلا أميناً

ولا صاحباً يُرجي لخير ويُقصَدُ

ولا ربَّ جاهٍ يستظلُّ بظلهِ

ولم تك ذا صوتِ رخيمٍ يغردُ

ولا كاشفاً غمّاَ إذا العامُ أمحلت

ولا فيك علمُ عنك يُروى ويُسندُ

ولم تكُ مطواعاً فتُرشدُ للهدى

ولم تكُ ذا نصحٍ وعقل فترُشدُ

ففيم تمدُّ الصوتَ في كلّ مجلس

وتُعليهِ طوراً قائماً ثم تقعدُ

وتلتقطُ ترتجي مني وداداً وصحبةً

وأنتَ من الخيراتِ والفضل مكسدُ

يميناً لئن كنت ابن أمي ووالدي

وكانت كنوزُ الأرضِ عندك توجدُ

لما زدتَ في عيني علي قدر نملةٍ

ولا كنتُ إلا هارباً منك أبعدُ

ومن هذا الباب:

إذا مـــــا مواثيـــــق الإخـــــاء تقطعـــــت

ولم تحملـــــوا ضـــــيمي كحمـــــلي عـــــنكم

ولم تـــــكُ مـــــنكم للعهـــــود رعايـــــة

فـــــلا أنـــــتم منـــــي ولا أنـــــا مـــــنكم

ومنهُ أيضا:

عجبـــــي مـــــن معشر ـــــ إن يســـــمعوا

قـــــول شر رقصـــــوا واستبشر ـــــوا

أنـــــا لا أحـــــزنُ إن قيـــــل اغتنـــــى

بعـــــد عسر ـــــ واحـــــد أو أكـــــثر

لا ولا أفـــــرحُ إن قيـــــل هـــــوى

مـــــن أعـــــالي عـــــزه مســـــتكبر

بنعـــــيم النـــــاس لا أشـــــقى ولا

أرتجـــــي لي ثـــــروة إن فقـــــروا

حســـــدُ الجاهـــــلِ شر فاضـــــح

حســـــدُ العـــــالم شرٌّ أكـــــبرُ

ورأي المزوق (المدهن) في غرفة مكتبته يتأنق في نقش السقف وتزويقه فقال:

هـــب أن هـــذا الســـقف مـــن عســـجد

وأن هـــــذي الأرض مـــــن فضّـــــةِ

ألـــــــــيس ذا عاريـــــــــة كلـــــــــه

والمنـــــــــزلُ الأخـــــــــرُ في حفـــــــــرة

وقال:

طالمـــــــا قـــــــد أســـــــأتم وعفونـــــــا

يـــــوم كـــــان الصـــــبى شـــــفيعاً مـــــؤمر

كـــــم جـــــرحتم قلبـــــي ولم أتـــــبرم

وكسرتـــــــتم عظمـــــــي ولم أتضـــــــجر

كـــــان منـــــا الصـــــبا مـــــرهم جـــــرح

وجبـــــــوراً لكـــــــل مـــــــا يتكسَّر

فأســـــأتم بعـــــد اكتهـــــال وكسر العظـــــم

بعـــــــــد المشـــــــــيب لا يتجـــــــــبر

وقال من باب لزوم ما لا يلزم:

أمـــا في الحمـــي ضـــوء لمـــن جنـــه الليـــل

أمـــا هضـــبة ترقـــي لمـــن دهـــم الســـيل

إلي كـــم يظـــل الظلـــمُ للعـــدل مـــا حيـــا

وكـــم يســـتمر الجـــور في النـــاس والويـــلُ

إذا قـــــال رب الفضـــــل أنكـــــر قولـــــه

وإن نطـــق المهـــذار قيـــل هـــو القيـــل

أقلـــــــبُ طـــــــرفي في الـــــــديار فـــــــلا أرى

ســـــوي مـــــدع فضـــــلاً ولـــــيس لـــــهُ ذيـــــل

إذا قلـــــت قـــــم للأمـــــر قـــــام معـــــدّداً

معـــــاذيره لا حـــــول فيـــــه ولا حيـــــل

تحكمـــــت الأذنـــــاب فـــــالأمر أعـــــوج

متـــــي كـــــان للأذنـــــاب عـــــن عـــــوج ميـــــل

أجهـــــلاً وبغيـــــاً واســـــتطالة فـــــاجر

وعصرـــ جيـــوب القـــوم قـــد طفـــح الكيـــل

أمـــــا فـــــيكم للبـــــث صـــــيحة مشـــــتك

إذا لم يكـــــن مـــــالُ لـــــديكم ولا خيـــــل

كفـــــي القـــــوم عـــــاراً أن يُقـــــال غبـــــيهم

أخـــــو ســـــؤددٍ فـــــيهم لـــــهُ المنـــــع والنَيْـــــل

حزيران 1922

ورأي في المنام من يعرفه فخاطبه بالبيتين الآتيين وسمع منه جوابهما:

أكامـــــل هـــــذا الوقـــــت والدولـــــة التـــــي

لـــــهُ دوننـــــا فيهـــــا غـــــدا النهـــــيُ والأمـــــرُ

متـــــي ينتهـــــي جهـــــلُ الزمـــــان وحمقـــــهُ

فيـــــنحط ذو جهـــــل ويرتفـــــع الحـــــرُّ

فأجاب

تخـــــبرني مـــــن أصـــــبح الأمـــــر أمـــــرهُ

فكـــــان الـــــذي أرجـــــو وأســـــعفني الـــــدهرُ

هـــــل أصـــــطفي إلاّ أناســـــاً خـــــبرتهم

لهـــم دون علمـــي وهـــو لا شـــئ بـــل هـــذرُ

وقال يؤبن صديقه الأعز علامة العصر الشيخ إبراهيم اليازجي وأنشدهُ في محتفل مشهور في الإسكندرية سنة 1906 وهو من نوع الموشح وسماه المرصَّع:

يا راحلاً والقلوب في أثره — تتقطَّعْ

وغائباً لم نقف علي خبره — ولم نطمعْ

ويا حبيباً زواهُ عنا الردى — ولم يشفع

في بعدهِ شافعُ الحجي

هل عمي الدهر عن جميع الورى — فلم يدفعْ

يومك يا غاية المني

لو كان فداؤك بالأرواح — شيئاً معقولاً — أو أمراً مقبولاً

لبذلناها

قد كنت لنا شمس الإصباحْ — لما كسَفَتْ — منا انفجرت مقل نظرت

ما أدماها

فلو أنك — مذ باينت — هذي الأرض قد عاينت

حزن البعض ما استنكفت أن توحي إليهم بعض آياتك

ليفوك حقوق رثائك والتأبين

أن كان يفي ذالك ببيان أو تبيين

فلو أن الشهب استنزلناها وفداً وفدا

وعقود الدر نظمناها عقداً عقداً

لقضاء حقوق علاك ووفاء ديون حجاك

لم تنل سوي الفشل والخجل

إذ عرفك[1]طيب بل عنبر بل ذاك هو المسك الأذفر

وبيانُك ([2]) سحر أو سكر بل ذاك النيل بل الكوثر

بل ذلك شمس بل أنور

فلأنوار معانيك ولأسرار أماليك تعنو الأفهام

وعيون النثر إذا فاضت وبحور الشعر إذا غاضت

لا بدع فيعدك خطب عم صنوف العلم

واللغة والعصر [3] إنهما لفي خسر

ولمصرعك البلبل انتحر[4] والزهرة غارت والقمر [5]

فمن المعيدُ أو المجيد سلافة دعيت شمولا

([1]) العرف الطيب

([2]) مجلة البيان

(3) مقالة

(4) انتحار بلبل مقالة

(5) مقالة الزهرة ومقالة القمر.

ومدامة سلبت عقولا

فغادرت أهل النهي حيارى تحسبهم بلا حجى سكارى

وما هم بسكارى

ام المعجزة الآخرى بل آية آيتك الكبرى ففرائدك الحسان [1]

تلك اليواقيت التي تفدي بنور المقلة ما لؤلؤ ومرجان؟

فلها بعد نواك عينان ونضاختان

ومنه:

والشعر أطاعك منقاداً لا بزمام عاصيه

والي تبيانك قد سجدت أهل الأقلام تستفتيه

لما خرت صفوف القوافي لبراعتك صفا صفا

وخضعت بل ركعت صفوف الكلام الطيب براعتك صفا صفا

وأصبحت آيات البلاغة عيالا على صناعتك بل وقوفا وقفا

وتوارد مترادف اللفظ عند موردك ردفاً ردفاً

وتزاحم جماعات الفصاحة عند كعبة عرفانك ألفاً ألفا

فما الذي حل بذلك الهيكل الأنسي فقضي علي حركاته بالسكون؟

وما عرا بل ما دها ذلك الروح القدسي فحجب هيولاه عن العيون

أطائر قد يعود أم غائب موجود أم مضمحل مفقود ؟

---

(1) الفوائد الحسان معجم له

لا

بل أنت الحي بآثارك الباقي بأسنى أنوارك

المستعلي فوق الأحياء الخالد في عرش الضياء

المرتدي ثوب البهاء

يا قوم، لا حزن على الإمام من بعد اليومْ

وقال عندما ورد الخبر بفتح القدس في التاسع من كانون الأول للسنة 1917.

الفتح الجليل

اشرعوهـــــــا هنديـــــــة تتلمـــــــع

ثـــم ســـاروا والجـــيش بـــالجيش يُتبَـــع

قـــــدموا قبـــــل ســـــيرهم عجـــــلاتِ

كحصـــــون وكـــــل حســـــن مـــــدرع

حملوهـــــا مـــــن الـــــبلاء جبـــــالا

بـــــل رجـــــالا بكـــــل قلـــــب مشـــــيع

رتبوهـــــــا كتائبـــــــا قاذفـــــــات

بســـــيول النـــــيران مـــــن كـــــل مـــــدفع

فجـــــرت حيـــــث تـــــاه أقـــــوام مـــــوسى

راشـــــــدات كـــــــالبرق أو هـــــــي أسرع

وقضـــــوا أن يكـــــون للقـــــدس يومـــــا

يـــــــترضي بحكمـــــــة النـــــــاس أجمـــــــع

فاســـــتداروا حـــــول المدينـــــة حتـــــى

بيـــــت لحـــــم وشـــــاهدوا كـــــل موضـــــع

ثـــــم عنهـــــا تباعـــــدوا مظهـــــرين العجـــــز

حتـــــــي تراجعـــــــوا كـــــــل مرجـــــــع

فاقتفـــــاهم جـــــيش مـــــن الـــــترك والألمـــــان

والكـــــــــرد والمجـــــــــار تجمـــــــــع

قـــــــاده قائـــــــد عنيـــــــد شـــــــديد

طالمـــــــا دبـــــــر الجيـــــــوش وفـــــــزع

قـــــال مصر ـــــ لكـــــم فســـــيروا إليهـــــا

لـــــيس لي بعـــــدها ســـــوى الهنـــــد مطمـــــع

فأتـــــاه الصر ـــــيخ أن حصـــــون القـــــدس

في قبضـــــــــة العـــــــــدا فتخـــــــــرع

وتـــــــلاه مـــــــن المـــــــدافع رعـــــــد

قاصـــــف زلـــــزل الجبـــــال وزعـــــزع

رجـــــف القـــــبر رجفـــــة كـــــاد منهـــــا

ركـــــن قـــــدس الأقـــــداس أن يتضعضـــــع

ثـــــم كـــــان الضـــــجيج والهـــــول والفـــــر

وكـــــــر بـــــــه المنايـــــــا تـــــــوزع

ثـــم بانـــت رايـــات قـــوم لهـــم في

كـــل يـــوم مجـــد جديـــد مفـــرع

ولهـــم في الحـــروب عـــادات نصر ـــ

قـــد أبـــت أن تحـــول أو تتســـكع

ومنها:

رتـــلي الحمـــد يـــا معابـــد أورشـــليم

للفـــاتحين حمـــداً مضـــوع

واســـتنيري وهلـــلي واســـتنيري

منـــك نـــور للفـــتح في الشـــام أشرع

بعـــد جـــور مضـــت عليـــه قـــرون

بـــت للأمـــن والعدالـــة مطلـــع

بـــت للنـــاس كلهـــم حرمـــا أدنى

إلي الوفـــق والتســـاوي وأجمـــع

حقـــق الفـــتح قـــول كـــل رســـول

فـــوق تلـــك الجبـــال نـــاح وقـــرع

كنـــت للشر ـــ والتبـــاغض ركنـــا

ولنشر ـــ التفريـــق والحقـــد مربـــع

كنـــت أرض الحـــروب والظلـــم والعـــدوان

دهـــراً وللتفاســـد مهيـــع

فجفـــــت أرضـــــك الميـــــاه وحـــــل الجـــــدب

فيهـــــــا فأصـــــــبحت شـــــــبه بلقـــــــع

صـــــــدق اليـــــــوم قـــــــول كـــــــل نبـــــــي

نظـــــــم الشـــــــعر في حـــــــماك وســـــــجع

منـــــــك يـــــــأتي مخلـــــــص النـــــــاس طـــــــرا

مـــــــن عـــــــداء عـــــــم الشـــــــعوب وروع

ويـــــــري الخلـــــــق فـــــــوق طـــــــورك نـــــــوراً

ظلمـــــــة الشرـــــــق تنمحـــــــي حـــــــين يســـــــطع

فرعـــــــي اللـــــــه بيـــــــت لحـــــــم وحيـــــــا

المســـــــــجد الأشرف المنيـــــــــف المرفـــــــــع

وســـــــقي ركـــــــن هيكـــــــل الملـــــــك الســـــــامي

ســـــــــليمان ســـــــــحب عـــــــــز مسرـــــــــع

يـــــــترك الهيكـــــــل القـــــــديم كظـــــــلِ

لجديـــــــــدِ يكـــــــــون العلـــــــــم مجمـــــــــع

ومن مقاطيعهِ:

للـــــــمال ســـــــلطان عظـــــــيم في الـــــــورى

فاقصـــــــد لكســـــــب المـــــــال مـــــــن أبوابـــــــهِ

هـــــو آلـــــة لمفـــــاخر وســـــعادة

لا علـــــة عبـــــدت لمحـــــض ترابـــــهِ

هـــــو كالطعـــــام لنـــــا غـــــذاء صـــــالحُ

إن صـــــح هضـــــماً لا بفـــــرط نهابـــــه

فيـــــه قـــــوامُ الجســـــم مـــــا اعتـــــدل الغـــــذا

وصـــــــيانة لفســـــــاده وعذابـــــــه

تبـــــذيره ســـــفه وحمـــــق كـــــزه

فعليـــــك في الإنفـــــاق ســـــبل صـــــوابه

وكتب إليه أحد المتأدبين الظرفاء من السجن يستغيث به ليتوسل في إطلاقه فأجابه مداعبا بهذه القصيدة:

إننـــــي نبئـــــت أن الشـــــيخ قـــــد

ســـــاقه بـــــالأمس أربـــــاب الـــــدرك

بقضـــــــاء اللـــــــه أو مـــــــتهماً

بجنـــــاح هـــــو أفـــــك مؤتفـــــك

فـــــادرع بالصـــــبر وأعلـــــم أنهـــــا

نعمـــــة حلـــــت عـــــلي عبـــــد نســـــك

يـــــا رعـــــى اللـــــه مكانـــــا قـــــد غـــــدا

فيـــــه شـــــيخ الظـــــرف يجـــــري كالســـــمك

لـــــيس مـــــا قـــــد بـــــت فيـــــه قفـــــص

لا ولا ســـــــــــــــــــــــــــــــجن ولا ذاك شرك

إنمـــــــــــا ذاك عـــــــــــرين منـــــــــــدما

أســـــــدُ الشـــــــهباء فيـــــــه قـــــــد ســـــــلك

أو هـــــــو القصر ـــــــ الـــــــذي فـــــــاق عـــــــلى

فلـــــــك حـــــــل بـــــــه يومـــــــا ملـــــــك

فلـــــــذا يحســـــــد مـــــــن بـــــــات بـــــــه

في نعـــــــيم العـــــــيش يـــــــا شـــــــيخ معـــــــك

كـــــــم بـــــــه مـــــــن نفحـــــــة مســـــــكية

يـــــــنعش الـــــــروح إذا الليـــــــل حلـــــــك

وبراغيـــــــــــــــــث إذا هاجمـــــــــــــــــت

خلتهـــــــا مثـــــــل أســـــــود المعـــــــترك

وســـــــوي ذلـــــــك مـــــــن قمـــــــل ومـــــــن

ومـــــــــــــراحيض عـــــــــــــلى أبوابهـــــــــــــا

لســـــع بـــــق قـــــد حـــــكى وخـــــز الحســـــك

كـــــــم سراويـــــــل تـــــــدلت وتـــــــك

ووجـــــــوه يظلـــــــم الصـــــــبحُ لهـــــــا

خـــــــيم اليـــــــأس عليهـــــــا وبـــــــرك

يـــــا لأجـــــر نالـــــه الشـــــيخ ويـــــا ويـــــح

مـــــــن في إثمـــــــهِ اليـــــــوم اشـــــــترك

ومن معرباته عن قصيدة فرنسوية:

يوم في عيدٍ في الجنة

للـــــــــه رب العـــــــــرش والأكـــــــــوان

فكـــــــر تفـــــــوت تصـــــــور الإنســـــــان

ولقـــــــد أتـــــــاه ذات يـــــــوم خـــــــاطر

رقصـــــــت لـــــــه الجنـــــــاتُ بالســـــــكان

فقـــــــام في أســـــــمى قصـــــــور جنانـــــــه

عيـــــــداً لـــــــه ســـــــجدت ذوو التيجـــــــان

ودعـــــا إليـــــه وهـــــو أكـــــرم مـــــن دعـــــا

غيـــــــد الفضـــــــائل زينـــــــة العمـــــــران

لكنـــــــه ســـــــاوى الجميـــــــع وربمـــــــا

فـــــــاق الصـــــــغار الكبريـــــــات الشـــــــان

فســـــــلكن في لطـــــــف التحيـــــــة مســـــــلكاً

يـــــــزري عـــــــلي النســـــــمات في الأغصـــــــان

وجمـــــــيعهن جـــــــرين جـــــــري قرائـــــــبِ

وشـــــــقائق في طاعـــــــة الـــــــرحمن

ونهلـــــن كاســـــات الـــــولاء وقـــــد تبـــــادلن

الحـــــــــــديث تبـــــــــــادل الأقـــــــــــران

لكـــــــن رب القصر ـــــــ جـــــــل جلالـــــــهُ

إذ كـــــــان ينظـــــــر نظـــــــرة العرفـــــــان

لمـــــــح اثنتـــــــين كأنمـــــــا إحـــــــداهما

لا تعـــــــــرف الأخـــــــــرى فتأتلفـــــــــان

ولعلمـــــــــه بطريقـــــــــة البشر ـــــــــ الألى

بلغـــــوا مـــــن العمـــــران خـــــير مكـــــان

مـــــــد اليـــــــدين إلـــــــيهما متنـــــــاولاً

يـــــد كـــــل خـــــود مـــــنهما ببنـــــان

وإلي الـــــيمن أشـــــار وهـــــو يقـــــول ذي

في الأرض تـــــــــدعو ربـــــــــةَ الإحســـــــــان

وأشـــــــار للآخـــــــري وقـــــــال وهـــــــذه

تـــــــدعي كـــــــذلك ربـــــــه الشـــــــكران

في أختهـــــــــا كتفـــــــــرس الحـــــــــيران

إذ منـــــــذ خلـــــــق الـــــــله دنيانـــــــا إلى

ذا اليـــــــــوم لم تتواجـــــــــه الأختـــــــــان

وعن قصيدة للشاعر المشهور اللورد بايرون وسماها المعرب.

بحـــــق مـــــن يـــــا منيتـــــي أعظـــــم فيـــــك فتنتـــــي

لا تغضـــــبي فلـــــم تكـــــن جنـــــايتي في يقظتـــــي

نعـــــم حلمـــــت أننـــــي قـــــد نلـــــت أقصي بغيتـــــي

وإن قلـــــب مـــــن أحـــــب هـــــام في محبتـــــي

جريمـــــة أثمتهـــــا ياويحهـــــا جريمتـــــي

لكنهـــــا لقـــــد جـــــرت سـيدتي في غفلتـــــي

وســـــوف أقـــــتص مـــــن الرقـــــاد يـــــا مليكتـــــي

بـــــل فاصـــــفحي عـــــن ذنبـــــه فإنـــــهُ وســـــيلتي

إذ أننـــــي لـــــولاه منـــــك لم أفـــــز بلمحـــــةِ

ولا حلمـــــت بهـــــواك بي وهـــــذا منيتـــــي

أيرتجـــــي هـــــواك صـــــب عاقـــــل في اليقظـــــة

وكيـــــف يمتـــــد إليـــــك بصر يـــــا مهجتـــــي؟

أن البُكـــــا يشـــــغلني في يقظتـــــي عـــــن نظـــــرتي

❁ ❁ ❁

إليـــــك يـــــاملاك رقـــــدتي وراعـــــي مقلتـــــي

أدعـــــو فثقـــــل فـــــوق أجفـــــاني وغيـــــب فكـــــرتي

وابســـــط عـــــلي عينـــــي مـــــن جـــــودك أهنـــــى نعســـــة

لعـــل حلـــم الأمـــس يبـــدو ... لي بهـــــــذي الليلـــــــةِ

للـــــه مـــــا أبـــــدع مـــــا ... أرى بتلـــــــك الخلســـــــةِ

وأي مشـــــــــهد يبـــــــين ... لي بتلـــــــك البغتـــــــة

أري بعـــــين الـــــروح مـــــا ... يســـــكرني مـــــن دهشـــــتي

لا يســـــتطيع وصـــــف غبطتـــــي ... لســـــــــان اللغـــــــة

ومنـــــــــزل ســـــــــكنتهِ ... أضـــــحي ســـــماء البُقعـــــةِ

ولا وصـــــــول للســـــــماء ... قبـــــل يـــــوم النفخـــــةِ

وقيـــــل أن النـــــوم في الحـــــق ... شـــــــــقيق الميتـــــــــةِ

فصرـــــتُ مـــــن أجلـــــك أهـــــوي ... ميتتـــــــــي أو نـــــــــومتي

عســـــــــاي أن أذوق مـــــــــن ... مـــــــرآك شـــــــبه اللـــــــذة

إذ لـــــــــذة اللقـــــــــاء في ... ســـــــماك فـــــوق قـــــدرتي

❁ ❁ ❁

أراك قـــــــــد قطبـــــــــت لي ... وجهـــــــك يـــــــا أمـــــــيرتي

كأنـــــــــك اســـــــــتعظمت لي ... بلـــــــوغ تلـــــــك النعمـــــــةِ

إن كـــــان ذنبـــــي في منـــــامي ... موجبـــــــــــاً عقـــــــــوبتي

رحـــــماك حســـــبي مـــــا أرى ... في يقظتـــــي مـــــن غصـــــتي

إذ كـــــلّ مـــــا شـــــاهدتُهُ ... مـــــن نعمـــــةٍ وغبطـــــةِ

مـــــا كـــــان إلا حُلُـــــماً ... قـــــد مـــــر مثـــــل طرفـــــةِ

ولم أفـــــز مـــــن حســـــنة ... إلا بشـــــــبه اللمحـــــــة

❁ ❁ ❁

وقـــــد تـــــرين في الـــــذي شرحتـــــه مـــــن قصـــــتي

مـــــا لا يفـــــي جنايـــــة جنيتهـــــا في غفلتـــــي

أواه لـــــو علمـــــت مـــــا أشـــــعر عنـــــد هبتـــــي

مـــــذ غـــــدا طيفـــــك لا يمـــــر بي في هجعتـــــي

وا كـــــدري وألمـــــي وا حسرـــــتي وا وحشـــــتي

حســـــبي بهـــــا عقوبـــــة أجـــــزى بهـــــا في يقظتـــــي

يـــــا منيتـــــي يـــــا رحمتـــــي يـــــا نعمتـــــي يـــــا جنتـــــي

وقال ابان ذبح الأرمن في أطنه ، والتحريض في حلب علي مثل ذلك قُبيل خلع عبد الحميد سنة 1909:

قـــــف بالـــــديار وحيهـــــا

وأســـــأل معاهـــــدها الوســـــيمة

هـــــل مـــــال عنهـــــا للســـــوى

مـــــن حبُّهـــــا أضـــــحي غريمـــــة

يـــــرضى العـــــذاب بقربهـــــا

ويـــــري الشـــــقا فيهـــــا نعيمـــــه

صـــــب وإن نســـــبت إلى

حمـــــص منابتـــــه القديمـــــة

فلأنـــــــت يـــــــا حلـــــــب العـــــــلا

وطـــــــــن لأسرتـــــــــه الصـــــــــميمة

مضـــــــــت القـــــــــرون ولم تـــــــــزل

بربوعهـــــــــا أبـــــــــداً مقيمـــــــــة

حلـــــــب حـــــــماك اللـــــــه مـــــــن

عـــــــين ابـــــــن فـــــــاجرة أثيمـــــــة

يـــــــا مســـــــقط الـــــــرأس العزيـــــــز

ودرة الحســـــــــــــن اليتيمـــــــــــــة

يـــــــا مـــــــوطن الأدب الصـــــــحيح

ومجمـــــــع الشـــــــيم الكريمـــــــة

أهلـــــــوك خـــــــير النـــــــاس أخلاقـــــــاً

وأصـــــــــــــدقهم عزيمـــــــــــــة

أهـــــــل التقـــــــي أهـــــــل الصـــــــلاح

وكـــــــل منقبـــــــة وســـــــيمة

وجـــــــوارهم خـــــــير الجـــــــوار

ووده ـــــــم أســـــــنى غنيمـــــــة

مـــــــا أخلفـــــــوا عهـــــــدا ولا

خـــــــانوا ولا ارتكبـــــــوا جريمـــــــة

يفـــــــــــديك ياحلـــــــــــب الكـــــــــــرام

بكـــــــــــل ذي قـــــــــــدر وقيمـــــــــــة

أفـــــــــــديك بـــــــــــالنفس العزيـــــــــــزة

وهـــــــــــي في عينـــــــــــي عظيمـــــــــــة

للـــــــــــه منـــــــــــك ريـــــــــــاض حســـــــــــن

نـــــــــــورت مـــــــــــن بعـــــــــــد ديمـــــــــــة

وجنـــــــــــان أنـــــــــــس حورهـــــــــــا

وعهودهـــــــــــا ليســـــــــــت ذميمـــــــــــة

ورعـــــــــــي الإلـــــــــــه منـــــــــــازلا

وحمـــــــــــي جواســـــــــــقك الفخيمـــــــــــة

ولـــــــــــدي وأهـــــــــــلي في ربوعـــــــــــك

ثـــــــــــم أرحـــــــــــامي الرحيمـــــــــــة

وذوو ودادي والألى

نكـــــــــــران ذكـــــــــــراهم شـــــــــــتيمة

مـــــــــــن كـــــــــــل أروع ماجـــــــــــد

حـــــــــــر المـــــــــــودة والشـــــــــــكيمة

ومهـــــــــــذب عاشرتـــــــــــهُ

فخمـــــــــــدت منـــــــــــه خـــــــــــير شـــــــــــيمة

حييـــــــت يـــــــا حلـــــــب الـــــــذمام

وكـــــــــل مفخـــــــــرة جســـــــــيمة

أدعـــــــــو لرغـــــــــدك كلـــــــــما

ذكـــــــــر الكـــــــــرام لنـــــــــا كريمـــــــــة

وأحـــــــــب أهلـــــــــك أنهـــــــــم

أهـــــــــل الخـــــــــلال المســـــــــتقيمة

وقال مداعبا صديقاً اسمه خليل مع التضمين والاكتفاء:

أضـــــــاع عهـــــــدي ولكـــــــن سري غـــــــدا في يديـــــــهِ

فلـــــــم ألمـــــــه بحـــــــرف وقلـــــــتُ شـــــــوقي إليـــــــهِ

في كـــــــل حـــــــال خلـــــــيلي يـــــــا نـــــــار كـــــــوني عليـــــــه

ومن تشطيره وهو من شعر الصبا:

قـــــــد طـــــــال بعـــــــدك والغـــــــرام أعلّنـــــــي

والشـــــــوق إلا عـــــــن هـــــــواك أضـــــــلني

والصـــــــبر مـــــــن فـــــــرط الـــــــدلال أملنـــــــي

يـــــــا مـــــــن هـــــــواه أعـــــــزه وأذلنـــــــي

كيـــــــف الســـــــبيل إلي وصـــــــالك دلنـــــــي

قلبـــــــي عـــــــن الســـــــلوان أضـــــــحي نائمـــــــا

وعـــــــلي وصـــــــالك بـــــــات فكـــــــري حائمـــــــا

لم قـــــد حكمـــــت بـــــأن أعـــــذب دائمـــــا

وتركتنـــــــي حـــــــيران صـــــــباً هائمـــــــا

أرعـــي النجـــوم وأنـــت في عـــيش هنـــي

أجريـــــت مـــــن عينـــــي دمعـــــا أحمـــــرا

وكســـــــوتني ســـــــقماً ولونـــــــاً أصـــــــفراً

قـــــد كـــــان عيشي ـــــ قبـــــل حســـــك أخضرـــــا

يـــــاليتني مـــــا قـــــد عرفتـــــك في الـــــورى

أو كنـــت يـــا بـــدر الـــدجى أوصـــلتني

ومنه:

وظننـــــت عهـــــدا كـــــان أبـــــرم بيننـــــا

يـــــوهي الوشـــــاة وعقـــــده لـــــن يوهنـــــا

لكـــــن رأيـــــت النكـــــث عنـــــدك هينـــــا

هـــــب النســـــيم فلمـــــت والغصـــــن أنحنـــــي

أيـــــن اليمـــــين وأيـــــن مـــــا عاهـــــدتني

فـــــإذا صـــــبرت فـــــأن صـــــبري مهلـــــكي

وإذا بكيـــــت فـــــما مـــــرادي مـــــدركي

وأراك قـــــد صـــــدقت عنـــــي مـــــا حـــــكي

فلأقعـــــدن عـــــلي الطريـــــق وأشـــــتكي

في زى مظلـــــوم وأنـــــت ظلمتنـــــي

وأقـــــول هـــــذا الـــــريم ياأهـــــل الحجـــــى

تخـــــد الخديعـــــة في المحبـــــة منهجـــــا

ولأكـــــثرن بصـــــدك المـــــر الهجـــــا

ولأدعـــــين عليـــــك في غســـــق الـــــدجى

يبليـــــك ربي مـــــثلما أبليتنـــــي

ومن موشحاته في وصف الشؤون الطبيعية والأخلاق والتأريخ والعلم ، وهو مما نشر في مجلة الضياء:

شباب الربيع

عنـــــدما النـــــور تـــــدلي كالســـــجوف

ورمـــــت ذراتـــــه قلـــــب الظـــــلام

وعـــــرا البـــــدر أكمـــــداد كالخســـــوف

ونســـــيم الفجـــــر نـــــادى للقيـــــام

نهـــــض الســـــائح يعـــــدو للســـــفر

ولنيســـــان نشـــــاط وجـــــمال

لـــــيس يحكيـــــه ســـــوى عصرـــــ الشـــــباب

وســـــهول الـــــدرب مـــــع تلـــــك الـــــتلال

أصـــــبحت مـــــن نبتهـــــا تحـــــت نقـــــاب

لم يـــــدر في وشـــــيه فكـــــر بشرـــــ

فجـــــــــري صـــــــــاحبنا دون الخبـــــــــب

حـــــائرا مـــــن حســـــن هاتيـــــك النقـــــوش

قـــــــال مـــــــا هـــــــذا أدر أم ذهـــــــب

أم لآل نـــــــــثرت فـــــــــوق عـــــــــروش

أم نجـــوم أم نـــدى مثـــل المطـــر

وهـــــو بينـــــا يقطـــــع الســـــهل الفســـــيح

قـــــد حـــــكى بحـــــر تبـــــدت خضرـــــتُهْ

نفحـــــــت ريـــــــح بهـــــــا أرواح شـــــــيح

مـــــاج منهـــــا النبـــــت تزهـــــو نضرـــــتهُ

فهـــو مـــوج النبـــت يجـــلى للبصرـــ

وعـــــلي تلـــــك الـــــربي النـــــور اســـــتبان

بعـــــــدما أرديـــــــة الليـــــــل انطـــــــوت

مـــــذ عـــــروس الكـــــون بـــــل حســـــن الزمـــــان

ربَّـــــة النـــــور عـــــلي العـــــرش اســـــتوت

وغـــــدت تســـــحب أذيـــــال الخفـــــر

عنـــــد هـــــذا الأرض ضـــــجت بالـــــدعاء

لمجـــــالي حســـــنها فعـــــل شـــــكور

وغـــــدت نـــــاشرة نحـــــو العـــــلاء

مـــــن بخـــــار المـــــاء مـــــا يحـــــكي البخـــــور

وتلـــــت أزهارُهـــــا الحمـــــدَ سُـــــورَ

ومنه:

مـــــا ألـــــذَّ العـــــيش عـــــيش المـــــرء في

بقعـــــة قـــــد جمعـــــت كـــــل الجـــــمال

مـــــن جبـــــال ماؤهـــــا مـــــن قرقـــــفِ

ومـــــروج وريـــــاض ودغـــــال

وإذا أشـــــتي إلي وادِ نفَـــــر

ونعيجـــــات لـــــهُ مـــــن ســـــمنها

ولبانهـــــا خـــــير مطعـــــوم مقيـــــت

ودجاجـــــات يـــــري في كنهـــــا

كـــــل يـــــوم طـــــارف البـــــيض شـــــتيت

وإذا مـــــا شـــــاقهُ اللحـــــم نحـــــر

ونباتـــــات لـــــه في زرعهـــــا

بغيـــــة العامـــــل للـــــربح الصريـــــح

ولـــــه مـــــن بعـــــد ذا في قطعهـــــا

لـــــذة الآكـــــل ذي الجســـــم الصـــــحيح

نـــــاعم البـــــال خليـــــاً مـــــن كـــــدر

لا يـــــري أيـــــان مـــــا ســـــار حســـــود

يظهـــــر الـــــود عـــــلي بغـــــض كمـــــين

أو لئـــــــيم الطبـــــــع مكـــــــاراً كنـــــــود

يتحـــــــــامي شره في كـــــــــل حـــــــــين

أو عـــــــدواً أو كـــــــذوباً محتقـــــــر

أو جهـــــــولاً ســـــــاحباً ذيـــــــل الغـــــــرور

يحســـــــب الـــــــدنيا لـــــــه قـــــــد خلقـــــــت

يتبـــــــــاهي بفســـــــــاد وفجـــــــــور

زاعـــــــما قريتـــــــه قـــــــد رزقـــــــت

مـــــن ذكـــــا أفكـــــاره علـــــم البشر

أو نظـــــــام الشـــــــمس مملوكـــــــا رقيـــــــق

مـــــــا لـــــــه شـــــــغل ســـــــوى خدمتـــــــهِ

فهـــــــــي لا تطلـــــــــع إلا إذا يفيـــــــــق

والـــــــــدراري قمـــــــــن في رقدتـــــــــه

سرجـــــا تطفـــــأ إذا الصـــــبح انفجـــــر

أو كـــــــأن الكهربـــــــاء قـــــــد قـــــــدحت

عـــــن بريـــــق لاح مـــــن ضـــــوء ســـــناه

وتمنـــــــي أيدســـــــون لـــــــو ســـــــنحت

لســـــــما آرائـــــــه فـــــــيما أتـــــــاه

خطـــــرات منـــــه مـــــرت بـــــالفكر

أو كـــــــأن الجـــــــذب قـــــــد أفضى ـــــــ إلى

علمـــــــــــه بالسر ـــــــــــ دون العـــــــــــالمين

أو كـــــــأن الكيميـــــــا وقـــــــف عـــــــلى

حدســـــــه إذ حـــــــل لغـــــــز الأقـــــــدمين

فأحـــــل الصـــــف تـــــبرأ مختـــــبر

ومنه:

ورأي مـــــــــن خلفـــــــــه دارا يســـــــــير

بجيـــــــوش مـــــــلأت تلـــــــك الجهـــــــات

يحســـــــب النصر ـــــــ مـــــــع الجمـــــــع الكبـــــــير

لم يـــــــــــدر في فكـــــــــــره أن الثبـــــــــــات

وصـــــــواب الـــــــرأي عنـــــــوان الظفـــــــر

ومنه:

مـــــــذ رأى اليونـــــــان مـــــــن تلـــــــك الجبـــــــال

فيلـــــــق الفـــــــرس تصـــــــدّى الصـــــــعودْ

رشـــــــــــقوه بحجـــــــــــار ونبـــــــــــال

قـــــــدا الرعـــــــب بهاتيـــــــك الجنـــــــود

وفريـــــــق بفريـــــــق قـــــــد عـــــــثر

ثـــــــم قـــــــام الهـــــــرج واشـــــــتد الجـــــــلاد

وعـــــــلا العـــــــج إلى الســـــــبع الطبـــــــاق

ومـــــــلا النقـــــــع الفيـــــــافي والنجـــــــاد

ومجـــــال الـــــدفع بـــــين الفـــــرس ضـــــاق

فـــــرأوا إدبـــــارهم رأس الحـــــذر

ومنه:

فـــــإذا بـــــالبحر قـــــد بـــــان لـــــهُ

مـــــا لـــــهُ في الأرض مـــــن شـــــبه عظـــــيم

وبأقصـــــاه بـــــدا مـــــا هالـــــه

إذا رأى الشـــــمس لهـــــا وجـــــه ســـــقيم

تســـــتغث الخلـــــق في دفـــــع الخطـــــر

ورأهـــــا هبطـــــت فـــــوق العبـــــاب

مثـــــل عصـــــفور أمـــــام الأفعـــــوان

ثـــــم عـــــج المـــــوج يعلـــــو كالهضـــــاب

لابـــــتلاع الشـــــمس في بضـــــع ثـــــوان

يـــــا لبركـــــان ببحـــــر قـــــد فغـــــر

وقال:

إن يحـــــن يـــــوم مـــــماتي ألتقيـــــه بثبـــــاتي

صـــادق البـــأس قـــوي الجـــأش عنـــد النائبـــاتِ

ذقـــت مـــن لـــذات دهـــري كـــل أنـــواع الهبـــاتِ

أن تســـو منـــه فعـــالُ كـــم لـــه مـــن حســـناتِ

كـــل مـــا بي مـــن حميـــد وشـــــعور وصـــــفات

خالـــــــد أودعتـــــــه في كـــل نفـــس مـــن بنـــاتي

كنـــت فـــوق الأرض روحـــاً ســـــاكنا هيكـــــل ذاتي

فيـــه تبـــدو ســـكناتي وهـــو مجـــلي حركـــاتي

فتضـــــاعفت فروحـــــي هـــي في خمـــس بنـــاتي

بـــل لكـــل مثـــل روحـــي وهـــي حســـن الكائنـــات

فحيـــــاتي في بنـــــاتي إن يحـــن يـــوم مـــماتي

سنة 1918

ومما نظمه في دمشق وبعث به إلي حلب ، يتشوق ويعرض ببعض الكبراء فيها وسماها:

الشاميـــة

إن صـــد طـــيفكم أو شـــطت الـــدارُ

فالصـــب يكفيـــه بعـــد البعـــد تـــذكارُ

قـــد كـــان يؤنســـني مـــنكم خيـــال ذكـــرى

فأدركتـــه مـــن الحســـاد أنظـــارُ

فأغتضـــت منـــه بـــذكر غـــير مفـــترق

مـــن دونـــه حجـــب عنـــدي وأســـتارُ

يقـــيم لي كـــل وقـــت مـــن جمالكـــم

عوالمـــا كلهـــا حســـنٌ وأنـــوار

يجـــــرد الـــــذهن منهـــــا كـــــل فاتنـــــة

يضـــــيق عـــــن وصـــــفها لفـــــظ وأشـــــعار

تمثـــــل العـــــين منهـــــا آيـــــة عجـــــزت

عـــــن أن يحـــــيط بهـــــا عقـــــل وأفكـــــار

في كـــــل وقـــــت بســـــمعي نغمـــــة لكـــــم

مـــــا أن يشـــــابهها لحـــــن وأوتـــــار

وطـــــول يـــــومي أنـــــاجيكم كـــــأنكمُ

في بؤبـــــؤ العـــــين ســـــكان وزوارُ

ولـــــيس يوحشـــــني مـــــا دام يؤنســـــني

تـــــذكاركم وطـــــن يومـــــاً ولا جـــــار

ومنها:

أمـــــد طـــــرفي نحـــــو الجـــــو أبصرـــــ مـــــا

يلـــــذ حتـــــي كـــــأن الجـــــو ســـــحارُ

فـــــلا أرى غـــــيركم في الكـــــون أجمعـــــه

ولا ســـــوى قـــــربكم للقلـــــب أوطـــــار

هـــــذي حيـــــاتي أقضـــــيها وذكـــــركم

تفـــــيض لي منـــــه لـــــذّات وأسرار

تـــــردني نحـــــو أيـــــام لنـــــا ســـــلفت

كـــــان أميـــــال ذاك العهـــــد أشـــــبار

ولا أري غـــــير جنّـــــات نطفـــــو بهـــــا

وفـــــوق أغصـــــانها تفـــــتر أطيـــــار

ومنها:

وان دجـــا الليـــل عنـــدي شـــبه حســـنكم

كواكـــــب تـــــنجلي فيـــــه وأقـــــمار

أري ربيـــــع شـــــباب غـــــير منفصـــــلٍ

فكـــــل عـــــامي نيســـــان وأيـــــار

وكـــــل مـــــا بي روح غـــــير مفـــــترق

عـــــنكم وكـــــلي أســـــماع وأبصـــــار

ومنها:

أذا تأملـــــت في ذا الخلـــــق حـــــيرني

في قســـــمة الحـــــظ إقبـــــال وإدبـــــارُ

وقـــــولهم لـــــيس في الإمكـــــان أبـــــداع مـــــن

مـــــا كـــــان هـــــل في عـــــلا أهـــــل النهـــــي عـــــار

ومنها:

في كـــــل يـــــوم لأهـــــل الكـــــذب شـــــعوذة

تســـــود فيهـــــا عـــــلي الأخيـــــار أشرارُ

كأنمـــــا نعـــــم الـــــدنيا غـــــدت ســـــلباً

ينالـــــه في الـــــوري لـــــص ومكـــــار

مـــــن أقـــــدم الـــــدهر شر النـــــاس يحكمهـــــم

إلا قليـــــــــل لهـــــــــم في الخـــــــــير آثـــــــــار

إذا شـــــكا الجـــــور أهـــــل الفضـــــل غـــــالطهم

عصـــــــــابةُ علمهُـــــــــا زور وإنكـــــــــار

وإن فشـــــا الظلـــــم كـــــان الجهـــــل خادمـــــه

والظـــــــالمون لهـــــــم رهـــــــط وأنصـــــــار

والفضـــــــل أنصـــــــاره في الأرض مـــــــا فتئـــــــوا

هـــــــم القليلـــــــون أن تصـــــــدقك أخبـــــــارُ

ومنها:

مـــــا بـــــال مقـــــتحم العليـــــاء مرتعـــــد

يـــــوم الشـــــهادة والإظهـــــار إضـــــمارُ

أعـــــاجز وجبـــــان يـــــوم تزكيـــــة

وفـــــارس يـــــوم زور القـــــول مغـــــوارُ

لـــــئن صـــــبرت عـــــلي قـــــوم أدالهـــــم

عمـــــــــي الزمـــــــــان فللأيـــــــــام أدوارُ

ليســـــمعن عـــــداة الفضـــــل مـــــن نفسي

رعـــــدا إذا عـــــاينوا أبراقـــــه طـــــاروا

ومخزيـــــات إذا مـــــا قمـــــت أنشرـــــها

عـــــنهم تضـــــيق بهـــــا صـــــحف وأســـــفار

ومنها:

أعـــــزز عـــــلي الفضـــــل أن يمسي ـــــ ونـــــاصرهُ

قـــــوم إذا اســـــتجدوا يـــــوم الـــــوغى خـــــاروا

أعـــــزز عـــــلي المجـــــد يمسي ـــــ وأربعـــــه

مراتعـــــــــا ســـــــــامها دون ومهـــــــــذار

ومنها:

ســـــقت عهـــــاد الـــــرضي الفيحـــــاء مـــــا نضـــــجت

بهـــــا لأهـــــل الحجـــــى والفضـــــل أثمـــــار

بـــــيض الوجـــــوه بـــــبرج المجـــــد قـــــد طلعـــــوا

وعنـــــــدهم لـــــــذوي الأقـــــــدار أقـــــــدارُ

لـــــولا الألي ملكـــــوا روحـــــي لمـــــا رضـــــيت

بـــــــالبين نفسي ـــــــ ولا الشـــــــهباء لي دار

حتـــــي يحـــــوز نصـــــاب المجـــــد أفضـــــلنا

ويعـــــــتلي صـــــــهوة العليـــــــاء مغـــــــوار

سنة 1920

ومن إخوانياته ، وكتب بها إلي صديق انقطع عن زيارته لخشونة بدت في خادم اسمه حبيب:

أيـــــــن ذنبـــــــي إذا أســـــــاء الحبيـــــــب

وعـــــــلى م الهجـــــــران يـــــــاذا الأريـــــــبُ

خـــــادم صـــــاغه المهـــــيمن فظـــــا

أيـــــن منـــــه التأهيـــــل والترحيـــــب

جاهـــــل قـــــد أســـــاء منـــــك اعتـــــذارا

أنـــــا عـــــن ذنبـــــه إليـــــك أتـــــوب

كنـــــت أرجـــــو أن المحبـــــة تمحـــــو

ألـــــف عيـــــب وأن تقـــــل الـــــذنوب

ذاك شرع الهـــــوي وأنـــــت إمـــــامُ

لـــــيس يخفـــــى عليـــــك منـــــه مغيـــــب

عـــــد وزر مخلصـــــا عليـــــك اشـــــتياق

مثـــــل ذا الوقـــــت لا يغيـــــب الطبيـــــبُ

وكتب إلي صديقه أحمد زكي باشا العلامة الأديب المشهور يداعبه عند زيارة القاهرة سنة 1920.

أصـــــحابنا في مصر قـــــد ضـــــيعوا

أصـــــحابهم وأستصـــــحبوا الـــــذكرى

ســـــألت عـــــنهم واحـــــداً واحـــــداً

فنلـــــتُ عـــــنهم أحســـــن البشـــــري

كـــــأنهم قـــــد حســـــبوا الســـــعي في

جمـــــع الـــــثراء الغايـــــة الكـــــبري

وضـــــــــمنوا ان نلتقـــــــــي بعـــــــــدها

للأنـــــــــس في الموعـــــــــودة الأخـــــــــرى

ومما كتبه علي صورته:

رســـــــــومنا تفـــــــــي وأجســـــــــامنا

تـــــــبلي وهـــــــذي ســـــــنّةُ الكـــــــونِ

ولـــــــيس يبقـــــــي غـــــــير آثارنـــــــا

مـــــــن لي بآثـــــــار بهـــــــا صـــــــوني

وقد تجاوزنا بهذه الترجمة الحد الذي قطعناه علي نفسنا بالاختصار، ولكننا نزلنا عند إلحاح بل حكم بعض الإخوان الأفاضل ولله درّ القائل :

وعـــين الـــرضي عـــن كـــلّ عيـــبٍ كليلـــة

كـــما أن عـــين الســـخط تبـــدي المســـاويا

تـــم

- **مؤسسة بحثية مستقلة، تتبع جمعية خريجي معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، تخضع لقانون الجمعيات الأهلية المصري، مشهرة في وزارة التضامن الاجتماعي برقم 1328 لسنة 2002م .**
- **يتكون المركز الثقافي الآسيوي من الوحدات التالية :**

1) **وحدة دراسات الخليج وشبه الجزيرة العربية .**
2) **وحدة الدراسات الإيرانية .**
3) **وحدة الدراسات التركية والعثمانية .**
4) **وحدة الدراسات الأرمنية والقوقازية .**
5) **وحدة الدراسات اليهودية والإسرائيلية .**
6) **وحدة دراسات الشرق الأقصى .**
7) **وحدة دراسات الفنون والتراث.**
8) **وحدة دراسات تركستان الشرقية - شينجيانج**

- **يهدف المركز الثقافي الآسيوي إلى عمل البحوث والدراسات المتعلقة بقارة آسيا في النواحي التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكافة النواحي الحضارية .**
- **يعمل المركز الثقافي الآسيوي على طباعة ونشر الدراسات التي تنتجها وحداته المختلفة، كذلك الدراسات التي يتقدم بها الباحثون المتخصصون في مجال اهتمامات وحدات المركز .**
- **كما يقوم المركز الثقافي الآسيوي بترجمة الإصدارات العالمية الخاصة بقارة آسيا وإصدارها في نشرات خاصة .**

- يسعى المركز الثقافي الآسيوي إلى إصدار عدة سلاسل من الكتب والدوريات المتخصصة والتي تخدم الدراسات الآسيوية خاصة، والثقافة الإنسانية بشكل عام .
- يمد المركز الثقافي الآسيوي يد التعاون للباحثين والمراكز البحثية والهيئات العلمية الأخرى، للقيام بالأنشطة العلمية والندوات والمؤتمرات وعمل الأبحاث ونشرها .

فهرس المحتويات

إهداء ..... - 5 -

مقدمة المحقق ..... - 9 -

نصر الـلـه الطرابلسي ..... - 28 -

الشيخ حسين الغزّي ..... - 34 -

أنطون الصقال ..... - 38 -

رزق الـلـه حسون ..... - 43 -

جبرائيل الدلال ..... - 50 -

عبد الـلـه المراش ..... - 60 -

فرنسيس المراش ..... - 63 -

الشيخ : محمد نور الدين الترمانيني ..... - 79 -

أخوه ..... الشيخ أحمد الترمانيني الشهير ..... - 81 -

الشيخ عبد السلام الترمانيني ..... - 82 -

الست مريانا المراش ..... - 96 -

الشيخ إبراهيم الحوراني ..... - 104 -

قاضي القضاة الشيخ بشير الغزّي ..... - 113 -

فيكتور خياط ..... - 119 -

الحاج مصطفي الأنطاكي الحلبي ..... - 123 -

نصر الـلـه الدلال ..... - 129 -

الشيخ بكري الزهري الكاتب ..... - 130 -

الشيخ محمد الوراق ..... - 132 -
القس أُوُغسطين عازار ..... - 136 -
عبد الـلـه أفندي الجابري ..... - 141 -
محمد أسعد الجابري ..... - 144 -
عبد الحميد الجابري ..... - 147 -
الحاج صديق الجابري ..... - 148 -
محمد نصوح الجابري ..... - 149 -
الحاج عبد الكريم بلهْ ..... - 153 -
الشيخ عبد الـلـه سلطان ..... - 155 -
الشيخ محمد أبو الوفاء الرفاعي الحلبي ..... - 161 -
السيد مصطفي ابن السيد يوسف ..... - 172 -
محمد أغا الميري الشاعر ..... - 174 -
جرجي بن ميخائيل العبديني الحلبي ..... - 176 -
حبيب العبديني الحلبي ..... - 179 -
الشيخ أحمد المكانسي الملقب بالمحجوب ..... - 181 -
جرجي الكندرجي الحلبي ..... - 184 -
عبد الفتاح الطرابيشي ..... - 197 -
أحمد الإدلبي المشهور بأحمد وهبي الكتبي الحلبي ..... - 202 -
عبد المسيح الأنطاكي الحلبي ..... - 206 -
الخوري جرجس الدلاَّلة أوالدلاَّل ..... - 213 -

السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي..... - 215 -
نقولاكي كبابه ..... - 224 -
القســـــم الثانـــي ..... - 229 -
وهو ترجمات الأحياء..... - 229 -
خلّد الـلـه أثارهم وأطال أعمارهم ..... - 229 -
الأستاذ ميخائيل الصقّال..... - 231 -
الشيخ كامل الغزي ..... - 240 -
عبد الحميد أفندي الجابري ..... - 249 -
الخور فسقفوس جرجس شلحت..... - 253 -
السيد مسعود الكواكبي..... - 259 -
الخور فسقفوس جرجس منش..... - 264 -
باسيل الفرّاء ..... - 266 -
الشيخ إبراهيم الكيّالي ..... - 272 -
الخوري قسطنطين الخضري النائب الأسقفي علي حلب..... - 276 -
ترجمة مؤلفات الكتاب..... - 278 -
فهرس المحتويات..... - 361 -

9789957596927

أمواج
للطباعة والنشر والتوزيع
الأردن - عمان
هاتف ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٨٣٦١
فاكس ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٩٦٥١
www.amwaj-pub.com
amwajpub@yahoo.com

الوراق
للنشر والتوزيع
www.alwaraq-pub.com
مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع
شارع الجامعة الأردنية عمارة العساف
مقابل كلية التراعة
تلفاكس ٥٣٣٧٧٩٨
info@alwaraq-pub.com